



من معاوية إلى أجاويد

٦٤٨ م ـ ١٩٧٤ م

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة



هذا الكتاب

قبرص من معاوية إلى أجاويد ..

هذا هو موضوع كتابنا ، ولقد ارتبط اسم قبرص باسم معاوية بن أبى سفيان القائد العربى أمير جيوش الخليفة عمر بن الخطاب فى سوريا ، ثم أمير هذه البلاد فخليفة المسلمين الخامس ، أو ملك العرب الأول كما يحلو لبعض المؤرخين أن يقولوا ، هذا الأمير الذى ارتبط اسمه بأول غزوة بحرية عندما كان أميرا على سوريا فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وكانت غزوته تلك فى سنة ٦٤٨ م ، وتردد اسم قبرص الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجى الهام فى الحوض الشرقى من البحر الأبيض المتوسط كثيرا فى التاريخ ، وكانت أهميتها بالنسبة للعرب تبرز من حيث أنها منفذا إلى أراضيهم ومرتكزا لأى قوة تستهدفهم ، فهى تقع على بعد ٦٠ ميلا من اللاذيقية بسوريا وقرابة ٢٣٨ ميلا من بورسعيد فى مصر و١٥٦ ميلا من صيدا بلبنان وحوالى ٤٠ ميلا من الأناضول بتركيا ، ولقد تعاقب على احتلالها أو غزوها كل قادة الجيوش التى كانت تطمع فى احتلال أراضى العرب شرقية وغربية ، غزاها الفينيقيون والمصريون واليونانيون والفرس والرومان والبيزنطيون والبنادقة والعرب والأتراك والانجليز الخ ...

وهذا الكتاب يتناول ويفصل فى تاريخ ما يزيد على ثلاثة عشرة قرنا من الزمان ، انه تاريخ معاوية أحد عباقرة العرب وأول من أسس الدولة بالمعنى الذى يعرف اليوم ، اذن هو تاريخ قبرص الماضى والحاضر ، فاقرأ عن (معاوية ، وعن قبرص ومكاريس ، عن العلاقات التاريخية التى ربطت قبرص بالعرب والشرق الأوسط قديما وحديثا ...

والى اللقاء فى كتاب آخر ..

قبرص

من معاوية إلى أجاويد (٦٤٨م - ١٩٧٤م)

تأليف

دكتور عبد الوهاب محمد الزنتانى



الكتاب : قبرص من معاوية إلى أجاويد (٦٤٨–١٩٧٤م)
المؤلف : د/ عبد الوهاب محمد الزنتاني
رقم الإيداع : ١٥٧٠٤
تاريخ النشر : ٢٠٠٢
الترقيم الدولي : I. S. B. N. 977 - 215 - 670 - 9

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلي (القاهرة)
ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٢٢٤

التوزيع : دار غريب ٣٠، ٣ شارع كامل صدقي الفجالة – القاهرة
ت ٥٩٠٢٤٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول
ت ٢٧٧٨١٤١ – ٢٧٧٨١٤٣



وبه نستعين

المقدمة

قبرص من معاوية إلى أجاويد، هذا هو موضوع كتابنا، ولقد ارتبط اسم قبرص باسم معاوية بن أبي سفيان القائد العربي الفذ أمير جيوش الخليفة عمر بن الخطاب في سوريا، ثم أمير هذه البلاد فخليفة المسلمين الخامس، أو ملك العرب الأول كما يحلو لبعض المؤرخين أن يقول، هذا الأمير الذي ارتبط اسمه بأول غزوة بحرية عندما كان أميرا على سوريا في تعهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وكانت غزوته تلك في سنة ٦٤٨ ميلادية، وتردد اسم قبرص الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجي الهام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط كثيرا في التاريخ، وكانت أهميتها بالنسبة للعرب تبرز من حيث إنها منفذ إلى أراضيهم ومرتكز لأي قوة تستهدفهم فهي تقع على بعد ٦٠ ميلا من اللاذقية بسوريا وقرابة ٢٣٨ ميلا من بورسعيد في مصر و ١٥٦ ميلا من صيدا في لبنان وحوالي ٤٠ ميلا من الأناضول بتركيا، وقد تعاقب على احتلالها كل قادة الجيوش التي كانت تطمع في احتلال أراضي العرب، شرقية وغربية، وتعاقب على احتلال قبرص قوى مختلفة في أزمان مختلفة متعاقبة: فينيقيون ومصريون ويونان وفرس ورومان وبيزنطيون وبنادقة وعرب وأتراك وإنجليز .. إلخ .

وكان آخر غازٍ لها رئيس وزراء تركيا السيد بولنت أجاويد (أحيانا تنطق أتشافيد) سنة ١٩٧٤م على إثر انقلاب عسكري حدث بها قاده ضباط يونانيون، ولقد أدرك معاوية أهمية هذه الجزيرة بالنسبة للأمن العربي في ذلك الوقت، وهكذا سعى إلى إقناع الخليفة بضرورة احتلال هذا الموقع الهام في المنطقة الواقع على البحر الأبيض المتوسط، وعلى الرغم من رفض الخليفة عمر بن الخطاب وتردد

الخليفة عثمان بن عفان بعده فقد أمكن لمعاوية أن يغزوها، وكانت تلك أول مرة في التاريخ يجتاز فيها العرب أرضا تغمرها مياه البحر .

ولقد قيض الله سبحانه وتعالى لمعاوية أن يكون ذا بصر وبصيرة وذا فكر ثاقب وذكاء فائق وحكمة رائعة تمثلت في قوله: « والله لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما قطعتها إذا مدّوها خليتها وإذا خلّوها مددتها » وقد اتصف بالحكمة والحكم والدهاء والتسامح وضبط النفس والشهامة، ومما يدل على ذلك قوله: « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني » .

أرسله الخليفة ابو بكر قائدا للجيوش في سوريا، وولاّه عليها عمر واقره عثمان على تلك الولاية. ولد في مكة المكرمة سنة ٦٠٨ميلادية، وحكم سوريا أميرا عشرين سنة، ثم صار أميرا للمؤمنين عشرين سنة، وكان أول من بنى أسطولا بحريا، وأول غازٍ عبر البحر في الإسلام، ولقد ابتدأ بتوليه الخلافة عهد الأمويين في دمشق، وبذلك سجّل انتهاء عهد الخلفاء الراشدين الذي كان مقره في المدينة، وشهد عصره تبدلا وتغيرا في فلسفة الحكم والدين والحضارة، وبين غزوته تلك وحلول سنة ٧٣٢ ميلادية امتدت الامبراطورية العربية (أي قبل انتهاء العهد الأموي مباشرة) من الجزيرة العربية إلى غربي آسيا وأواسطها، وإلى الجنوب الغربي من أوروبا ومن الشمال الغربي من فرنسا إلى أفريقيا الشمالية، ويذكر أن معاوية كان دائما ينجح في بلوغ مقاصده إن بالسياسة أو الحرب، على أنه لم يكن من أنصار الحرب في الغالب ذلك أنه كان يقول « إن تسوس الناس باللسان أفضل من أن تحكمهم بالسيف » . كذلك فقد كان كثير الصبر على اصحاب الرأي ويقول في ذلك »: إنني لا أحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين الحكم « . وقد استمال الشعراء والنقاد والأعداء بالمال والعطايا، وذلك نوع من الدهاء السياسي سبق فيه ما تقوم به الحكومات الآن تجاه وسائل الإعلام الحديثة، وأبلغ وصف استخدمه من أجل إقناع الخليفة عثمان بفائدة غزو قبرص قوله »: إن قرية في حمص تسمع نباح كلاب أهل قبرص وصياح دجاجهم ».

ولم يكن عنصريا ولا متعصبا في وقت كانت فيه العنصرية من أهم أعمدة الحكم، فقد كان طبيب بلاطه الأخطل وهو نصراني يعقوبي، وكانت إحدى زوجاته نصرانية عربية من اليمن تدعى ميسون، وكان طبيبه الخاص ابن أثّال وهو ايضا نصراني .

وتجمع كتب التاريخ على ان معاوية كان أحد عباقرة الدولة الإسلامية، وقيل إنه أحد خمسة من دهاة العرب (معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد).

ومعاوية هو مؤسس البيت الأموي والدولة الأموية حيث بلغت دولة الإسلام أوج قوتها وسادت رسالة الإسلام أبعد الآفاق، وبعد الرسول ﷺ وخليفة خليفته يعتبر معاوية أبرز صناع التاريخ الإسلامي رغم اختلاف المؤرخين العرب في هذا الشأن، وقد انتقل إلى جوار ربه سنة ٦٧٧ ميلادية أو سنة ٦٨٠ ميلادية بعد أن نجا من ضربة سيف مسموم، وتلك كانت واحدة من محاولات الاغتيال السياسي في الإسلام قام بها (البرك بن عبد الله التميمي) ولقد صدق من قال فيه: « صحبت معاوية فما رأيت رجلا اثقل حملا ولا أبطأ جهلا ولا أبعد أناة منه » .

ووصفه الخليفة عمر بن الخطاب قائلا: « إنه كسرى العرب » . ذلك لأنه كان مهيبا طويل القامة أبيض الوجه، كما قال فيه رسول الله ﷺ : « اللهم اجعله هاديا مهديا » .

ولما كانت إطلالة العرب على قبرص في عهده، ونظرا لارتباط هذه الجزيرة بأحداث التاريخ العربي فقد رأينا أن يكون عنوان كتابنا عنها يحمل اسم معاوية **(قبرص من معاوية إلى أجاويد)** وفي هذا الوقت الذي يحمل فيه الغرب سيوفا من نار على الإسلام والمسلمين متهما كل المسلمين بالتعصب والتخلف والعطش للدماء فإننا نرى أن ما يحدث باسم الإسلام في بعض البلاد الإسلامية من تقاتل ليس من الإسلام في شيء رغم أنه ليس موجها إلى محاربة اديان أخرى كما يحدث من جانب بعض الدول المسيحية في الغرب التي تشجع وتحتفل بالخارجين على الإسلام، فقد جعلوا من سلمان رشدي شهيد الحرية والكلمة لمجرد أنه تهجم على الإسلام

والمسلمين، وهو مسلم مرتد، واحتفلوا بامرأة بنغلاديشية تدعى (تسرين) لمجرد أنها ارتدت عن الإسلام وشككت في عقيدة المسلمين الذين يعترفون ويحترمون كل الأديان والأنبياء والرسل، ولكن ما حيلتنا في عصر صارت فيه الكلمة الأولى لعبدة المال والمرابين وصناع السلاح .

ومن المؤمل أن يكون هذا الكتاب مساهمة في إلقاء الضوء على ما كانت - وتبقى - تمثله قبرص من أهمية بالنسبة للوطن العربي .

ومن الله التوفيق .

دكتور عبد الوهاب الزنتاني
بلدة الزنتان في ٢٢ يوليو ١٩٩٧م

إهــــداء

إلى كل مسلم يؤمن برسالة الإسلام الخالصة الصادقة الحقّة، رسالة العدل والحرية والإيمان والمساواة، ولقد قال الله جل جلاله:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ . (البقرة: ١٣٦)

وإلى أولئك الأصدقاء في قبرص الذين يحملون في قلوبهم مشاعر طيبة تجاه العرب وقضيتهم العادلة، قضية فلسطين، وإلى رجل الدين والدولة مكاريوس صديق جمال عبد الناصر نصير الحق العربي، وإلى صديقي الدكتور فاسوس ليساريدس الشاعر الفنان السياسي الذي كرّس حياته من أجل الحق والحرية في كل مكان، وأخيرا .. إلى الشعب القبرصي وجزيرته الجميلة موطن الحب، أرض (نيفرتيتي)، ومنفذ قوافل العلم والحضارة العربية من سنة ٦٤٨م وإلى الآن ..

إليهم جميعا أهدي عبق التاريخ في جهد متواضع يستهدف إحقاق الحق والعدل والإنصاف.

الفصل الأول

الوضع العام في الدولة الإسلامية

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (آل عمران: ١٣)

في السنة العاشرة الأولى من القرن السابع الميلادي نزل الوحي على سيد الكائنات محمد ﷺ، وفي العشرة الثانية هاجر إلى المدينة، وفي العشرة الثالثة انتقل إلى جوار ربه.

فلقد نزل الوحي على الرسول ﷺ سنة ٦١٠ م وهاجر إلى المدينة حاملا دعوته معه بعد أن ضاق به المقام في مكة سنة ٦٢٢م، وبعد أن انتصرت به دعوة الإسلام انتقل إلى جوار ربه سنة ٦٣٢م وكان قد ولد سنة ٥٧٠م، وعندما انتقل إلى جوار ربه كانت النار تحت الرماد تستعر وإن لم تلتهب، وكان التنافس قائما وإن لم يعلن، فقد كان الأنصار يتطلعون وهم الأعرق في المدينة إلى التخلص من سطوة وسيطرة المهاجرين الذين يمثلون الأغلبية، ذلك أن الأنصار كانوا يرون أنهم يجب أن يكونوا سادة بلادهم، وحدث أن سيدنا عليا رضي الله عنه قد ادّعى أو هو أعلن الخلافة لنفسه على اعتبار أنه أقرب رحما للرسول ، كذلك الحال، وإن لم يكن معلنا، بالنسبة لسعد بن عبادة وهو زعيم الأنصار، وكانت هنالك رغبات سياسية وأحقاد شخصية، وكان هناك منافقون ومندسون، ولما كانت الوفاة مفاجأة ليس من السهل على أحد أن يصدقها فقد حدث هرج ومرج وأخذ وعطاء مما شغل الناس حتى عن دفن الرسول ﷺ يوم وفاته، وكان على الرجال الأقوياء الأتقياء من صحابة رسول الله أن يقفوا ضد التيار الذي يريد دفع الأمور في المنحدر الذي يمكن أن يؤدي إلى التقاتل والخلاف الذي حدث فيما بعد (بعد مقتل عثمان) ولقد نجح صحابة الرسول في رأب الصدع والتأثير في المسلمين عندما نادوا بخلافة أبى بكر الصديق والد زوجة النبي (عائشة) وهو أحد الثلاثة الذين كانوا من أقرب الناس وأخلصهم وأقواهم نفوذا لدى النبي (أبو بكر وعمر وأبو عبيدة) ولقد بايع الأنصار

خليفة رسول الله أبا بكر الصديق إلا أن أبا بكر لم يعش طويلا فقد توفي بعد سنتين من خلافته تقريبا (توفي سنة ٦٣٤م) وكان قد واجه حروبا كثيرة ومعارك كبيرة، أسواها وأمرها كانت الحروب ضد المرتدّين عن الإسلام، وإن لم تكن في الواقع الردّة في ظاهرها عن الإسلام حيث إن إغلبها اتخذ منحى مختلفا عن ذلك ، ربما في البداية رغبة في عدم إثارة الأمور الجديد وتألب بقية المسلمين، وقد أرادوا في البدء رفض بعض القواعد مثل عدم دفع الزكاة، وربما أراد هؤلاء انتهاز أول فرصة، ذلك أن ابا بكر كان منشغلا بإتمام الحملة التي أرادها رسول الله على البيزنطيين بعد حادث هزيمة المسلمين في (مؤتة) وقد وجه أبو بكر حملة تاديب أو لعله يمكن أن يقال حملة انتقام من البيزنطيين بقيادة أسامة بن زيد، وكانت حملة جيوش إسلامية منتقاة ولذلك فإن قبائل أسد وغطفان سرعان ما بادرت بالهجوم على المدينة إلا أن ابا بكر قد واجه هذا الهجوم بكل حزم وعزم وكلف خالد بن الوليد بقيادة المدافعين عن المدينة، وتمكن هذا من تحقيق أول نصر مؤزر على المرتدين، وكان حزم أبي بكر قد ظهر في الموقف الذي اتخذه عند وفاة النبي، ففي وسط التخبط والحيرة وقف أمام جماهير المسلمين ليقول: « أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » وقرأ من القرآن الكريم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٤) .

وفي هذه الأثناء كان الأنصار مجتمعين في سقيفة بني ساعدة وكان الراي عندهم - كما أورد ثقات المؤرخين العرب والمسلمين - يتجه إلى اختيار زعيمهم سعد ابن عبادة، ومن المعروف أن الأنصار في المدينة كانوا عندما هاجر الرسول إليهم قد قدموا له العون والنصرة في حين أن أهله في مكة كانوا قد اضطهدوه وتنكروا لدعوته بل كادوا يقتلونه، والأنصار بذلك يعتقدون أنهم حماة الرسول وناصروه في دعوته ومن هنا فهم أحق بأن يختاروا من يدافع عن الرساله السماويه التي جاء بها محمد، وكان الأوس والخزرج قد قالوا: « منا أمير ومنهم أمير، ولن نرضى بدون هذا » .

ويتضمن هذا الموقف أنهم قرروا أن يتساووا مع القرشيين، وظهر لأبي بكر البالغ من العمر ستين سنة وقتئذ أنه يواجه أزمة أو ربما فتنة ستكون خطيرة إن لم تعالج بتروٍّ وحكمة وهدوء ، فقال: « منا الأمراء ومنكم الوزراء » ، واقترح أحد اثنين للخلافة (عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح)، ولكن عمر قال: « لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، لا والله إنك الأفضل في المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الغار، ابسط يديك لنبايعك »، وبذلك خمدت أول فتنة ظهرت مباشرة بعد وفاة الرسول ﷺ وإن كان عليٌّ قد تخلف عن حضور الاجتماع ولم يقبل بالبيعة إلا بعد ستة أشهر، وكان التنافس على الخلافة بين البيتين القرشيين (بني هاشم وبني أمية) ولم يكن أبو بكر من أحد هذين البيتين، وكان عليٌّ يبغي الخلافة ويعتقد أنه الأحق بها .

وكان النبي سمحًا كما هي سماحة الإسلام إذ لم يفرض قيودا أو شروطا صارمة تعجيزية، وما كان على أي عربي إلا أن ينطق بالشهادتين، ذلك أن البدو كانت عاداتهم شديدة وكانوا يتمسكون بها وكأنما هي جزء من كرامتهم مثل الثأر والنهب والغزو، إضافة إلى الإقدام والشجاعة والكرم والتفاخر ... إلخ، ومع الشهادتين كانت الزكاة التي يجب أن تدفع في أوقاتها، وهذه واحدة من الأسباب التي دعت هؤلاء العرب الذين أعلنوا ما يشبه العصيان بعد وفاة النبي مباشرة، وهي كذلك من أهم دوافع أبي بكر في الإقدام على الإجراءات الحازمة التي ربما لم تكن متوقعة منه لأنه عرف بالحلم واللين، وما يؤكد أن أولئك العرب (الأعراب) لم يكونوا قد آمنوا فعلا وإنما هم تأثروا بمحمد ﷺ كشخصية تثير الإعجاب والمهابة والتقدير وقد جاء في سورة الحجرات : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٤) ، وأول ما فعله أبو بكر الصديق عندما عرضت قبيلتا (عبس وذبيان) الدخول في الإسلام مقابل إلغاء الزكاة وكانتا قد حشدتا الرجال والسلاح في منطقة تسمى (ذي القصة) في محاولة لفرض الأمر الواقع على الخليفة الجديد، قال أبو بكر: « والله لو منعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها » ، قال هذا الكلام في وقت

كان فيه جيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد[1] قد خرج إلى حدود مملكة الروم للقتال. ولابد أن هؤلاء عندما أيقنوا أن أبا بكر بذلك كانوا يعرفون أن قوة المسلمين مع أسامة وأن هؤلاء سوف لن يتمكنوا من الدفاع عن المدينة. ولو تحقق ذلك لكان تيار الردة قد انتصر. إلا أن الله أراد لرسالة محمد ﷺ أن تنتصر على يد خليفته أبي بكر الصدِّيق. وتمكن المسلمون من الدفاع عن المدينة عندما قام رجال عبس وذبيان بهجومهم بشدة وظهر في نفس الوقت من يدعي النبوة كشيخ قبيلة (بني أسد) المدعو طليحة في منطقة شمال نجد. كما ادعى مسيلمة النبوة أيضاً في منطقة شرق نجد. وأورد المؤرخون العرب أسماء هذين الاثنين مصغرة كنوع من التحقير فسمي الأول باسم طليحة والثاني باسم مسيلمة وكلاهما كذاب. وكان مسيلمة هذا قد خاطب النبي محمداً برسالة قال فيها: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً لا ينصفون. والسلام عليك.

ورد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قائلاً: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والسلام على من اتبع الهدى».

وبعد قتل مسيلمة هذا في معركة اليمامة وكان قد ادعى النبوة في عهد النبي ﷺ مثله مثل الأسود العنسي إلا أن الأخير كان قد قتل قبل وفاة الرسول محمد. وعلى الرغم من انتصارات خالد بن الوليد وقبل ذلك دحر عبس وذبيان فإن حروب أخرى وحركات عصيان وتمرد قد حدثت في البحرين واليمن ونجد وغيرها. إلا أن الجزيرة العربية قد أُخضعت بكاملها وصارت متحدة تحت قيادة الخليفة أبي بكر خلال سنة واحدة بعد وفاة النبي ﷺ، وهذه السنة عرفت بسنة (حروب الردة) في سنة ٦٣٣ ميلادية. وقد عاون خليفة رسول الله ثلاثة هم: علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح.

[1] أسامة بن زيد: كان أبوه ابن النبي بالتبني، وقد رافقه أبوبكر ماشياً عندما خرج بالجيش مخلفاً على المدينة وقد طلب منه أسامة أن يركب أو أن ينزل هو فرفض قائلاً إنه يسير في طاعة الله.

وبعد ذلك يكون أبو بكر قد تهيأ لتوجيه الفتوح وتنظيم الجيوش من أجل المرحلة الثانية هذه. وكانت الأهداف هي فلسطين والعراق وسوريا، أي مملكة الروم والفرس، الامبراطوريتين الكبيرتين، ويمكن القول إنه بعد معركة (مؤتة) قد بدأت حرب التحرير ونشر الإسلام خارج الجزيرة العربية. ونجد في رسالة خالد بن الوليد دليلاً على الثقة والقدرة عندما كتب إلى هرمز عامل الفرس بعد أن كلفه الخليفة بذلك العمل. يقول: «أما بعد، أن أسْلم تسلم وإلا فلا تلومنّ إلا نفسك فقد جئتك بقوم يحبّون الموت كما تحبّون الحياة».

ولقد انتقل أبو بكر الصديق إلى جوار ربه بعد أن حقق الكثير للإسلام والمسلمين خلال المدة القصيرة التي عاشها بعد وفاة النبي ﷺ وشهد فترة الردة والفتن والمواجهة بين المسلمين والروم والفرس بعد معركة (مؤتة) كما شهد تغير الأوضاع بدولة الفرس وارتقاء يزدجرد سدة العرش هناك. ثم خضوع الحيرة والأنبار وعين التمر وغزو فلسطين والأردن بواسطة جيوش المسلمين، ودخول خالد بن الوليد بقواته أرض العراق وسوريا. وفي تلك الأثناء كانت قوات المسلمين فيها (عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان) على أبواب فلسطين والأردن، تلك كانت سنة ٦٣٤ ميلادية عندما جهز خليفة رسول الله هذه الجيوش من أجل الفتوح الكبيرة. وفي هذه السنة توفي الخليفة (في أغسطس ٦٣٤م)، وتولى القيادة بعده عمر بن الخطاب الذي واصل تدعيم القوات الإسلامية التي بدأت مواجهتها المباشرة ضد الفرس في العراق قرب الحيرة. ولقد كان على خليفة رسول الله هذا الرجل العديد الشديد الإخلاص والإيمان أن يمتثل الآية الكريمة ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦).

ويروى أن النبي ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»، وكان عمر بن الخطاب زعيماً صارماً قوياً بسيطاً في أسلوب حياته يتمتع كسلفه بالصدق والتصميم على اتباع سنة الرسول ﷺ متقشفاً في معيشته حتى أنه يروى عنه أنه

لم يكن في أي وقت يملك إلا ثيابين، واحداً للصيف وواحداً للشتاء، ولا يأخذ من بيت المال إلا ما يمكنه من أداء فريضة الحج .

وكان على عمر بن الخطاب أن يواجه هرقل بكل ما للروم من تنظيم وقوة وعتاد حربي وتجارب في الحكم والقتال. كذلك كان عليه في نفس الوقت أن يواجه يزدجرد بكل ما للفرس من جند وسيطرة وعنوان وتجارب حروب. ولا يمكنه إلا أن يفعل ذلك إذ إن حملة الفتوح الإسلامية قد بدأت وقد انطلق المد الإسلامي واكتملت السيطرة العربية الإسلامية على الجزيرة العربية بطرد آخر جندي فارسي من البحرين، وكان الفرس قد احتلوا مصر سنة ٦١٧ ميلادية على إثر حروب طويلة بين كسرى أبرويز وبيزنطة. ومن المعروف أن آثار الحروب مدمرة للاقتصاد والعمران والناس الذين يعيشون في ساحتها هم أكثر من يدفع الثمن. وذلك ما وقع على مصر والمصريين، ثم وقعت مصر في يد الروم عندما طردوا الفرس منها سنة ٦٢٨ ميلادية ولم يكن الخلاف سياسياً فقط بين القوى المتحاربة وإنما كان أيضاً دينياً واجتماعياً

وفي هذه الفترة كان زعيم الروم هرقل في أوج قوته وأمجاده حيث إنه القائد الذي استعاد من الفرس الصليب المقدس، وبذلك استعاد أمجاد الإمبراطورية التي كادت أن تتفكك. وكانت الكنائس المسيحية قد انقسمت منذ وقت طويل فصارت يعقوبية وأرثوذكسية ونسطورية. والإمبراطور يسعى إلى إعادة توحيدها لأنه يتطلع إلى عمل كبير يقوم به ويذكره التاريخ، وقد عمل على تشكيل لجنة من البطاركة لإعداد ميثاق لاهوتي جديد عرف باسم (مذهب الطبيعة الموحدة) وهذا كان محاولة للتقريب بين المذهب الأرثوذكسي والشعبي أي اليعقوبي ولذلك فقد أمر بأن يكون المقوقس بطريركاً بالإسكندرية وحاكماً على مصر إلا أن أقباط مصر عارضوا ذلك التعيين ولم يقبلوا الميثاق أو المذهب الجديد، وكان بنيامين بطريرك الأقباط قد التجأ إلى الصحراء هروباً من هرقل والمقوقس ورغبة في عدم الرضوخ لرغبة الإمبراطورية ومن المؤكد أن أحداث التاريخ تتشابه في تكررها ذلك أن البابا شنودة زعيم الأقباط في مصر قد فعل نفس الشيء بعد قرابة ألف وثلاثمائة سنة

من ذلك الحادث عندما رفض قرار الرئيس المصري السادات وحرم على الأقباط زيارة بيت المقدس وإن كان لم يهرب إلا أن السادات قد نفاه إلى الصحراء. وكذلك كان لأقباط مصر موقفٌ مشرفٌ عندما رفضوا انتخاب بديل للبابا شنودة حسب رغبة السادات. وكما أعاد المسلمون بطريرك الأقباط بعد هزيمة الروم إلى بطريركيته عاد البابا شنودة زعيماً لأقباط مصر بعد مقتل السادات) وكان المقوقس متعسف يجلد بالسياط ويحرق بالنار من أجل إخضاع القسس والرهبان ولكن هؤلاء في الغالب كانوا يرفضون وكانت نتيجة ذلك التعسف أن تحول ولاء هؤلاء عن دولة الروم

ومن الطبيعي أنه عندما يحدث تحول ما وتطرأ أحداث جديدة على وضع أي شعب اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً يختل تماسكه وتتغير طبقاته وتركيبته الاجتماعية بحيث تظهر طبقة جديدة تتولى السيطرة وتنفرد بالهيمنة منحية الطبقة التي كانت قبلها بحيث يفقرها الثقل. ومن هنا فإن فئة تقوى وأخرى تضعف وتتغير موازين القوى وفي الغالب يختل وضع المجتمع وينعدم فيه الاستقرار ويحدث أن يتغير هذا المجتمع إما إلى الأمام أو إلى الخلف حسب قدرة وإمكانيات وفهم الفئة الجديدة للتطور، وإذا كانت القفزة مفاجئة وقسرية فإن الرفض لابد أن يظهر والمواقف تختلف ويحدث الارتداد إلى الوراء. ومن ثم يظهر على سطح التذمر والرغبة في إحداث التغيير، وهو ما حدث تماماً عندما جاء المقوقس إلى مصر حاكماً وأسقفاً .

وكان المسلمون قد فتحوا القدس وجاء الخليفة لاستلام المدينة، ويذكر أنه قد تحدث مع عمرو بن العاص في إمكانية فتح مصر عندما كان هذا الأخير قد حاصر قيسارية وهي المدينة الوحيدة الباقية في فلسطين يستعصي على الفاتحين العرب اقتحامها. وعرف العرب أن صمود قيسارية كان نتيجة الإمدادات التي تأتي من الإسكندرية التي توجد بها قوات بيزنطية. والإسكندرية ميناء بحري هام ومن المؤكد أن عمرو بن العاص كان يدرك أن سوريا وفلسطين لن تكونا آمنتين طالما كان البيزنطيون يسيطرون على قواعدهم في مصر (ولقد أدرك عمرو بن العاص هذه

القاعدة الاستراتيجية قبل جميع القادة العسكريين الذين درسوا أساليب الحرب في أشهر الأكاديميات العسكرية في العصر الحديث) .

ولقد كان عمر بن الخطاب كثير الحذر فيما يتعلق بالغزوات والفتوح فهو لا يقدم على قرار إلا بعد تروٍّ وتمعن، ولم يحدث أن وافق على إرسال أحد جيوشه للقتال أو الغزو بحيث تكون إمداداته بعيدة أو متعذرة. ويذكر أن سعد بن أبي وقاص رغب في أن يجتاز جبال زاغروس إلا أن أمير المؤمنين عمر منعه من ذلك وقال إن قاعدة الجيش العسكرية لابد أن تكون مستندة على الصحراء، وكان في أشد حالات القلق عندما قام عامله في البحرين قبل موافقته باجتياز الخليج ونزل في جنوب فارس لأن تلك كانت مغامرة ربما أدت إلى كارثة لولا النجدات السريعة التي جاءت من البصرة، ولهذا السبب كان مترددًا في غزو مصر رغم أنه يتحدث مع عمرو بن العاص في هذا الشأن وكان يعلم أن إمدادات البيزنطيين من قواعدهم البحرية في الإسكندرية ستسبب الكثير من الصعوبات لجيوش المسلمين وخصوصًا بعد تعذر فتح قيسارية لبعض الوقت. ويذكر المؤرخون العرب[1] أن عمر بن الخطاب عاد فاجتمع مع عمرو بن العاص بعد اجتماع القدس في الجابية[2] ووافق على خطته في غزو مصر ومما يؤكد ذلك أن عمرو بن العاص عندما بدأ الغزو ووصل إلى العريش جاءته الإمدادات بموافقة الخليفة. ولو كان عمر غير موافق مسبقًا لكان قد أمر عمرو بن العاص بالانسحاب والعودة إلى غزة، ولقد عبر عمرو الحدود المصرية في الثاني عشر من ديسمبر سنة ٦٣٩م ولم تكن قوات عمرو بن العاص تزيد على ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل وهي قوة صغيرة جدًا إذا ما قورنت بالواجب الذي كان عليها أن تقوم به وكان عليه أن يؤمن مؤخرته دائمًا وبذلك احتل المواقع التي تؤمن الطريق والاتصال الدائم. احتل الفرماء بعد أن حاصرها لمدة شهر تقريبًا ومنها احتل بلبيس في بداية شهر يناير سنة ٦٤٠م وعندما وصلت أخبار التقدم العربي هذا إلى كل من

(1) البلاذري وغيره
(2) كانت الجابية مقر الكثير من القرارات الهامة التي اتخذها عمر بن الخطاب في اجتماعاته مع الصحابة مثل علي بن أبي طالب والزبير

تيودور والمقوقس والأول القائد العام للقوات البيزنطية والثاني حاكم مصر أسرع في التحرك حيث استقرا في حصن بابل ووصلت القوات التي أرسلت بإذن الخليفة لدعم قوات عمرو بن العاص في شهر يونيو سنة ٦٤٠م وعسكرت في هليوبوليس (مصر الجديدة الآن) وكان يقودها الزبير بن العوام. بينما كانت قوات عمرو بن العاص قد عبرت نهر النيل في اتجاه الغرب في حين كانت القوات الجديدة في شرقه وذلك وضع يضعف قوات المسلمين لو ابتدأت المعركة مع البيزنطيين إلا أن عمرو بن العاص القائد المحنك سرعان ما عبر بقواته مرة ثانية إلى الشرق لتنضم إلى قوات الزبير وبذلك كانت الصحراء وراء جيوش العرب المسلمين بحيث لا تنقطع إمداداتهم، وكان ابن الخليفة عمر بن الخطاب عبد الله ضمن القوات التي جاءت بقيادة الزبير، وكان جيش الروم أكثر عددًا من جيش المسلمين إلا أن عمرو بن العاص كان قد وضع بعضًا من قواته في مواقع مختلفة بحيث تفاجئ الروم عندما يبدأ القتال وهكذا حدث، فما كادت المعركة تبدأ حتى تدفقت قوات عمرو بن العاص من كل جانب وانهزم جيش الروم. وباحتلال قلعة بابل بعد مفاوضات طويلة مع المحاصرين من الروم (وقلعة بابل هذه تقع في الضفة الشرقية من النيل وقد كانت أهميتها بالنسبة لعمرو بن العاص لأنها تتصل بالأرض مع الجزيرة العربية) وبذلك احتلت مصر كلها وكان على عمرو أن يزحف لاحتلال الإسكندرية وهي الميناء البحري الهام والطريق المؤدي إلى فتوحات أخرى هامة. وكانت الإسكندرية أعظم مدن العالم في ذلك الوقت وأهمها خصوصًا بالنسبة للعرب الفاتحين. وتم استسلام الإسكندرية بعد قتال ومد وجزر ومفاوضات وحصار. مفاوضات قام بها المقوقس مع عمرو ومعارك قادها تيودور ضد قوات عمرو بن العاص في سبتمبر سنة ٦٤٢م وانتهت سلطة الروم على هذه البلاد .

وبعد هذه الانتصارات الباهرة كان عمرو بن العاص قد رأى أن يرسم صورة للبلاد التي احتلتها جيوش المسلمين وأن يبعث بذلك إلى أمير المؤمنين فكتب يقول « مصر تربة غبراء وشجرة خضراء طولها رحلة شهر وعرضها عشرة أيام يخط وسطها نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات، يجري بالزيادة والنقصان كجري

الشمس والقمر، له أوان تظهر به عيون الأرض وينابيعها حتى إذا عج عجاجه وماجت أمواجه لم يكن وصول أهل القرى إلى بعض إلا بخفاف القوارب وصغار المراكب فإذا تكامل في زيادته يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه يبذرون الحب ويرجون الثمار من الرب، حتى إذا شرق وأشرق سقاه من فوق الندى وغذاه من تحت الثرى فبينما هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء إذا هي عنبرة سوداء وإذا هي زبرجدة خضراء ». كان هذا وصف عمرو بن العاص لمصر وأرض مصر، وكان الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أوصى المسلمين إذا ما فتحوا مصر قائلاً « إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً » .

وكان المقوقس عندما استدعاه الامبراطور البيزنطي حيث اتهمه بالخيانة عندما تفاوض مع عمرو بن العاص قد قال « إن العرب لا يطلبون قط وإنهم لا يأبهون بالمال والراحة وإنهم يطمعون في الاستشهاد في ميدان القتال لأن الشهادة تسرع بهم إلى الفردوس » وكان الامبراطور قد أذله وطرده من وظيفته وعندما مات الامبراطور وتأكد الروم أنهم مهزومون أعادوا المقوقس إلى الإسكندرية ليفاوض عمرو بن العاص ويسلم البلاد. وكان عمرو مندفعاً إلى الفتوح الإسلامية حيث أصبحت أفريقيا الشمالية بعد فتح مصر هدفه الجديد. وقد منَّ الله على المسلمين بالنصر وأصبحت الامبراطوريتان العظيمتان (فارس وبيزنطة) مخطيان ود الدولة الفتية الجديدة وقد تخلت تماماً عن كل البلاد التي كانتا تحكمانها. إلا أن عمر بن الخطاب وكعادته في الحيطة والتأني رفض أن يسمح لقائده الظافر بالاستمرار في الفتح. وكان هذا ينوي فتح برقة وطرابلس وبالتالي كل الشمال الإفريقي مثلما رفض طلب معاوية بن أبي سفيان في ركوب البحر بجيوش المسلمين وفتح قبرص التي قال عنها معاوية « إن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلاب قبرص وصياح دجاجهم » .

كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص قائلاً في ذلك الوقت « صف لي البحر وراكبه » ... فكتب إليه عمرو « هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلا

السماء والماء إن ركد فلق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه القليل قلة والشك كثرة، وراكبه دود على عود إن مال غرق وإن نجا برق ... »[1]

فكتب عمر إلى معاوية « والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فيستأذن الله كل يوم وليلة في أن يغرق الأرض، فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر وبالله لمسلم واحد أحب إليَّ مما حوت الروم فإياك أن تعرض لي في ذلك فقد علمت ما لقي العلاء مني »

ثم كاتب عمر ملك الروم وقاربه وقصر عن الغزو، ولكن معاوية لم يفارق التفكير في هذا الأمر وقد حانت الفرصة فألح على الخليفة عثمان بعد أن تولى الخلافة في غزو البحر فأجابه على خيار الناس وطوعهم [2]

وعندما طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب وهو يستعد للصلاة في الجامع وأشرف الخليفة على الموت دعا إليه عبد الرحمن بن عوف وقال « أريد أن أعهد إليك » قال « فتشير عليَّ بها » قال « لا » قال « والله لا أفعل » قال « فهبني صمتاً حتى أعهد بها إلى النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، ثم دعا علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن معهم وقال « انتظروا طلحة ثلاثاً فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم، وأنشد الله من يفضي إليه الأمر منهم أن يحمل أقاربه على رقاب الناس، وأوصاهم بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصى بالعرب فإنهم مادة الإسلام أن تؤخذ صدقاتهم فتوضع في فقرائهم وأوصى بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، ثم قال « اللهم قد بلغت ، لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة » .

وانتقل الخليفة الورع العادل الهادئ الحازم إلى جوار ربه، ولقد اتفق صحابة رسول الله الذين أوصاهم عمر بشئون الأمة على خلافة عثمان بن عفان وهكذا تولى الخليفة الجديد أمور المسلمين والدولة الإسلامية وقد فُتحت الفتوح ووصلت

(1) أورده ابن خلدون – المجلد الثاني ص ٨٠١
(2) نفس المصدر

أثناء وفاة عمر بن الخطاب إلى بعض المناطق النائية فاضطربت الأوضاع وحدثت انتفاضات وتمردات وقتال، وكان العرب قد وصلوا إلى أرمينيا في الشرق بعد معركة (نهاوند سنة ٦٤٢م) التي انفتحت بعدها أراضي فارس . وقد حدث أن الخليفة الجديد أحدث وأجرى تعديلات وتغييرات في مناصب القادة والأمراء منها أنه عين عبد الله بن أبي السرح أميراً على مصر بدلا من عمرو بن العاص الذي كان قد فتحها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. وقام ابن أبي السرح باتخاذ الكثير من الإجراءات التعسفية من أجل جمع الأموال مما دعا أعيان ووجهاء الإسكندرية إلى طلب المساعدة من الروم لتخليصهم من وجود العرب، وكان هؤلاء متحمسين لمثل هذا العمل وقد عرفوا ما حل بالقائد العربي الذي هزمهم في الأراضي المصرية .

وكان معاوية أمير الشام قد أرسل قوات بقيادة حبيب بن مسلمة بعد أن وصلته الأوامر من أمير المؤمنين لإخضاع أرمينيا التي بدأ فيها التمرد على حكم المسلمين . وتحركت قوات أخرى بأمر من أمير الكوفة لنفس الغرض وكان الوضع مضطربا في كثير من المناطق في الوقت الذي توسعت فيه حدود الدولة الإسلامية ومات فيه الخليفة عمر بن الخطاب (عام ٦٤٤م) .

والواقع أن الانتفاضات والثورات ليست بجديدة فكلما حدث حادث كبير مثل وفاة النبي محمد ﷺ وأبي بكر ثم عمر كانت تحدث ردات وتمرد ذلك أن العصبيات القبلية لم تكن قد انتهت بعد وكذلك الطموحات الفردية والتنافس على الحكم والمغانم على الرغم من أن عهد النبي والخلفاء الراشدين كان عهد تقشف وزهد ونقاء، كذلك فإن الإسلام لم يكن قد ترسخ بسبب ظروف المواصلات والاتصالات. والبيعة عادة التي كان يؤديها زعماء القبائل لم تكن صادقة فهي لأغراض آنية أو اقتصادية. وحدث أن قبائل اليمن واليمامة وعمان قد ارتدت بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة وكان على الخليفة أبي بكر الصديق أن يعيدها إلى ما كانت قد عاهدت عليه، أن يعيدها إلى الاسلام ودفع الزكاة مهما كلف الأمر وهو الذي قال « الإذعان من طرف المرتدين بلا قيد أو شرط وإلا فالحرب حتى النصر » ولم يمض أكثر من نصف سنة حتى كان خالد بن الوليد قائد جيوش الخليفة أبي بكر قد أخضعها

جميعا، وكما ذكرت فقد ظهر من ادعى النبوة قبل وبعد وفاة النبي مثل طلحة ومسلمة والأسود العنسي والمرأة سجاح

وكان المسلمون الفاتحون قد اتبعوا سنة حميدة ربما رغبة في الحفاظ على أهل البلاد المفتوحة أو ربما رغبة في الحفاظ على الجنس العربي نقياً أو كليهما فصاروا يشيدون الحصون والمقار العسكرية والمدن السكنية فمثلا أنشأوا في الأردن طبريه وعمواس، وفي فلسطين اللد والرملة وفي سوريا الجابية وحمص، وفي مصر الفسطاط والإسكندرية وفي العراق الكوفة والبصرة (بعضها كانت مدن قائمة فأضافوا إليها معسكرات فقط)

ولقد أخضعت أرمينيا وأذربيجان وجورجيا والمناطق المحيطة وفي نفس الوقت كان الامبراطور كونستانس في بيزنطة يعد العدة لإعادة احتلال الإسكندرية وربما مصر كلها لاعتقاده بأن الظروف صارت مواتية ومناسبة للعمل العسكري الكبير الذي يعيد للامبراطورية هيبتها ، فأرسل السفن المحملة بالجنود والعتاد وكانت بقيادة الخصي مانويل وفوجئت حامية الإسكندرية خلال سنة ٦٤٥م بالأسطول البيزنطي وهكذا غلبت على أمرها وإن قاتل رجالها بشجاعة نادرة، واحتل الروم الإسكندرية مرة أخرى وبدأوا فورا في التوسع خارج الاسكندرية . وما كان من الخليفة عثمان إلا أن أعاد تعيين عمرو بن العاص لمواجهة حملة الروم الجديدة تلافيا للوضع الذي نشأ وصار يتهدد المنطقة كلها فإذا سقطت مصر أصبحت فلسطين وسوريا في خطر وسرعان ما أعد عمرو بن العاص جيشه للمعركة الحاسمة. ويذكر أن الجيشين قد التقيا في منطقة تبعد عن الإسكندرية بمائة ميل جنوبا وبعد معركة حامية دامية انهزم جيش الروم عائدا إلى الإسكندرية التي حاصرها جيش عمرو ثم اقتحمها ليحلق هزيمة نهائية بالروم فقتل قائد الجيش مانويل وأعلن جنوده وهرب الباقون بصعوبة إلى البحر وبقد استغرقت حملة عمرو هذه تسعة أشهر تقريبا، وكانت الهزيمة النهائية للروم في صيف سنة ٦٤٦ م

وعلى الرغم من أن الخليفة قد عزل عمرو بن العاص بعد أن انتصر على

الروم مرة ثانية وعيّن عبد الله بن أبي السرح قائداً عاماً وأميراً على مصر، ورغم ما ذكره المؤرخون عن هذا الأخير فإنه قاد حملة شمال أفريقيا ذلك أن طرابلس بعد أن فتحها عمرو بن العاص في غزوته الأولى عادت وتحالفت مع البيزنطيين، وكان البيزنطيون وحاكمهم فريقوريوس قد جعلوا قرطاجنة القديمة عاصمة لهم وامتدت سلطتهم من هناك إلى طرابلس كان عليهم أن يواجهوا حملة أبي السرح وهكذا حشدوا جيشاً ضخماً لهذا الغرض، والتقى الجيشان في سبيطلة حيث دارت المعارك ضارية ولم تمض أيام حتى انتصر جيش المسلمين وقتل الحاكم فريقوريوس بعد أن حلت الهزيمة بقواته

وعلى الرغم من الانتصارات والفتوح إلا أن عثمان كان محط نقد شديد لأنه كان ميالاً إلى تعيين أقاربه ومحاباتهم. وبذلك حدث التمرد في الجيوش والانقسام في القبائل، إذ انقسمت قريش بعضها بين بني هاشم وبني أمية وبرزت العصبية القبلية مرة ثانية وتحرك العرب بين عدنان وقحطان أو بين شمال وجنوب مما أثر على حماس الناس وتفانيهم في خدمة الإسلام. وربما كان هناك سبب آخر مهم وهو مجيء عثمان بعد الخليفة القوي الحازم عمر بن الخطاب كان سبباً في بعض المشاكل التي ظهرت، إذ يذكر أن عثمان لم يكن قوي الشخصية مثل سلفه وإذا كان عثمان قد انحاز إلى أقاربه ومال كما يورد بعض المؤرخين أن الله تعالى أوصى بصلة ذي القربى، فإن المعارضين لهذا الاتجاه ذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث صاروا يرون أن المجاهدين في بدر وأُحد الذين بايعوا رسول الله وناصروه قد حُرموا من كل شيء بينما صار أعداء الرسول يتمتعون بخيرات انتصار الإسلام وهم الذين كانوا قد وقفوا أو أن آباءهم قد وقفوا ضد محمد ورسالته، وبدأوا ينادون بأن هذه الخيرات هي من حق أنصار رسول الله في بدر وأُحد ومن أبرز المعارضين هؤلاء كان عبد الله بن مسعود وهو الذي كان يتولى خدمة رسول الله في المدينة ومن الذين حفظوا القرآن كما نزل على الرسول وكذلك كان الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري الناسك المتقشف الذي وقف منادياً ومنتقداً للأخطاء والتجاوزات واعظاً الناس بدايةً في دمشق حيث وقف ضد معاوية فيها فترة طويلة ثم في المدينة التي أُبعد إليها بأمر من الخليفة عثمان عندما اشتكى معاوية من مسلك أبي ذر الغفاري ذلك .

وفي سنة ٦٥٤ م كان عثمان قد بلغ من العمر ثمانين سنة وقد تكالبت عليه القوى وأحاطته الهموم وكثر أعداؤه من مصر وفلسطين والعراق والجزيرة العربية ولم تبق هادئة نسبياً إلا سوريا بفضل الحزم وحكمة معاوية بن أبي سفيان. وكان معاوية هذا قد عينه الخليفة عمر بن الخطاب أميراً على سوريا. وعلى الرغم من أن عثمان قد قام بأعمال جليلة مثل الأمر بجمع القرآن الكريم وتوسعة الحرمين الشريفين في مكة والمدينة إلا أن الشغب والاضطراب قد بلغ مبلغه ولم يعد الناس ينظرون أو يتحدثون إلا عن الأخطاء ومنها بحسبهم، محاباة عثمان لأقربائه واتهام أمراء عثمان بالإثراء والاستغلال والانحراف في بلاد فتحوها بالسيف ومن أجل الإسلام وليس من أجل حفنة من الناس. وكان عبد الله بن أبي السرح مكروهاً في الفسطاط، وسعيد بن العاص مكروهاً في الكوفة حتى أن عثمان اضطر إلى إقالة هذا الأخير وتعيين أبي موسى الأشعري بدلاً منه، وحاول عثمان أن يستأنس بآراء عماله عندما اجتمع بهم أثناء تأدية فريضة الحج سنة ٦٥٥ م وقد تفاقمت الأوضاع وظهرت الفتن. وكان أحد أولئك الأمراء عمرو بن العاص الذي قال لعثمان عندما سأله رأيه :

« أرى أنك لنت للناس وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلتزم طريقة صاحبيك فتشتد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين، إن الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شراً واللين لمن يخلف الناس بالنصح وقد فرشتهما جميعاً باللين »

وقال كل أمير ما رأى إلا أن عثمان كان يقول « حسبي الله ونعم الوكيل » ولم يرد الأخذ بالشدة أو العنف وكانت المؤامرة قد ارتبطت خيوطها في الفسطاط والبصرة والكوفة ويذكر المؤرخون العرب أن يهودياً يدعى عبد الله بن سبأ كان قد تظاهر باعتناق الإسلام وكان في البصرة ثم الكوفة ثم في مصر، هو رأس الفتن كلها إذ التف حوله المتآمرون الذين كانوا يبثون الأكاذيب والشائعات في كل مكان وقد استطاعوا أن يؤلبوا الناس على الخليفة عثمان. الشيخ الذي أدى إلى قتله وهو جالس يقرأ القرآن الكريم. وكان ذلك في ١٧ يونيو سنة ٦٥٦م ويعتقد أن

نحن في حاجة إلى تفصيل طريقة القتل أو موقف علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وغيرهم إلا أننا لابد أن نذكر أن الخليفة كان قد حوصر في بيته لمدة أربعين يوماً وفي رأي بعض المؤرخين أن المدة هي اثنان وعشرون يوماً، وكاد مع أهله أن يموت من العطش دون أن يحاول أحد من هؤلاء الصحابة مساعدته في فك الحصار عنه أو مساعدته في إطفاء نار الفتنة مع الأسف. وكانت نتيجة ذلك الموقف كارثة وخيمة أمن، وسنرى كيف جر مقتل عثمان إلى فتن كبرى وتقاتل شرس وخلاف شديد بين أهل البيت أنفسهم وبين بني هاشم وبني أمية بين علي ومعاوية وظهور فئات مختلفة، تسمت بأسماء مختلفة واحدة تناصر هذا والأخرى تناصر ذاك وثالثة تختلف مع الجميع ... إلخ

ولقد غاب المنطق والعقل ليحل محلهما السيف والفتن والدسائس ويختفي الحماس للإسلام وعظمة ما تحقق في عهد النبي وعهدي أبي بكر وعمر وبداية عهد عثمان .

علي ومعاوية وقميص عثمان :

سيطر المتمردون على المدينة مباشرة بعد مقتل عثمان وربما يمكن القول أن هذا أول انقلاب مسلح في تاريخ الإسلام إذا صح هذا الوصف، ولقد اختلف الناس رغم أن دولة الإسلام أصبحت مهددة بالتفكك والانحلال وهي متباعدة الأطراف. فقد حدث أن أهل الكوفة كانوا يريدون الزبير وأهل مصر يؤيدون علياً وأهل البصرة يؤيدون طلحة، وقد مرت خمسة أيام على هذا الحال[1] وكان أحد الأمويين قد أخذ قميص عثمان الملطخ بالدماء وأصابع زوجته (نائلة) التي قطعت عندما كانت تحاول حمايته باتقاء ضربة سيف ونقلها إلى معاوية في دمشق وهو أموي تربطه بعثمان صلة القربى ومعروف بالدهاء والفطنة. لقد استقر الرأي على مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة، وإن اختلفت روايات المؤرخين في كيفية المبايعة وكيف أن علياً تقدم

(1) يذكر الطبري أن البيعة لعلي تمت بعد مقتل عثمان، ويذكر ذلك أيضاً ابن سعد، وكان سعد بن أبي وقاص قد بايع علياً مع من بايعوه

على طلحة والزبير، وبذلك رجع المتمردون إلى الكوفة والبصرة والفسطاط وإن كانت النار تضطرم تحت الرماد. وعلى الرغم من أن علياً ابن عم النبي وزوج ابنته فاطمة وأحد الثلاثة الأُول في الإسلام وكان في العاشرة من عمره عندما أسلم. كذلك فقد كان بطلاً من أبطال الإسلام فإن الزبير كان البطل الذي اقتحم حصن بابليون في غزوة مصر وهو كذلك ابن عمة الرسول، أما طلحة فهو أحد أبطال معركة أُحد وقد أصيب في تلك المعركة وهو يحمي رسول الله من ضربة سهم استهدفته .

وكان الخلاف قائماً بين الهاشميين منذ زمن. وبعد أن عاد المتمردون بقيت المدينة تحت رحمة العبيد والموالي الذين عاثوا في البلاد فساداً وتحرشوا بالناس ولم يعودوا يطيعون أوامر سادتهم وارتكبوا الكثير من الجرائم في عاصمة الامبراطورية التي تكاد أن تصير نهباً حيث إن القبائل العربية المحيطة بها يتوقع منها أن تنتهز فرصة الفوضى هذه فتشارك في النهب والقتل .

والخليفة الجديد وهو الرابع (علي بن أبي طالب) لم يشأ أن ينهض ويتخذ الإجراءات ضد قتلة عثمان رغم ما قدم إليه من نصح، وقد قام بعمل غير مدروس ولا مترو عندما عزل كل الأمراء الذين كان عثمان قد عينهم بل وحتى أولئك الذين كان قد عينهم عمر بن الخطاب كحالة معاوية بن أبي سفيان، وهذا التصرف جعلهم يعتقدون أو ربما يجزمون بأن علياً كان وراء مقتل عثمان لأنه لم يلاحق القتلة ولأنه عزل ولاة عثمان ربما خوفاً من أنهم سوف يطالبونه بمعاقبة قتلة عثمان، ورغم ما أقدم عليه علي بن أبي طالب فإن ولاته لم يتمكنوا من استلام مهام إماراتهم وذلك كان بداية عدم قدرة الخليفة الجديد على فرض السيطرة من دار الخلافة وهذه فرصة كان ينتظرها كثيرون ومنهم معاوية في دمشق، وكان علي بن أبي طالب يتبع طريقاً آخر في محاولة منه لتأكيد دور أمير المؤمنين في منصبه الأول فكتب إلى أبي موسى الأشعري في الكوفة وإلى معاوية بن أبي سفيان في دمشق وكان الأول قد رد على الخليفة بينما لم يرد الثاني إلا بعد وقت طويل، وعندما رد كانت رسالته تقول: « من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب » وهذا يعني أنه لا يعترف

يعني كأمير للمؤمنين ، وكانت المعلومات قد وصلت عليا تؤكد أن ستين ألفا من المقاتلين يبكون في دمشق على قميص عثمان وأنهم يطلبون الثأر وتأكد علي أن الحرب آتية لا ريب فيها وهي أقرب وقت، وهكذا أصدر الأمر بالاستعداد للحرب وبعث بوفود إلى الأمصار يدعوهم لمساعدته على أنصار الفتنة ولأنه كان يتجاهل نصائح الزبير وطلحة ونظرا لشكوكهما في موقفه فقد غادرا المدينة إلى مكة لأداء العمرة وكانت عائشة أم المؤمنين هناك وهي التي لا تخفي شكوكها وريبتها في نوايا علي منذ اتهمه في حادثة الإفك إضافة إلى وجود عدد من الأمويين الذين تركوا المدينة خوفا من علي وقام الزبير وطلحة بإعلان الثورة على علي حيث توجها على رأس جيش من مكة إلى البصرة وكانت معهما عائشة وذاع القول بين الناس أن عليا هو المشجع على قتل عثمان لأن عليا قد رفض القصاص من قتلة الخليفة وكانت عائشة تخطب في الناس فتقول « سفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام » وهي بذلك تشير إلى علي ومن معه. وصارت صيحات الحرب والثأر هي الأعلى، وبدأ كل طرف يعد العدة لليوم الفاصل وهكذا فإن الدولة الفتية، الأمير طرية النشأة ومجد الفتوح والانتصارات التي لم يمر عليها أكثر من ربع قرن أصبحت في مهب الريح بسبب التنافس والتآمر والتحيزات من عرب وغير عرب، من طلاب السلطة وطلاب المال، ولم تكن السيوف موجهة إلى أعداء الله وإنما إلى صدور المسلمين وصارت الحرب آتية بين فئات إسلامية ثلاث وهي كذلك بين صحابة رسول الله وذوي قرباه. لقد استعد علي ومن معه واستعد طلحة والزبير ومن معهما واستعد معاوية ومن معه، كان علي وأشياعه في ذي قار وطلحة والزبير في البصرة ومعاوية في دمشق والنار تستعر، وعندما اقترب جيش علي من البصرة خرجت قوات طلحة والزبير لملاقاته إلا أن عليا أرسل يطلب التفاوض وتم الاتفاق مع الزبير على عدم القتال، ويذكر المؤرخون أن عليا قد وافق على محاكمة قتلة عثمان بعد أن تستقر الأمور لكن المتآمرين كانوا لا يريدون أي اتفاق لأنه سيكون على حسابهم فانتشروا بين صفوف الجيش الذي يتبع الأكاذيب ودبروا مكيدة أدت إلى التحام الجيشين صباح اليوم التالي ولم يشترك الزبير في

القتال لأنه عاهد عليا ألا يقاتله إلا أنه قتل قرب مكان المعركة واختلف المؤرخون في سبب مقتله، أما طلحة فقد جرح في المعركة ونقل إلى البصرة فمات هناك وكانت عائشة بهودجها مع جيش طلحة والزبير تحث الناس على القتال إلا أن جملها عقر من الخلف وسقط على الأرض حيث تحطم الهودج وقد عرفت المعركة باسم (معركة الجمل) نسبة إلى جمل عائشة وحدثت في ديسمبر سنة ٦٥٦م، وقد قتل فيها عدد هائل من المسلمين قيل إنه يزيد على العشرة آلاف من الطرفين (١) وعامل علي رغم ذلك السيدة عائشة معاملة كريمة وأعادها إلى المدينة في صحبة أخيها محمد بن أبي بكر ثم دخل البصرة التي غادرها بعض الأمويين خوفا من الانتقام على الرغم من أن علي بن أبي طالب قد دعا إلى الرفق والتسامح حتى مع الجيش المهزوم وكلف ابن عمه عبد الله بن عباس بإمارة البصرة وكان ذلك في شهر يناير سنة ٦٥٧ م وقرر أن تكون البصرة عاصمة للخلافة وهي المرة الأولى التي تنتقل فيها العاصمة في عهد الخلفاء الأول (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) بعيدا عن المدينة ومكة

كان عمرو بن العاص يعيش في المدينة منذ عزله عثمان للمرة الثانية وعندما بويع علي بن أبي طالب أميرا للمؤمنين قرر عمرو أن ينضم إلى معاوية وذلك بعد معركة الجمل التي قتل فيها طلحة والزبير، وانضمام عمرو إلى معاوية لا يخلو من الفطنة والذكاء وهو الشيء الذي عرف به عمرو بن العاص على الرغم من أن عليا كان منتصرا في تلك المعركة مما يؤكد قوة موقفه .

وعندما استعد علي للحرب المتوقعة بعث كاتبه إلى معاوية برسالة يطلب منه الاعتراف بخلافته وعدم الخروج على إجماع المسلمين، لكن معاوية وقد واتته الفرصة أجاب أنه لن يبايع عليا إلا إذا عاقب قتلة عثمان وبذلك خرج علي بن أبي طالب على رأس جيش كبير من الكوفة مجتازا المدائن في اتجاه الموصل ومنها إلى الرقة على نهر الفرات ثم عبره ليلتقي بجيش معاوية في صفين شمال غرب الرقة في شهر مايو سنة ٦٥٧م وقام في محاولة أخيرة بطلب التفاوض بينما كان معاوية

(١) ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن العدد بلغ ثلاثة عشر ألف من القتلى

مصرا على معاقبة قتلة عثمان قبل أي شيء آخر وعلى الرغم من طلب التفاوض فإن نوايا علي لم تكن تخفى على معاوية ذلك أن عليا قد عين محمد بن أبي بكر أميرا على مصر وهو أحد الذين اقتحموا بيت عثمان وشهد مقتله كما أن أحد أبرز قادة جيش علي كان (مالك الأشتر) وهو رأس الفتنة ومحركها ولم يكن بد من القتال وحسم الأمر بالسيف، وخلال اليوم الثالث أو الرابع من القتال الضاري بين الطرفين ظهر أن بوادر النصر كانت في جانب جيش علي وهكذا اقترح عمرو بن العاص على معاوية أن يأمر المقاتلين برفع المصاحف (القرآن الكريم) طلبا للاحتكام إلى شريعة الله عز وجل ففعل وارتفع الصراخ منادين (هذا كتاب الله بيننا وبينكم) وحدث خلاف شديد بين أنصار علي منهم من كان يرفض ومنهم من يطالب بالموافقة، ولما كانت الأغلبية توافق فقد بعث علي إلى معاوية يسأله ماذا يريد، فقال معاوية « نرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه. تبعثون منكم رجلا ترضونه ونبعث منا رجلا ثم نأخذ عليهما عهدا بأن يعملا بكتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما يتفقان عليه » وكان لابد أن يقبل علي وأصر أنصاره على تكليف أبي موسى الأشعري ممثلا لهم في التفاوض أما معاوية فقد اختار عمرو بن العاص رجل الذكاء والدهاء ويذكر المؤرخون أن مجرد قبول علي بالتحكيم كان نصرا لمعاوية لأن عليا هو الخليفة ومعاوية مجرد أمير على سوريا وقد تساويا في المبدأ عند التحكيم، ومنذ البداية رفض عمرو بن العاص أن يذكر في مسودة الاتفاق أن عليا أمير للمؤمنين قائلا إنه أمير على جيش وقبل التفاوض .

لكن القتال قد توقف انتظارا لنتيجة التحكيم وتم توقيع اتفاق التحكيم في صفين ورجع علي إلى الكوفة ومعاوية إلى دمشق وكان بين أنصار علي من يستنكر هذا الاتفاق وذلك كان بداية الخروج على علي

اجتمع الحكمان في يناير سنة ٦٥٨م أي بعد ستة شهور من توقيع الاتفاق الأول في مكان يسمى أذرح شرق الأردن وكان مع كلا الحكمين أربعمائة رجل كذلك كان هناك مراقبون من الصحابة، وعندما اجتمع عمرو بن العاص مع أبي موسى الأشعري اقترح الأول رغبة في وحدة المسلمين وعدم سفك الدماء (كما قال) خلع كل

من معاوية وعلي ثم ترك الأمر للمسلمين ليختاروا خليفة بدلا من هذين الاثنين لأنهما لن يتفقا، وكانت هزيمة لعمرو بن العاص إذ كانا خيمتين وجيشين في خيمة فوافق أبو موسى الأشعري وخرجا على أولئك الذين كانوا ينتظرون بما اتفقا عليه اتفقا على خلع الاثنين (علي ومعاوية) وترك الأمر للمسلمين لكي يختاروا ، وإن كان عمرو قد وافق فقد جعل أبا موسى الأشعري يعلن هو الأول خلع الذي يمثله. فأعلن هذا خلع علي ، وجاء دور عمرو بن العاص فقال « إنه قد سمعتم أن أبا موسى قد خلع عليا أي أنه خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية في إمارة المسلمين لأنه ولي عثمان والمطالب بدمه وهو الأحق بالخلافة.

ولقد اختلف المؤرخون في الأسباب والوعود ولماذا خلع أبو موسى عليا وكيف رتب عمرو بن العاص هذا الوضع .

وتفرق الناس ولم ينتج عن هذا التحكيم إلا المزيد من الخلاف وأصبح معاوية خليفة للمؤمنين بحكم الواقع لأن عليا كان قد وافق على التحكيم وسلمت الخيمة على وكيله. وصار من حق الخليفة الجديد أن يلزم الجميع بالطاعة وما كان من علي إلا أن قاتل الذين خرجوا عليه وهزمهم في النهروان، وقد عرفوا وقتذاك بالخوارج

وقيل إن معاوية وعد عمرو بن العاص بإمارة مصر مرة أخرى إذا ما انتصر في التحكيم وهو ما تؤكده الأحداث بعد لقاء أذرح. ذلك أن معاوية كلف عمرو بن العاص بالزحف على مصر التي كان أميرها محمد بن أبي بكر الذي عينه علي بن أبي طالب، ولم يلق عمرو بن العاص مقاومة تذكر وقد انتصر على محمد بن أبي بكر الذي قتل شر قتلة، وحكم عمرو مصر معترفا بمعاوية بالخلافة (أميرا للمؤمنين)

ولقد استشرى الخلاف وقامت الثورات وتقاتل المسلمون فقامت ثورة في البصرة وثورة في فارس، وثورة في كرمان، وغارت على الأنبار وعين التمر ، حتى جيش سوريا مكة والمدينة سنة ٦٦م ليجبر الناس على الاعتراف بخلافة معاوية ، وظهر الخلاف على عليّ من أقرب الناس إليه مثل أخيه عقيل بن أبي طالب الذي

انضم إلى معاوية، ثم قتل ابن ملجم علي بن أبي طالب في ٢٠ يناير سنة ٦٦١م وكانت نهاية مأساوية

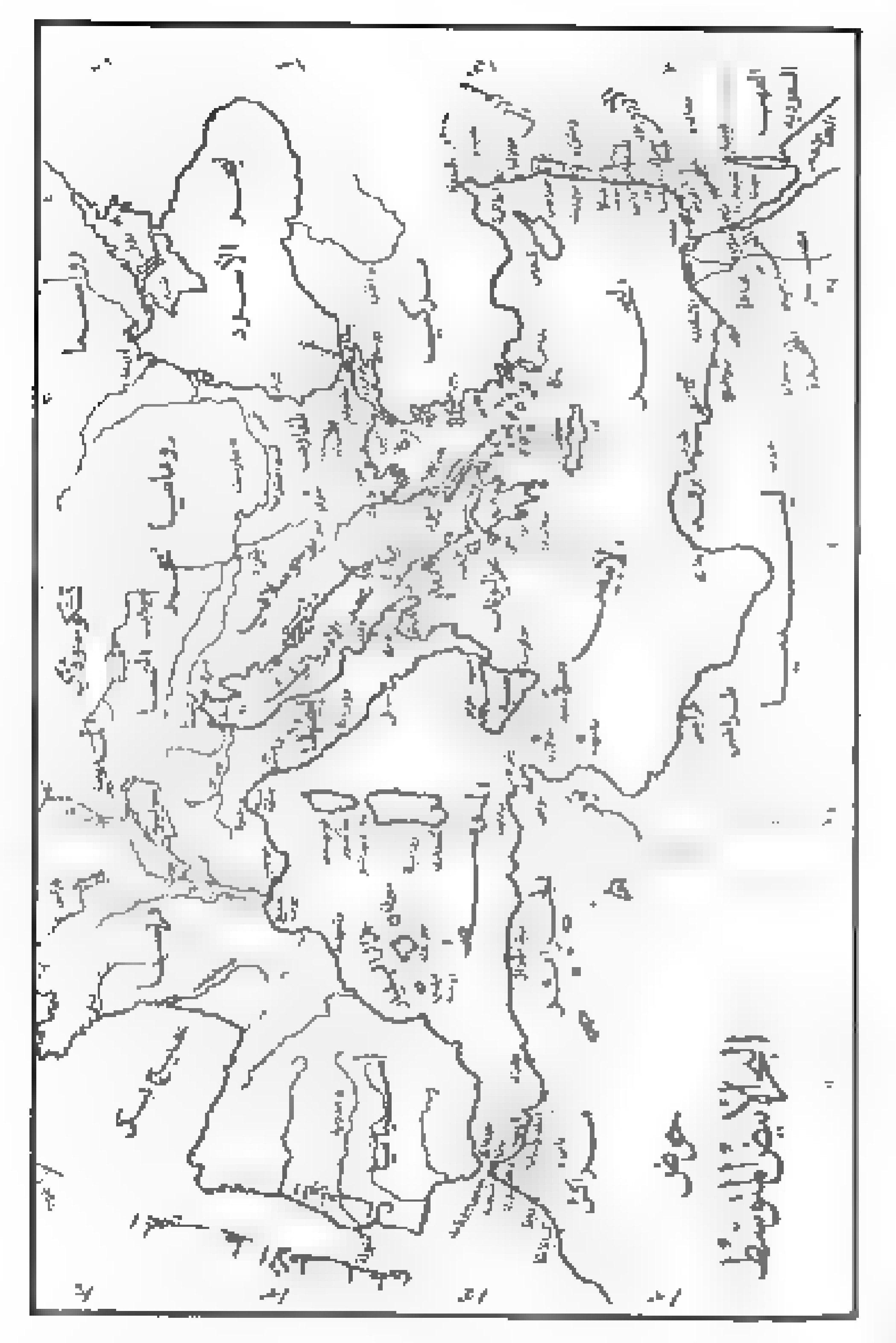
وبذلك خلت الساحة لمعاوية الذي كاد أن يُقتل هو الآخر في نفس الوقت الذي قُتل فيه علي بواسطة البرك الذي أصابه بجرح .

كان هذا هو الوضع العام في الامبراطورية العربية الإسلامية قبل تولي معاوية الخلافة وإن كان أميراً على سوريا في عهدي عمر وعثمان بن عفان، وهي فترة حرجة حافلة بالانتصارات، الطموح ثم بالثورات و الانقسامات والتقاتل و التنافس، وبمقتل علي انتهت خلافة الراشدين التي ابتدأت بأبي بكر الصديق وعلى الوجه التالي

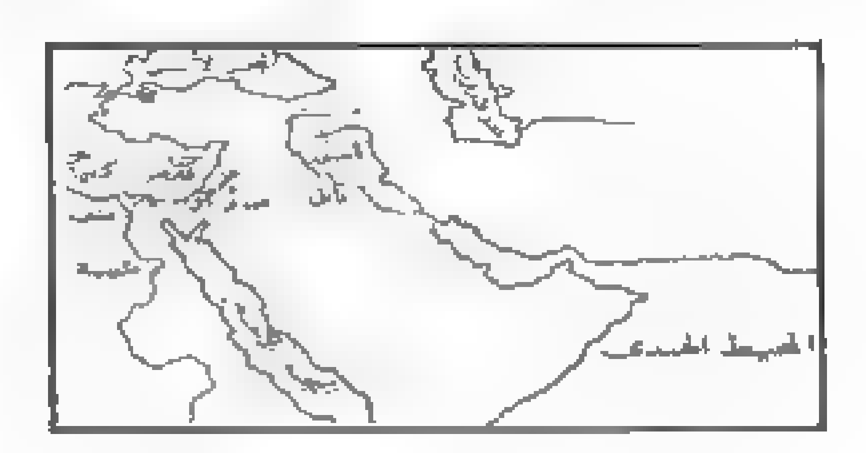
أبو بكر الصديق أول الخلفاء من سنة ٦٣٢ ميلادية إلى سنة ٦٣٤ميلادية، بعده عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء من سنة ٦٣٤ ميلادية إلى سنة ٦٤٤ ميلادية ثم عثمان بن عفان الخليفة الثالث من سنة ٦٤٤ ميلادية إلى سنة ٦٥٦ ميلادية الخليفة الرابع علي بن أبي طالب من سنة ٦٥٦ ميلادية إلى سنة ٦٦١ ميلادية

وكان عصر هؤلاء الرجال يتسم بالتقشف والعدل والمساواة في شئون المسلمين ذلك أنه عهد قريب من عهد الرسول ﷺ وكان هؤلاء الخلفاء قد تأثروا بسيرته لأنهم عايشوا دعوته وجهاده وتخلقوا بأخلاقه وكانوا جميعاً أصدقائه ومن ذوي قرباه

أما الوضع في قبرص فقد كان شبيهاً، ذلك أنها مستعمرة يتوالى عليها الحكام وسنعرض له وهو ما نعرض له في الفصل التالي .



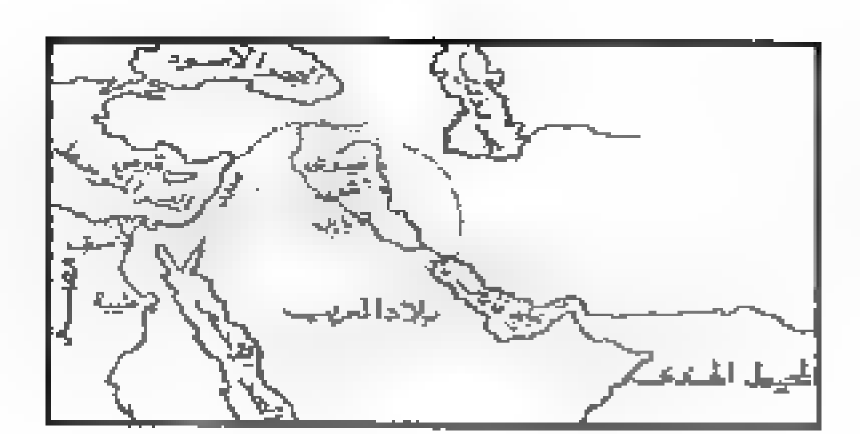
قامت الحضارات كما هو معروف على شواطئ البحار والأنهار، وهكذا كانت الحضارة المصرية، مصر الفرعونية فقد قامت على ضفاف وادي النيل تلك الحضارة العظيمة التي ما زالت آثارها باقية ونهلت منها الحضارات الأخرى، وهي متصلة بالبحر الأبيض المتوسط وكذلك كانت حضارة بابل وآشور على دجلة والفرات، و بحضارة بمبيمه ،لحل أحد وعطاء كما أن الأنهار والبحار ممرات وشرايين اتصال



دولة مصر

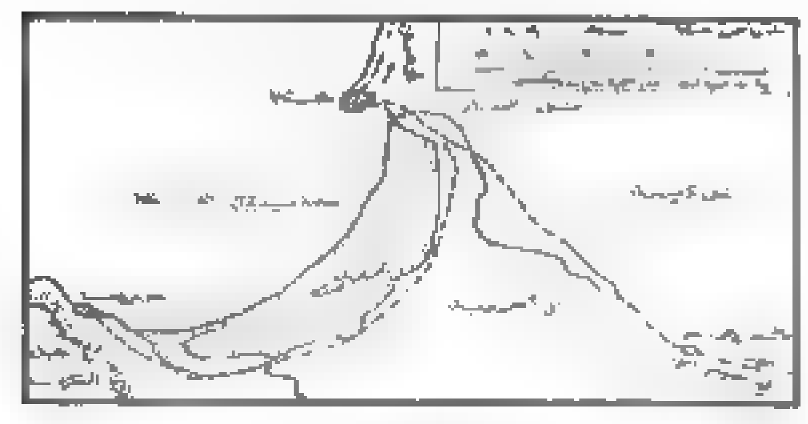


دولة بابل



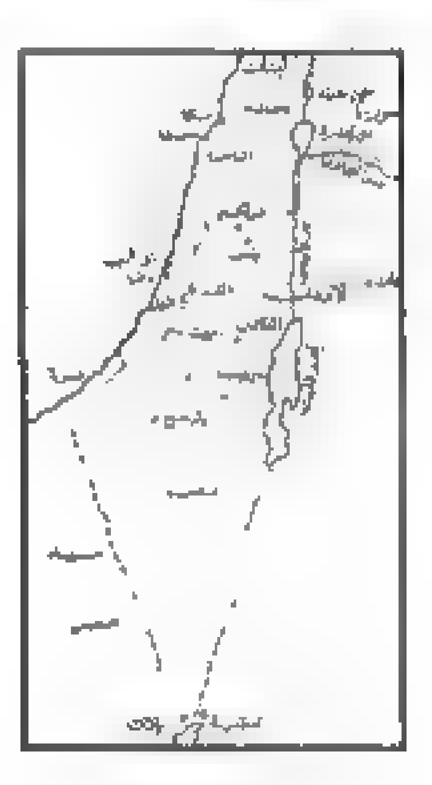
دولة بابل

عكا .. كانت في العالم مسرحا للأحداث والحروب
في جولات عديدة منذ بداية الفتح الإسلامي



عكا وضواحيها

فلسطين أرض المقدسات اليهودية والمسيحية والإسلامية، أرض الأديان الثلاثة وهي كانت ومازالت مسرح الصراع والحروب والتقاتل، هي أرض الأنبياء وكان يجب أن تكون أرض سلام وكل المطامع والأغراض والتناحر حولها إلى أرض حرب. فتحها المسلمون لأنها كانت أولى القبلتين، ولم يعتدوا على المقدسات الأخرى التي يحترمونها، وما فعله الخليفة عمر بن الخطاب دليل على ذلك. ثم جاءها أولئك الذين يريدون طرد أمة محمد باسم أمة عيسى، وكان يجب أن تلتقي أمة محمد بأمة عيسى وتتحد ولكن مع الأسف حدث العكس، وفلسطين الآن أيضا أرض حرب لأن أمة موسى لا تريد أن تعترف بحق الأمتين الأخريين وذلك عكس الحقيقة والتاريخ، ولن يحل السلام إلا إذا تعايشت الديانات الثلاث ومعتنقوها معا



فلسطين

الفصل الثاني

الوضع العام في قبرص قبل خلافة معاوية

« يا لها من سقطة أيها الناس .. شملتنا جميعا .. أنا وأنتم .
بينما كانت الخيانة تترعرع فوق رؤوسنا، لقد انتقلت سلطة الحكم إلى
الوحوش الكاسرة وفقد الناس عقولهم »

من مسرحية
شكسبير (يوليوس قيصر)

من المعروف أن الموقع الجغرافي للبلدان وما يقع فيها له علاقة مباشرة بحياة الناس وأدوارهم التي لعبوها في أحداث التاريخ والبلدان وأهمها تأثير وأثر وتأثر بمن حولهم بجوارهم في الموقع الجغرافي وخصوصا تلك البلدان التي تمثل معابر للغزاة والمغامرين والفاتحين مثل مناطق الحدود بين البلدان والجزر في البحار.

وقبرص جزيرة في وسط البحر الأبيض المتوسط وهي بذلك تفرض على سكانها الذين يعيشون فيها نوعا من العزلة والانغلاق على الذات. وهذا الوضع لا يخص هؤلاء الناس فقط وإنما هي حالة وظاهرة إنسانية عامة يشاركهم فيها سكان الجزر الأخرى في هذا البحر والبحار الأخرى من عالم المسكون، وهذه الحالة معروفة لكل من راجع التاريخ واطلع على أحوال البشر في حياتهم ماضيها وحاضرها وكانت علاقة قبرص ببلاد الشام (حسب المفهوم التاريخي الواسع) كعلاقتها بالأناضول (آسيا الصغرى في العموم) وهي لا يمكن أن توضع على نفس المستوى في علاقتها مع مصر واليونان وذلك لقربها منهما وبعدها من هاتين، على الرغم من عمق تأثير مصر واليونان معا في ماضي قبرص قبل المسيحية والإسلام، فهذه الجزيرة ومن حيث الواقع هي تحت سيطرة شامية أو أناضولية لأنها تمثل حصن أمان لهما وهي كذلك باب مفتوح على سائر الشعوب وجميع الأسواق في منطقة البحر الأبيض المتوسط في حالة التصدير أو الاستيراد، وعندما تكون هذه الجزيرة تحت سيطرة دولة أخرى سواء أكانت قريبة أم بعيدة فإنها تمثل رأس حربة موجهة إلى الأقاليم الآسيوية التي تطل شواطئها على حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر فإن الفرصة للوعي بهذا الدور الذي يفرضه عليهم الواقع الجغرافي مصيرا محتوما كانوا ومن واقع أحاسيس ومشاعر

معرفة فيهم أحرص على حيادهم في تلك الصراعات بين القوى الكبرى من حرصهم على استقلال تام وحرية يدركون أنهم لا ولن يحتفظوا بها إلا متى اعترفت لهم الأطراف المتصارعة بحيادهم ذاك، ذلك أن تعدادهم ومساحة أرضهم المحدودة ومصالحهم الاقتصادية لا تجعل منهم قوة عدوانية أساسية أو مساندة يخشى جانبها الشام أو الأناضول أو مصر أو اليونان.

ولهذا فإن النظرة الموضوعية إلى هذه الجزيرة قاصرة على أنها ساحة لا يجب أن ينفرد بالسيطرة عليها طرف آخر سواء كان صديقا أو خصما لمن فيها من الناس. في هذا الإطار ومن خلال هذا المنظور العام والموضوعي علينا أن نعرف تاريخ قبرص القديم والأقدم والحديث وربما المعاصر (رغم التطور التكنولوجي) فإن لم نفعل ودخلنا فيه مذهب آخر خاص أو تحيزنا فيه إلى جانب دون جانب بسبب تيار قومي أو حضاري من التيارات المتصارعة في الفترة التي يؤرخ لها صعب علينا إدراك الدوافع في العديد من المواقع والأحداث المروية، ومع هذا إلا أن تاريخ قبرص ليس إلا حلقات مترابطة متصلة بما للأقاليم المحيطة من وراء البحر من تاريخ. ونحن هنا لا نقدم تفصيلا لتاريخ وإنما نقدم تذكيرا بأحداث التاريخ كمقدمة لفترة تاريخية لاحقة نراها ذات أهمية بالغة، ولابد أن نذكر أن تواجد الإنسان على هذه الجزيرة يرجع إلى عصر قديم يصعب تحديده بدقة إلا أن مجتمعا بشريا على درجة من حضارة العصر الحجري الحديث مؤكد تواجده بقبرص قبل (٧٠٠٠ سنة) قبل الميلاد، كذلك فإن مراكز لحضارات من ذلك العصر عثر عليها في أماكن عديدة بلغت حوالي أربعين مركزا. وقد أظهرت الدراسات فيها وجود شعب ممارس لمهنة الزراعة ومستأنس لبعض أنواع الحيوانات من أشباه العصري في الألف السادسة قبل الميلاد. وقد أرجع الباحثون موطنه الأصلية إلى مناطق الأناضول بآسيا الصغرى، وفي الألف الخامسة قبل الميلاد عرفت جزيرة قبرص صناعة الفخار كما أنه في الألف الرابعة بدأ الإنسان القبرصي يستخرج النحاس الذي ازدهر تعدينه وتصدير الجزيرة له منذ الألف الثالثة قبل الميلاد وربما قبل ذلك. ولقد اجتذب هذا المعدن النادر الأهمية آنذاك بحلوله محل الأدوات والآلات الحجرية والفخارية انتباه

الكثير، وقد صنعت منه التماثيل وغيرها في سائر البلاد المحيطة بالحوض الشرقي للأبيض المتوسط كذلك جاء العديد من الناس إلى الجزيرة وتطورت الأوضاع السياسية حيث حدثت الأطماع وبدأ الاحتلال وكثر المغامرون، فقد تعرضت جزيرة قبرص لغزو المتصارعة وغيرهم في فترات مختلفة كما يلي:

المد اليوناني:

في خلال الألف الثانية قبل الميلاد امتدت سيطرة أهل كريت المينويين إلى جزيرة قبرص، كما امتدت إليها قبل ذلك وبعده سيطرة مصر الفرعونية، ولكن الفينيقيين كانوا في النهاية هم الغالبون عمرا واقتصادا ولغة وثقافة، فقد كانوا الأقرب إلى الجزيرة من حيث الأرض من غيرهم وكانوا في الواقع بحارة المتوسط في ذلك الوقت كما كانوا التجار والصناع، ومن المعروف أن التجارة والصناعة وإتقان صناعة السفن والبحر عوامل أساسية ممكنة للسيطرة و الاهتمام بالمناطق القريبة والبعيدة لمزيد من الفرص والأسواق وبالتالي التقدم والقوة.

وفي حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد طرأت على تلك الأقاليم المحيطة بالحوضين الأوسط و الشرقي للبحر الأبيض المتوسط شعوب آرية (هندأوروبية) عرفت في نصوص مصر الهيروغليفية (بأقوام البحر) التي وإن ورد ذكرها في مصر برا وبحرا على ما ذكر في التاريخ إلا أنها قد استحدثت بها مواطن في مناطق أخرى من شمالي الحوض الشرقي والحوض الأوسط من البحر الأبيض المتوسط وكانت جزيرة قبرص واحدة من تلك الأقاليم، وبعد نزاع وصراع وتزاحم وتدافع بين الشعوب والحضارات والثقافات تغلبت الهيلينية على الفينيقية في هذا الجانب من البحر، وسادت مع بدايات الألف الأولى قبل الميلاد لغة وثقافة ومعتقدات اليونان بجزيرة قبرص فأصبحت وأهلها يعدون من اليونان سوراتهم في تلك الهيلينية حتى ولو لم يكونوا من أبناء اليونان مولدا ولا أصلا، ومن الطبيعي أن اللغة و الثقافة والتقاليد عناصر أساسية في تكوين الأمة وترسيخ الانتماء

المد الآشوري:

ولم تكن لليونان الغلبة التامة في الجزيرة على الفينيقيين، ولذلك الصناع والتجار الذين استمرت لهم تجارتهم في مراكز مختلفة ومدنهم الخاصة بهم كما كان للقبارصة الأصلاء مراكزهم التجارية ومدنهم العامرة على الساحل السوري من القارة الآسيوية، وكانت القرون العاشر والتاسع والثامن قبل الميلاد عهود ازدهار وثراء لم يعرف القبارصة له مثيلاً آنذاك

وفي أواخر القرن الثامن قبل الميلاد خضعت قبرص لملك آشور (سرجون الثاني) واستمرت كذلك حتى سنة ٥٨٥ قبل الميلاد وفي هذه السنة تمكنت مصر على عهد (إبريس الليبي الأصل [١]) من القضاء على قوة آشور البحرية القبرصية فتهيأ ذلك على خليفته (أحمس المصري) والذي يعرف باسم (أمازيس ضد اليونان) الاستيلاء على كامل الجزيرة وإخضاعها لسلطان مصر، ولم يكن المصريون في سيطرتهم على الجزيرة كالفرس يكتفون من أهل البلاد بالخضوع السياسي والإقرار بالتبعية (وكما فعل العرب فيما بعد) وإنما كانوا يعاملون مستعمرين، الأمر الذي دفع القبارصة إلى الانضمام للفرس والإسهام معهم في حربهم بالشام ومصر، فلما انتصر قمبيز عادت قبرص إلى ارتباطها بالفرس وإن في ثياب الحليف.

تحالف القبارصة مع الفرس:

عادت جزيرة قبرص تدور في فلك النفوذ الفارسي منذ سنة ٥٢٥ قبل الميلاد وعادت إليها حريتها الداخلية (استقلال ذاتي) كحليف فأصبح حكام القبارصة في دويلات المدينة من نفس الشعب حتى وإن كانوا حلفاء دولة الفرس وأتباعها، فقد كان لكل مدينة ملكها وجيشها ونقدها القبرصي الخاص بها، ولكن ورغم هذا فإن الجزيرة لم تسعد بالسلم ربما لأنها لم تكن في سائرها يونانية ولا كانت فينيقية

(١) من ملوك الأسرة ٢٥ المصرية، وكانت الأسرات الليبية الأربع هي: ٢٢-٢٣-٢٤-٢٥ بدءاً من الفرعون شيشانق

وبالطبع فهي غير فارسية لهذا فإن مشاعر الولاء تورثها تيارات وميول غذتها (وكما هي الحال دائماً) أطماع الساسة الذين يسعون إلى الحكم والجاه والسلطان فاندلعت حرباً أهلية (داخلية) قادها أونيسيلوس ضد أخيه قورقوس ملك سلاميس سنة ٥٠٠ قبل الميلاد وقد تمكن أونيسيلوس وكانت ميوله يونانية من أخيه قورقوس وكان هذا فارسي الميول فانتزع ملك مدينته منه. وقد هرب قورقوس فالتجأ إلى حلفائه وحماته الذين هبوا لنجدته بأسطول فارسي حاصر سلاميس ولم يستطع اليونانيون إمداد المدينة ولا المتعصب المحصور فاحتلت المدينة وأعدم المتعصب (ونرى أن مثل هذا الغزو سيحدث بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة من ذلك التاريخ حيث قام الأتراك هذه المرة بحصار بحري حول فاماقوستا وكاربيا سنة ١٩٧٤ م لنجدة القبارصة الأتراك. أي لنفس السبب وإن اختلف الزمن والناس. وهو ما سوف نفصل أحداثه فيما بعد).

عاد الملك المخلوع قورقوس إلى عرشه كما كان، وبطبيعة الحال كان عليه أن يرد الصنيع فجهز أسطولاً قبرصياً من مائة وخمسين سفينة أو مركباً بحرياً قاده بنفسه ليشارك بها في حصار أثينا قبل سنة ٤٨٠ قبل الميلاد (أو لم تكن أثينا نصيرة أخيه أونيسيلوس) ولم يهزم اليونان في تلك الحرب على الرغم من حشد الفرس حلفاءهم من مصر والشام وبرقة وقبرص بل على العكس فقد انتصروا بالرابطة اليونانية وتمكنوا من رد الفرس وألحقوا بهم الهزيمة براً وبحراً، وبسبب ذلك عقدت معاهدة صلح كانت لصالح اليونان وقد تنفسوا معها الصعداء لأن التكاليف كانت باهظة وكان الثمن بالنسبة لنصر اليونان في حربهم تلك كبيراً، فقد سلم اليونانيون فيهم للفرس الذين كانوا معهم قساة بمقدار ما كانوا مع من كان معهم ومتحيزاً لهم كرماء وأوفياء وهكذا ازدهرت سلاميس وأصبح لها على سائر الجزيرة النفوذ والسلطان

ولقد حاولت الفئات ذات النفوذ والميول اليونانية أن تغير من هذا الواقع الجاثم كالكابوس وثارت أكثر من مرة كما خاضت أكثر من حرب غير أنها لم تنجح

في محاولاتها جميعا واستمرت على وضعها حتى تخلصت الجزيرة من النفوذ الفارسي نهائيا على يد الإسكندر المقدوني الأكبر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد.

قبرص بطلمية هيلينية:

مات الإسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ قبل الميلاد تاركا امبراطورية هشة سرعان ما تفككت فتنازع قواده أقاليمها واستولى الأقوياء منهم كل على جانب وأقام كل منهم لنفسه دولة في نهاية المطاف، ولما كان ملوك دولة المدينة في قبرص يدركون خطورة الوضع وأهمية الموقع فقد حرصوا على تجنب الانحياز والتحزب وبقوا على الحياد في الصراع الذي احتدم حتى إذا انتهى إلى غاياته وتقاسم القواد الأقاليم وقعت الجزيرة في دائرة نفوذ بطليموس الذي وضع يده على برقة (قورينة) في ليبيا إلى جانب مصر التي أعلن نفسه فيها ملكا.

ولم يكن بطليموس الأول ممن يتعجل النتائج في القضايا التي من هذا القبيل فآثر على السيطرة المباشرة بالاحتلال سياسة الربط بالأحلاف فعقد حلفا مع ملك سلاميا ومع سوليس وبافوس ولكن انتيجون الذي حار من امبراطورية الإسكندر على أرض مقدونيا لم يكن ليترك قبرص خالصة لبطليموس فراحمه وحالف بدوره ملوك كيتون وماريون ولابيثوس وكيرين وهذه كلها مدن قبرصية وكان من الطبيعي وقد فسدت الأمور بين الاثنين أن يصطدم حلفاء هذا بحلفاء ذاك فانقسمت الجزيرة بسبب ذلك واستمر الصراع فيها طويلا حتى تمكن ديمتريوس ابن انتيجون من التفوق بقواته على قوات بطليموس فأخرج الخصم منها وخلصت الجزيرة بكاملها له في مطلع القرن الثالث قبل الميلاد إلا أن تبعية قبرص لمقدونيا اليونانية لم يطل عهدها فقد عاد بطليموس الأول بقواته هذه المرة ليحتل ويخضع ويسود، وتمكن من استعادة سيادته سنة ٢٩٥ قبل الميلاد فوطد العهد البطلمي الهيليني الذي امتد بعده لمدة حوالي قرنين ونصف القرن من الزمان، ولم ينته إلا بسيطرة الرومان عليها سنة ٥٨ قبل الميلاد، وفي عهد البطالمة هذا تعرض مجتمع الجزيرة لتغيرات جذرية وفي معظم المظاهر والحالات فقد حلت بافوس محل سلاميا

كمركز سياسي وأصبحت عاصمة للجزيرة وتكاثرت بها طوائف اليهود (حتى بلغت مئات الآلاف فيما ذكر[١]) وانتهى أي أثر بها للغة الفينيقية واللغة الفارسية ومعهما الأحرف الهجائية وعلبت اللغة اليونانية حديثا وكتابة حتى أصبحت لغة جميع السكان وذابت الفروق بين الطوائف العرقية حيث حلت فكرة حكومة الاتحاد القبرصي محل دويلات المدينة كما حدث في برقة وتعرف في ذلك الوقت (بنتابوليس) ولم تعد فيها معابد لمعبودات غير يونانية إلا لهيمونايس وأوروبس وانقطعت صلتها أو كادت بيونان الجزر والبلقان وآسيا الصغرى وتوطدت مع الشام وفلسطين ومصر والبنتابوليس، ولم يكن عهد البطالمة في قبرص مع هذا ونحوه عهد سوء بل على العكس كان عهد ازدهار ثقافي وحضاري فقد أنجبت شعراء من أمثال (ديونسيوس وسوباتروس) وفلاسفة ومؤرخين أمثال (زينون) الذي أنشأ بالجزيرة مدرسته الفلسفية التي نادت بعدالة تتوازن فيها حقوق الفرد بواجباته تجاه المجتمع، ونادت إلى اقتدائها بخفض الثراء ما بين الفئات، تلك كانت قبرص البطلمية الهيلينية

قبرص والرومان أو قبرص الرومانية:

لم يعد يعوق الرومان أي عائق عن التطلع إلى الشرق وما يتوفر به من خيرات بعد قضائهم التام على قرطاجنة وسيطرتهم على سائر بلاد اليونان سوى مصر البطلمية التي ضعف أمرها ولم يعد لها على برقة وقبرص غير نفوذ اسمي إذ كان في كل من الإقليمين حاكم شبه مستقل تسمى بالملك ومارس سلطانه مجردا من نفوذ البطالمة المصريين عليه، وربما ذلك لأن الحاكم نفسه من ذات الأسرة والشيء الوحيد الذي كانت روما ترقبه متربصة للانقضاض والاستيلاء هو الذريعة المناسبة والظرف وقد افتعلته في البنتابوليس حيث ادعت أن بطليموس التاسع الملقب بأبيون قد ترك وصية بأن تؤول بلاد برقة إلى الرومان وبهذه الحجة تمكنت

---

(١) يذكر مؤرخو الرومان واليهود أن ضحايا ثورة اليهود في سنوات ١١٤ ـ ١١٧ ميلادية في قبرص كانوا قرابة ربع مليون نسمة وأغلبهم من اليهود الإغريق لغة وثقافة

روما من نشر سلطانها عليها سنة ٩٦ قبل الميلاد ثم ومنذ سنة ٧٤ قبل الميلاد حكموها حكماً مباشراً وبحاكم روماني وقد فصلوها عن مصر وألحقوها أو ألحقوا بها كريت. أما قبرص فإنهم وبعد أن تم لهم الاستيلاء على قيليقيا وعلى سوريا فلم يكن أمرها يحتاج إلى أكثر من مجرد قرار يصدر عن السناتو بعزل حاكمها البطلمي ومصادرة ما عنده من أموال، وكان صدور ذلك القرار سنة ٥٨ قبل الميلاد وقد عهد بتنفيذه إلى ماركو كاتون الذي لم يجد صعوبة في تنفيذ القرار فقد كان كافياً لذلك الوعد بالإبقاء على حياة الملك وعلى سلطانه الديني (وقد كان يعتبر كبير الكهنة إلى جانب أفروديت) وأن يترك له ممتلكاته الخاصة لهذا، وربما لاقتناعه بعدم جدوى المقاومة (اقتناع الملك ومن معه) لم يشهر في وجهه السلاح. ولكن وكما هي عادة المحتلين – والرومان على وجه الخصوص – في التاريخ فإن الوعود شيء والالتزام بها مع قوة وضعف شيء آخر سواء قوة المحتل مع ضعف الضحية) وبالفعل فإن قبرص التي صارت منذ سنة ٥٨ قبل الميلاد مستعمرة ألحقت بقيليقيا ولم يبذل في سبيلها أي مجهود، في مجالات الإعمار والتقدم أو التطوير حتى آلت إلى شيشرون خطيب السناتو الشهير سنة ٥١ قبل الميلاد وعندما جاءها وجد القبارصة في أشد حالات البؤس والعناء فخفض الأتاوات التي كانت مفروضة عليهم من ٤٨ ٪ إلى ١٢٪ كما عمل على إيقاف اعتداءات الجند الرومان على القبارصة المدنيين وتعقب حالات السطو على الأشخاص وعلى ممتلكاتهم (وكانت البلاد في حالة فوضى وعبث من طرف الجنود واللصوص والمرتزقة وكل من جاء من خارج البلاد).

ولم يطلْ ارتباط قبرص بولاية قيليقيا إذ أعادها يوليوس قيصر إلى مصر سنة ٤٧ قبل الميلاد وقدمها هدية منه للملكة كليوباترا إلا أن أوغسطوس عارض في هذا الارتباط بعد معركة أكتيو (شمال غرب اليونان) وجعلها هبة للسناتو سنة ٢٢ قبل الميلاد وقد فصلها عن مصر فأصبحت منذ ذلك التاريخ مقاطعة رومانية غير مرتبطة بمصر ولا سوريا ولا بآسيا الصغرى ولا ببلاد اليونان واستمر وضعها على هذا الحال حتى حدثت تنظيمات ديو كليتيان في أواخر القرن الثالث الميلادي، ذلك باختصار كان شكل قبرص الرومانية أو قبرص في عهد الرومان

قبرص المسيحية :

من غرائب الصدف أن يرتبط تاريخ المسيحية ومنذ البداية برجلين كلاهما إسرائيلي، وكلاهما هيليني الثقافة. أحدهما كان قد استوطن مع ذويه قورينة واستوطن الآخر قبرص، وهما معاً على صلة قرابة شديدة (حيث إن والدتيهما أختان) وكلاهما صاحب إنجيل وهما (مرقص وبرنابا) وأخبار كل منهما مدونة ومذكورة بكل تفاصيلها في كتب المسيحية وفي كتب التاريخ بعامة[١]

ففي سنة ٤٥ ميلادية كان برنابا والقديس بولس يبشران بالدين الجديد بين يهود جزيرة قبرص المتمركزين بكثافة في الجانب الشرقي من الجزيرة وخصوصاً بسلاميا (وهي المدينة التي عرفت باسم (فاماغوستا) فيما بعد، ولكن قومهما هؤلاء لم يستمعوا إليهما وقاوموهما في دعوتهما التي اعتبروها مروقاً عن شريعة الآباء كما يعرفون فاضطرا إلى التجول والتحول بالدعوة إلى بافوس عاصمة قبرص وهي الواقعة في الجانب الغربي حيث غالبية سكانها من القبارصة ومن الرومان ووفقا في دعوتهما تلك إلى حد إقناع حاكم بافوس سرجيو بولس فاعتنق المسيحية وكان أول حاكم روماني يدخل هذا الدين وهذا ما تفخر به الكنيسة القبرصية في تاريخها ويشيد به مؤرخوها حتى وقتنا هذا

أما برنابا فكان مصيره الموت حرقاً بالنار ذلك أن يهود سلاميا كانوا قد قبضوا عليه وقرروا إحراقه بالنار وهكذا حدث ولهذا السبب اعتبرته المسيحية شهيداً، وفي مجمع إفسوس الذي عقد سنة ٤٣٢ ميلادية تم الاعتراف باستقلال الكنيسة القبرصية عن كنيسة أنطاكية وبقي لهذه الكنيسة استقلالها معترفاً لها به حتى الآن. ومما يروى عن هيلين والدة الامبراطور قسطنطين أنها أهدت الكنيسة القبرصية قطعة من الخشبة التي صلب عليها السيد المسيح عندما كانت عائدة من بيت المقدس سنة ٣٢٧ ميلادية، وكانت جزيرة قبرص تتعرض لسنوات جفاف فأمطرت السماء ببركتها ولم يحدث أن تعرضت الجزيرة لجفاف بعد ذلك

(١) يوحنا مرقص (أحياناً تكتب مرقس) صديق ورفيق القديسين بطرس وبولس. وهو صاحب الإنجيل الثاني ويظن أن العشاء الأخير أقيم في منزل والدته. برنابا الرسول فيذكر أنه منسوب لقبرص وقد مات فيها، له إنجيل يسمى باسمه يقال إنه محرف

قبرص واليهود :

كما قد ذكرنا فيما تقدم شيئاً وإن كان قليلاً عن سياسة البطالمة في تشجيع العنصر اليهودي على الانتشار بالهجرة فالتوطن في أقاليم أخرى هو ما يعرف في التاريخ (بالهيلينستية) ومن بين الأقاليم التي تكاثر فيها هؤلاء جزيرة قبرص وقد بلغوا في ذلك الوقت حداً جعلهم يكونون في سلاميس الأغلبية بين السكان، ولم يغير الرومان من هذا الوضع حينما وجدوه بل وحاولوا بتشريعاتهم كتشريع (أوغوستوس وغيره) ترسيخه وتأكيده، بما سمحوا به للجاليات اليهودية في مستعمرات الشرق وبرقة وقبرص. ولكن الدين الجديد (المسيحية) ودعاته وتلاشي سلطان البطالمة وسيطرة الرومان على برقة ومصر وقبرص وفلسطين وسوريا قد غيرت من نفسيات اليهود في سائر هذه البلاد وولّدت فيهم مشاعر التمرد والثورة ضد المسيحيين من نفس اليهود ومن اليونان وضد السلطان الروماني، وكانت الثورة في جميع هذه الأقاليم متزامنة التوقيت موحدة القيادة والزعامة والتنظيم، وكانت دموية مدمرة، بدأت في قورينه وفي الإسكندرية وامتدت في قبرص وفي فلسطين وذلك سنة ١١٥ ميلادية. وحينما كان الامبراطور ترايان مشغولاً عنها في حملته بجيوشه للحرب ضد الفرس تقوى أمر اليهود فارتكبوا في برقة وفي قبرص من الوحشية والتصرفات اللاإنسانية ما يخجل ذكره. ولم تخمد هذه الثورة إلا بالكثير من الدماء ويذكر المؤرخون القدماء أن عدداً من ضحاياها من غير اليهود يقدر بما يقرب من ربع مليون في قبرص وحدها. وكانت نتيجتها تشريد اليهود في الآفاق وإجلاء الأقاليم التي شهدت الثورة منهم إلا القليل. فلم يعد لا في قبرص ولا في برقة على الأقل جاليات يهودية بعد سنة ١١٧ ميلادية ولعدة قرون بعد ذلك.

قبرص والبيزنطيون :

مع أواخر القرن الثالث أو بداية القرن الرابع أعاد الامبراطور ديوكليتيان تنظيم الامبراطورية الرومانية وكانت هذه نواة الانشطار إلى مشرق ومغرب وبالتالي نشأة الامبراطورية البيزنطية التي رسخها قسطنطين، وهذه تسمية للدولة المترامية

الأطراف فرضتها اللغة والثقافة والصراع الحضاري ما بين اللاتين واليونان ورسخت لذلك الوضع السياسة، بمعنى أن بيزنطة وروما لم تكونا إلا محاولة لحل قضية حضارية أثبت التاريخ أن ليس لها من حل غير ذلك. وفي هذه التجزئة والانشطار في الامبراطورية وقعت جزيرة قبرص في حيز الشطر البيزنطي وتبعت عرش الروم البيزنطيين والقسطنطينية فانقطعت أية صلة كانت لها بروما والرومان الغربيين ولكن من نتيجة هذا أن خبا نجم بافوس واستعادت سلاميس ازدهارها وأطلق عليها اسم قسطنطينية (كونستانتيا) فأصبحت العاصمة ولم تنجح محاولات بطريركية انطاكية وقضى الامبراطور زينون على هذا بأن سمح لأسقف قبرص بأن يرتدي جبابه الأرجوانية وأن يوقع بالحبر الأحمر وهو ما لا يسمح به لغير الامبراطور وازداد النشاط التجاري لها مع مصر والشام وكريت والبيلوبونيس ونعمت الجزيرة بشيء من الأمن والسلام في ذلك الوقت.

وممن ينسب إلى قبرص ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان ويذكر أنها قدمت لموقع رأسها الكثير وخصتها بنوع من الرعاية وبشيء من الاهتمام

وفي الربع الثاني من القرن السابع الميلادي ونتيجة لفقدان الروم لسواحل سوريا ولبنان وفلسطين ومصر صارت الجزيرة ولسنوات قاعدة أولى للأسطول البيزنطي وكان هذا باعثاً لاهتمام العرب بها وغزوهم لها سنة ٦٤٨ ميلادية. أما القاعدة المتقدمة للأسطول البيزنطي فقد كانت جزيرة أرواد الشديدة القرب من الساحل السوري ومن المعروف أن العرب كانوا في حالة حرب ودفاع عن النفس ضد البيزنطيين

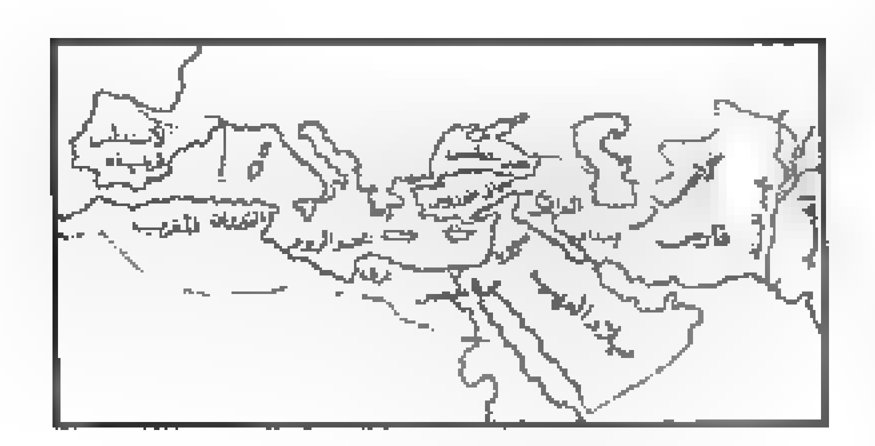
هكذا كان الوضع العام في جزيرة قبرص قبل أن يغزوها معاوية بن أبي سفيان والذي كان يريد غزوها قبل الوقت الذي جاء فيه الغزو الحربي أي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ولو حدث الغزو مبكراً ربما كانت بعض الأحداث والتطورات قد اختلفت، ولكن قناعة عمر بن الخطاب وحذره الشديد حالا دون ذلك حتى وافاه الأجل المحتوم وتولى الخلافة عثمان بن عفان الذي كان هو أيضاً غير مقتنع في البداية بمثل ذلك العمل العسكري الذي لا عهد لجنود المسلمين به ويذكر

أن لعبد الله بن أبي السرح دورا هاما في إقناع الخليفة بأهمية بناء الأسطول البحري الإسلامي وغزو ما وراء البحار وذلك ما حدث وكان تحولا هاما في تاريخ العرب والمسلمين.

ونرى أن العرب الذين احتلوا جزيرة قبرص لم يكونوا استعماريين مثل حالة المصريين الفراعنة ولا مثل الرومان يحتلون ويهدمون أو ينهبون ولا مخربين كما ذكر بعض المستشرقين وبعض القبارصة الذين كتبوا في التاريخ والدليل أنهم عندما احتلوا الجزيرة في المرة الأولى لم يبقوا فيها ولم يطلبوا إلا حيادها وعدم إتاحة الفرصة أو التعاون مع أعداء العرب بحيث تكون الجزيرة مركز هجوم على العرب. أما الجزية التي فرضوها فلم تكن تزيد على ما كان يدفعه القبارصة لغيرهم كما أنهم لم يمنعوا القبارصة من الاستمرار في دفع ما كانوا يدفعونه للغير إذ كان ذلك يخدم مصلحتهم الوطنية. وكذلك نرى أن الجزيرة قدمت كهدية من غزاة آخرين قبل العرب كما أنها قد نهبت بواسطة غزاة آخرين جاءوا في وقت لاحق بعد العرب. وتلك حقائق التاريخ.

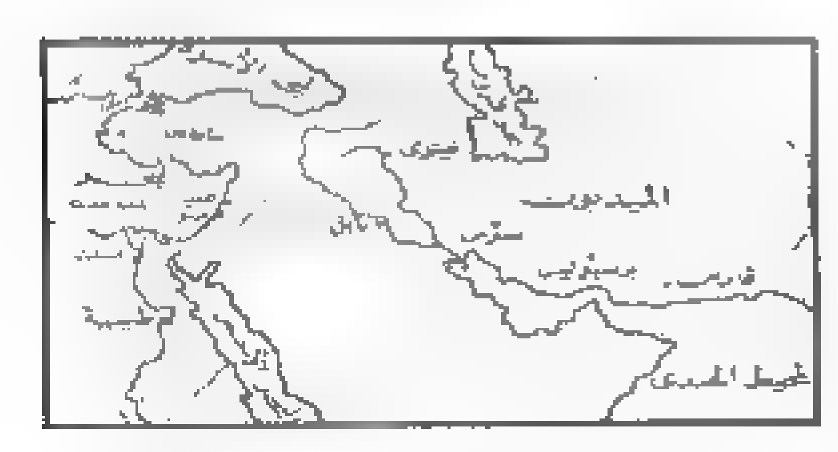


الدولة الرومانية



الدولة العربية

الامبراطورية الفارسية في أوج قوتها وهي إحدى الامبراطوريتين اللتين واجهتهما الدولة الإسلامية الفتية



دولة الفرس

الفصل الثالث

الوضع العام في الدولة العربية

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦)

ولما كانت كتابة التاريخ من جانب واحد لا ترضي الطرفين المشتركين في صنع أحداثه لقيام الرواية أصلاً على التمييز والانحياز فإن المطالع لما يتعلق بهذه الفترة وما يليها من هذا الكتاب وغيره من سائر الكتب العربية قد يجد ما قدمناه فيه مخالفاً بعض الشيء لما أوردته أو تورده كتابات الأوروبيين عن نفس الفترة، وهذا لا يستغرب فهو جد طبيعي ذلك أننا نخاطب القارئ العربي وكتابات الغربيين تخاطب القارئ الأوروبي الأصل، وكلٌ في تاريخه وفي ماضيه رؤيته وسلوكه، وليس في هذا ما يعاب ذلك أن علاقة الإنسان بتاريخه عاطفية عميقة الجذور ومن روايته هي حقيقتها إلا رؤية (أي التاريخ) ووقائعه من جانبين، وكل يرى من زاويته، وتبقى الحادثة حقيقة تعبر عن ذاتها فيه ومن هنا فإن تفسير الأحداث قد يختلف من هذه الزاوية أو تلك، وذلك لا يعاب على كاتب التاريخ ولكن تشويه الوقائع واختلاق الأحداث هو المعيب والمشين، ومن أجل الحقيقة فإننا نجتهد في البحث والمقارنة بين أحداث التاريخ وصناع التاريخ.

وحينما أطل المسلمون العرب على الشواطئ الشرقية والجنوبية الشرقية من البحر الأبيض المتوسط وسيطروا على تلك البقاع لم يكونوا قد أصبحوا بعد قوة بحرية من أي مستوى وشأن. وهم دولة حديثة النشأة والقوة حتى على البر. ولعل أدق وصف لما حدث من العرب ما أورده مؤلف كتاب (تاريخ العرب) وهو كما يلي:

«الفتوحات العربية التي دكت صرح الدولة الفارسية إلى الأساس وزعزعت أركان الامبراطورية البيزنطية ولو قدم في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي أحد وتكهن بأن دولة حافلة تذكر وضخمة الجانب تخرج من مجاهل جزيرة العرب ثم

تنقض على الدولتين العظيمتين المعروفتين فتقوض الدولة الواحدة - دولة الساسان - وتظفر بأملاكها ثم تقتطع من ولايات الثانية - بيزنطة - أرهى مقاطعاتها. نقول لو صدرت مثل هذه النبوءة من فم إنسان في ذلك العصر لحكم عليه الناس بالجنون. والواقع أن هذا ما حدث فعلا. فبعد الرسول ﷺ تغيرت طبيعة بلاد العرب المجدبة وأخذت تنشئ رجالا أبطالا يندر وجود من يشاكلهم في أي صقع كان فكأن أعجوبة حلت فيها. فالحملات العسكرية التي قام بها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص فاتحين بها العراق وفارس وسوريا ومصر هي من أعظم الحملات التي يرويها التاريخ/تاريخ الحروب المدونة، وقد كشفت عن نبوغ قوادها وتفوقهم في أساليب القتال وتعداد أسمائهم مع أسماء نابليون وهانيبال ويوليوس قيصر والإسكندر المقدوني. انتهى[1]

وصحب فكر العرب في غزو البحر لم يستغرقوا في بناء باكورة أسطولهم البحري من الزمن سوى عقد واحد من السنين وما كان لهم في هذا الاتجاه وهذه السرعة من خيار فالبيزنطيون أعداؤهم [illegible] هم في حالة حرب معهم كانوا دولة عريقة ولها أساطيلها البحرية كما لها جنودها البرية فإن أرادت الدولة العربية الوليدة أن تحتفظ بما تمكنت من بسط نفوذها عليه وحمايته ورد الروم البيزنطيين عنه فلا مناص من منازلتهم بحرا ولا يكون [illegible] ولا مطاردة إلا بالأسطول وركوب البحر وكان هذا هو ما بدأه وانصرف إليه ولاة الخلافة في كل من مصر والشام. وجزيرة قبرص من بعد جزيرة أرواد هي أقرب يابسة البحر العامرة إلى سواحل الشام وإليها وكذلك إلى أرواد لجأت أساطيل الروم البيزنطيين في مصر والشام ومن خلجانها ومراسيها اتخذت قواعد بديلة لما فقدته وما كان لها أن تفعل هي الأخرى غير ذلك [illegible]

وهكذا أصبحت قاعدتا الروم البحريتان في أرواد وقبرص هما الشغل الشاغل في تفكير والي الخليفة على بلاد الشام (معاوية بن أبي سفيان) وكان

(1) كتاب تاريخ العرب - الجزء الأول - فيليب حتي

الخليفة عمر بن الخطاب هو أمير المؤمنين في ذلك الوقت، وفي هاتين الجزيرتين يعسكر العدو بقواته البحرية جنودا وأسطولا ومنهما تخرج المراكب وفيهما تكدس الأعتدة وتعد الخطط وبواسطتهما تصل الإمدادات و [illegible] محملة بالرجال لتداهم السكان والأراضي والقوات العربية الإسلامية في مختلف المواقع والأماكن وكان لابد والحالة هذه أن يبدأ التفكير في هذا الأمر بشكل جدي ولابد من إعداد العدة لمواجهة هؤلاء الأعداء في نفس الأماكن واستخدام نفس الوسائل ذلك أن تلك القوات تستهدف بالضرورة بعد أن تتهيأ لها الفرص والظروف وبعد أن تعد نفسها إعدادا يمكنها من تحقيق أغراضها العسكرية التي جاءت من أجلها أن تستهدف السواحل الشامية واللبنانية والفلسطينية والمصرية وتهدد بغاراتها البحرية المدن والقرى والناس.

من هنا ولهذا فإن معاقل الروم البيزنطيين في قبرص هي هدف العرب في الجزيرة ومطلبهم وليس المواطنين القبارصة أو الأراضي القبرصية ولا ما يقتنون من أموال وثروات وسنرى هذا فيما صالحوا عليه القبارصة وما اشترطوه عليهم ومن هنا أيضا وجد القبارصة أنفسهم وعلى غير اختيار منهم ولا اختيار أنهم مركب تتقاذفها الرياح وتعصف بها الأعاصير أو هي فريسة يتصارع عليها العرب المسلمون والروم البيزنطيون (كما هو الحال لقوى أخرى في التاريخ السابق على هذا) وكان كل منهما يريد ألا تكون خالصة للآخر إن لم تكن بكاملها في حوزته وخاصة به ولا حول للقبارصة في هذا، فهو وبحكم الموقع الجغرافي قدر الجزيرة وأهلها المحتوم

وعبر الزمن وبطوله كلما سيطر على تلك الشواطئ المقابلة من آسيا وأفريقيا أكثر من دولة واحدة فتصادم المصالح بينها محتوم ولا مناص منه، وهو ما حدث ويحدث في كل مراحل تاريخ جزيرة قبرص.

قبرص والعرب والروم:

كانت جزيرة قبرص بالذات أول بلد وراء البحر تتعرض للغزو العربي الإسلامي وقد قصدها معاوية بن أبي سفيان وهو يومئذ وال لعثمان (أمير على

بلاد الشام عندما وافق على طلب معاوية اشترط أن يكون الجند الذين يغزون عبر البحر متطوعين بمعنى أنهم راغبين بذلك وأن يكونوا مصحوبين بعائلاتهم (أزواجهم) ولذلك عدة معان أولها أن عثمان كسلفه عمر بن الخطاب كان يخشى الغزو فيما وراء البحر ولا يريد أن يجبر أحداً من جنود المسلمين على مخاطرة كتلك، وثانيها أنه كان يعرف أن تلك الشعوب الواقعة وراء البحر ربما لا تعلم شيئاً عن الإسلام والمسلمين وهو لا يريد مقاتل في سبيل الله أن يعتدي أو ينتهك حرمات أو أعراضاً أو حتى ربما يتزوج من أولئك القوم. قال في موافقته: «إذا ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً وإلا فلا».

وقد قام معاوية بن أبي سفيان بحملته البحرية تلك ويذكرها مؤلف كتاب «الفتوحات الكبرى» على الشكل التالي[1]:

«كان الخليفة عمر بن الخطاب قد عين معاوية بن أبي سفيان أميراً على سوريا. وكان معاوية هذا رجلاً ذا كفاءات نادرة وقد واجهته مشكلة الدفاع عن سوريا ضد الروم فأدرك أنه ليس ثمة خطر يخشاه من ناحية البر لكن معظم المدن الغنية والمناطق الكثيرة العمرية تقع على سواحل البحر الأبيض المتوسط يضاف إلى هذا أن العنصر العربي لم يحسن قط نفوذه إلى المناطق الساحلية كما كانت الحالة بالنسبة لدمشق الواقعة على أكتاف الصحراء. وكان البحر الأبيض المتوسط لعدة قرون الطريق الرئيسية للامبراطورية الرومانية ثم للامبراطورية البيزنطية بعدها وكانت جميع المقاطعات الرومانية تقوم على شواطئه باستثناء فرنسا الشمالية وبريطانيا وكان سلطان الرومان يعتمد مدة قرون ستة على القيادة البحرية في البحر الأبيض المتوسط ولم تكن هناك أية مراكب عربية قد ظهرت في وسط البحر وما دام في وسع الأسطول البيزنطي أن يمخر عباب البحر دون اعتراض فإن سواحل سوريا وفلسطين ومصر لن تكون في نجوة من الغارات أو من الغزو». انتهى

---

[1] جون غلوب: الفتوحات الإسلامية الكبرى

وكان معاوية أول من فهم الحقائق وأدركها فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب منه الإذن له ببناء أسطول عربي وتردد الخليفة الذي كان يعتقد أن كل ما يصلح للجمل يصلح للعرب ذلك أن العرب قد خبروا الصحراء واليابسة عموماً ولا خبرة لهم بالبحار ومن الطبيعي أن يدركوا أن الجمل هو السفينة الصالحة لذلك. وتخوف الخليفة من الاقتراح الحديث الجريء، وبعد أن فكر بعث إلى فاتح مصر عمرو بن العاص يسأله أن يصف له العمليات البحرية. ورح عمرو بن العاص بما عرف عنه من براعة يصف في رده على الخليفة وضع المحاربين في البحر على ظهور السفن فقال:

«إنهم أشبه ما يكونون بمجموعة من الهوام تتعلق بقطعة خشب تلعب بها الرياح ذات اليمين وذات الشمال». وهذا الوصف أفزع الخليفة فحذر من فكرة رؤية المحاربين العرب في مثل هذا الوضع الشاذ والمزري، فكتب على الفور إلى معاوية يمنعه باتاً من دفع أي عربي إلى الحرب في البحر، ويذكر المؤرخون العرب أنه قال لعمرو بن العاص: صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني. ولما تلقى رد عمرو قال: لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً

فلما كان زمن الخليفة عثمان بن عفان عاود معاوية بن أبي سفيان الطلب لبناء أسطول بحري عربي وشرح الفكرة للخليفة وقد ساعده في ذلك أمير مصر وهو شقيق الخليفة من الرضاعة (عبد الله بن أبي السرح) وكان هو أيضاً من المعروفين بالفطنة والذكاء وممن يدركون أهمية فكرة معاوية وأهمية أن يكون للعرب قواتهم وسلاحهم البحري. ولذلك وافق الخليفة على بناء الأسطول ووضع الشروط التي ذكرناها في شأن الغزو وركوب البحر

قام معاوية بتوجيه كل الإمكانيات المتوفرة لبناء الأسطول البحري الذي داهم به البيزنطيين فيما بعد في جزيرة قبرص وقد انضم إلى حملة معاوية (كما ذكر بعض المؤرخين) أسطول مصر الذي أرسله عبد الله بن أبي السرح أمير مصر، وقد تمكن الأسطول العربي من هزيمة مراكب الروم البيزنطيين وإجلائهم عن قبرص

وقد صالح معاوية بن أبي سفيان أهل قبرص على شروط لا تسلبهم السيادة ولا تجعل منهم أتباعا.

كان الغزو سنة ٦٤٨ م (يذكر أحيانا أنها سنة ٦٤٩م) وفي هذه الغزوة ماتت زوجته وزوجة عبادة بن الصامت التي تعرف باسم (أم حرام) وقد دفنت على الشاطئ الشرقي قرب منطقة لارنكا التي يوجد بها المطار الدولي بقبرص الآن والتي أصبحت واحدة من المدن الكبيرة بينما كانت في ذلك الوقت ميناء صغيرا، ويعرف مكان السيدة (أم حرام) الآن باسم (تكة أهل السلطان) وقد أشار إليها البلاذري وغيره من مؤرخين العرب و الأجانب على أنها عرفت بالمرأة الصالحة وبعد اختلف المؤرخون فيمن كان قائد الحملة تلك إذ إن هناك من يقول إن معاوية هو الذي قادها بنفسه وقال السير (جورج هيل مؤلف كتاب تاريخ قبرص الذي يقع في أربعة أجزاء [1] ما يلي :

في فصل تحت عنوان البيزنطيون و الإسلام قال : إن الهجوم العربي الشامل في سنة ٦٤٧م (٦٤٨م – ٦٤٩م) عندما قام أمير سوريا معاوية بإقناع الخليفة عثمان (وكان سلفه السابق قد رفضه الخليفة عمر) بذلك الغزو وقد وافق الخليفة عثمان بشرط أن يستخدم المتطوعين فقط في تلك الحملة وهي الأولى التي يقوم بها العرب على هذا المستوى في البحر وقد أبحر مصحوبا بزوجته فاطمة (لابد أنه يقصد معاوية) وعبادة بن الصامت وزوجته أم حرام ابنة ملحان وقريبة النبي وكان الأسطول يتكون من ١٧٠٠ برئاسة عبادة بن قيس مزود بمقاتلين من مصر أرسلهم عبد الله ابن أبي السرح وقد طلب من القبارصة الاستسلام ودفع الجزية ولكنهم اعتصموا على تحصيناتهم ورفضوا وقد تردد معاوية في البداية عن النزول على اليابسة إلا أن الإسكندرانيين أقنعوه بذلك فحاصر (كونستانتيا) التي كانت مأهولة بالسكان وكانت بها كل حراس الجزيرة وقد استولى عليها ودمرها ونكل بالسكان الذين كانوا في قصر الأسقف ودمر الكنيسة الكبرى (بعد حولها إلى مسجد) وقد استولى على

(١) تاريخ قبرص الجزء الأول – جورج هيل صادر عن جامعة كمبردج باللغة الإنجليزية

الجزيرة كلها وتم تقاسم الغنائم بين المصريين و السوريين وجعل الجزيرة تدفع الجزية وكانت قبرص تدفع ما قدره (٧٢٠٠ قطعة ذهبية) لليونان فقرر معاوية أن تدفع نفس القيمة للمسلمين دون أن يعترض على أن تستمر في الدفع لليونانيين معتبرا أن الأمر لا يخصه إذا كان القبارصة على استعداد لدفع المبلغ نفسه للطرفين، وإذا ما صح هذا الكلام فإن الخليفة لم يطلب أن يكون الحاكم الوحيد لقبرص وكما سنرى أنه بعد ثلاثين سنة من ذلك فإن القوتين المتنافستين اتفقتا على الحصول على نفس المبلغ من الجزيرة، ومن الشروط التي فرضت على القبارصة أن يقوموا بإبلاغ المسلمين عن أي استعدادات للعدوان من طرف اليونان ذلك أن الجزيرة تقع في منتصف الطريق، وعلى أن يمتنعوا عن تقديم أي مساعدة للعدو، ومع ذلك فإنه على أساس أن القبارصة قد أعاروا سفنا سنة ٦٥٢م لليونانيين لغرض حملة عسكرية أو لأن اليونانيين قد أرسلوا جنودا إلى قبرص قام معاوية بإرسال حملة أخرى تتكون من خمسمائة سفينة، وعند وصول هذه الحملة هرب السكان إلى الكهوف ولكنهم سحبوا منها كما سحب البعض من الغش مجبورا أما الذين لم يتمكنوا من الهرب عبر البحر فقد لجأوا إلى المدينة ولكن قائد الحملة استمر يعيث في المدينة [1]... انتهى.

من المؤسف أن هؤلاء المؤرخين ليسوا فقط يجافون حقائق التاريخ وإنما هم يزيفونها ليظهروا حقدهم على الإسلام و المسلمين، وها نحن نرى السير جورج هيل يتجاهل تماما أن معاوية في الغزوة الأولى لم يجبر أو يرغم أحدًا من المواطنين القبارصة على شيء ولا حتى كان محملا بسيطرة ونفي، وكان من حقه أن يفعل ذلك إلا أنه اكتفى بأن طلب من سكان الجزيرة دفع الجزية و التعاون مع المسلمين لإبقاء قبرص محايدة فهو لا يريدها أن تكون رأس حربة موجهًا إليه ولا يريدها ميدان قتال وذلك بالتأكيد في صالح الجزيرة وأهلها و الجزية كانت دائما تدفع حسب شروط الغازي أو المحتل فقد دفعت للبيزنطيين منذ ألفي سنة وأكثر قبل أن يولد

(١) جورج هيل – تاريخ قبرص

معاوية وقبل أن يأتي عربي واحد إلى قبرص كما دفعت للمصريين الفراعنة وغيرهم من الذين احتلوها.

ومن عجائب الأمور أن السير جورج هيل لم يذكر لنا ماذا حدث للجزيرة عندما احتلها مليكه (ريتشارد) وما هي دوافعه لذلك الاحتلال. هل يجب أن نذكره أن العرب لم يبيعوا الجزيرة كما باعها الملك الإنجليزي، وربما يكون مفيدا أن نذكر جزءا من تلك القصة المأساوية والتي يقول عنها جورج وغيره إنها حدثت. أن ريتشارد احتاج لأموال من أجل حملته العسكرية لتحرير بيت المقدس والقصة باختصار كما يلي :

كانت الجزيرة تحت سلطان البيزنطيين في عهد الامبراطور نيسفور الثاني المعروف باسم فوكاس (٩٦٣م - ٩٦٩م) وفي سنة ١١٨٤م وقعت تحت سلطان إسحاق كومنينوس وكان ملك الإنجليز ريتشارد الأول في طريقه ليقوم بحملة صليبية لتحرير بيت المقدس (والحملة كانت ضد صلاح الدين الأيوبي) وحدث أن جزءا من أسطوله قد جنح إلى موانئ قبرص بسبب عاصفة بحرية وكانت في واحدة من بواخر هذا الأسطول خطيبة الملك الإنجليزي الدعوة (بيرينجاريا النافارية) وشقيقة الملك الأرملة وحدث أن إسحاق كومنينوس هذا قد أهان الخطيبة والأخت وهكذا جاء الملك ريتشارد ببقية أسطوله ورد الإهانة احتل الجزيرة وبعد ستة أيام من الاحتلال تزوج الخطيبة حيث توجت ملكة لبريطانيا وقد هرب إسحاق من نيقوسيا إلى ماماقوستا ثم استسلم ولما كان الملك الانجليزي في حاجة إلى تسخير كل إمكانياته للحملة ضد صلاح الدين فقد وجد من يشتري البلد التي احتلها حديثا وباع الجزيرة بمبلغ قدره مائة ألف بيزانت ذهبي أي ما يعادل ثلاثمائة وعشرين ألف جنيه استرليني (يا بلاش). ويرى إنجليزيا آخر عندما يتحدث عن هذا الأمر يقول إنها حقيقة تاريخية مؤكدة أن قبرص قد أنقذت من دولة الطاغية بواسطة ملك إنجليزي يدعى ريتشارد الأول كان في طريقه للقيام بحملة صليبية [٢]

(١) كان هذا ما ذكره السير جورج هيل في كتابه تاريخ قبرص الجزء الأول - صادر عن جامعة كمبردج.

وهذا المؤلف أيضا لا يشير إلى أن ريتشارد قد باع الجزيرة وأهلها بالكامل مقابل مبلغ من المال، وإنما يبرر البيع بأنه أراد تسخير كل الإمكانيات من أجل غزوته ومحاربة صلاح الدين القائد المسلم. بينما عندما يتحدث هؤلاء المؤرخون عن الجزية التي قررها معاوية عند احتلاله قبرص في غزوته الأولى والتي تساوي تماما ما يدفعه القبارصة طوعا لليونان يسوى تماما أن الجزية كانت تدفع للمصريين الفراعنة في عهد تحتمس الثالث قبل ذلك الوقت بأكثر من ألفي سنة وتدفع كذلك للفينيقيين الذين جاءوا بعد المصريين.

وفي المرة الثانية التي غزا فيها معاوية قبرص تأكد له أن هؤلاء قد غدروا بما صالحوا عليه، وهذه المرة كان لزاما عليه أن يبقي فيها قوات ترابط في مواقع معينة كي لا يخدع مرة أخرى، وهذا ما نجده في كتب التاريخ دون استثناء

يقول مؤلف كتاب الفتوحات الإسلامية الكبرى :

ولا شك أنه عندما احتل معاوية قبرص وقع معاهدة مع أهلها سمح لهم بالبقاء على الحياد في حالة تجدد الحروب بين العرب والروم ويبدو أن الاتهام قد وجه إلى هؤلاء الآن بأنهم ساعدوا الأسطول البيزنطي في معركته الأخيرة، وهكذا عاد معاوية في عام ٦٥٣ ميلادية إلى غزو قبرص للمرة الثانية بقوة ضخمة وعوملت البلاد هذه المرة على أنها معادية وقتل عدد كبير من أهلها بينما نقل عدد ضخم منهم إلى حياة الرق والأسر، على أي حال أمر معاوية بعد هذا العمل التأديبي بإعادة العمل بالاتفاق الأصلي مع بقاء حامية عربية في الجزيرة قوامها اثنا عشر ألف رجل [١]..... انتهى.

يتأكد هنا مرة ثانية أنه رغم أن أهل الجزيرة قد قدموا السفن للروم كما ذكر السير جورج هيل أو يبدو أنهم قد ساعدوا الروم كما ذكر جون غلوب فإن معاوية قد وافق على العمل باتفاقية الصلح الأولى أي بقاء الجزيرة على الحياد وطلب التعاون من أهلها مع دفع الجزية.

[١] جون غلوب

والمسلمون كما هو معروف لم يكونوا محاربين في كل غزواتهم وغالبا ما كانوا يجدون الترحيب من المواطنين في البلدان التي يحتلونها وهذا دليل على أن معاملتهم أفضل ممن سبقهم في الاحتلال

وهذا البطريرك اليعقوبي في أنطاكية يقول :

(إن الله المنتقم الواحد القهار أثار من الجنوب أبناء إسماعيل لإنقاذنا من أيدي الرومان [1] ويذكر (ستيفن رنسيمان) أن المؤلف النسطوري المجهول قال (قلوب المسيحيين انشرحت لسيادة العرب فليرد الله في قوة هذه السيادة وليجعلها زاهرة) [2].

ولا يعتقد أحد أن يكون جنود المسلمين برابرة يعيثون بالأمن والناس وكان مسلك خليفتهم عمر بن الخطاب عند فتح بيت المقدس ذلك الذي شهد به كل مؤرخ منصف وهذا ستيفن رنسيمان يقول في كتابه (الحروب الصليبية) ما يلي :

(في أحد أيام شهر فبراير سنة ٦٣٨ ميلادية دخل إلى بيت المقدس عمر بن الخطاب راكبا جملا أبيض اللون وكان يرتدي وقتذاك ثيابا خلقة قديمة. ومع أن الجيش الذي قاده كان خشنا فإنه بلغ الاكتمال في نظامه. وسار إلى جانب الخليفة البطريرك صفرونيوس باعتباره رأس رجال الإدارة في المدينة التي أذعنت، على أن عمر بادر بالتوجه رأسا إلى موقع هيكل سليمان الذي صعد منه صاحبه محمد إلى السماء وبينما كان البطريرك ينظر إليه أثناء وقوفه استذكر أقوال المسيح وأخذ ينبس بها من خلال دموعه. فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي، ثم طلب الخليفة زيارة مشاهد المسيحيين فصحبه البطريرك إلى كنيسة القيامة وأطلعه على كل ما فيها وبينما كان بالكنيسة اقترب وقت الصلاة عند المسلمين فسأل الخليفة أين يستطيع أن يفرش سجادة الصلاة. فتوسل إليه

(1) أورده ميخائيل السرياني في كتابه زمن الممالك اللاتينية
(2) تاريخ الحروب الصليبية. ستيفن رنسيمان. الجزء الأول.

صفرونيوس أن يبقى في مكانه غير أن عمر خرج إلى المدخل الخارجي للكنيسة كيلا يزعم على حد قوله أتباعه المتحمسون في دينهم أن للإسلام حقا في المكان الذي أدى فيه الصلاة... انتهى.

تلك هي صفات المسلمين. ولنر غيرهم ممن كانوا قد احتلوا أو استعمروا بلدنا الأثير، وهذا ما أورده نفس المؤلف عن الفرس عندما دخلوا بيت المقدس :

(في ١٥ أبريل سنة ٦١٤ ميلادية اقتحم شهربراز بيت المقدس واستعد البطريرك زكريا لتسليم المدينة ليتجنب سفك الدماء غير أن السكان المسيحيين رفضوا الاستكانة إلى المعتدين [?] وفي ٥ مايو ٦١٤م وبفضل مساعدة اليهود المقيمين داخل المدينة، شق الفرس طريقهم إلى داخل المدينة فتلا ذلك من المناظر المريعة ما يجل عن الوصف إذ صحب اشتعال النار بالكنائس والدور من حول المسيحيين أن تعرضوا للقتل دون تمييز فقام العساكر بالإجهاز على بعضهم بينما عدد الذين لقوا مصرعهم على أيدي اليهود كان كبيرا وبلغ عدد الذين تعرضوا للقتل نحو ٦٠ ألفا على ما جاء في بعض الروايات، وزاد على ٣٥ ألف من جرى استرقاقه وبيعه، أما المقدسات الدينية مثل صليب الصلبوت وأدوات تعذيب المسيح فإنها أخفيت غير أنه جرى التنقيب عنها وإخراجها وتقرر إرسالها مع البطريرك صوب الشرق هدية لملكة فارس المسيحية مريم النسطورية. وما حل من الخراب في داخل المدينة وحولها بلغ من الضخامة أن الأراضي المحيطة بها لم تنهض أو تنتعش حتى الآن) [1]

وفي مكان آخر تحت عنوان (سقوط بيت المقدس) يقول نفس المؤلف

(على أنه لم ينج من المسلمين بحياتهم إلا هذه الفئة القليلة إذ إن الصليبيين وقد زاد في جنونهم ما أحرزوه من نصر كبير بعد شقاء وعناء شديد انطلقوا في شوارع المدينة وإلى الدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز. استمرت المذبحة طوال ظهيرة ذلك اليوم وطوال الليل ولم يكن علم تانكرد

(1) تاريخ الحروب الصليبية. ستيفن رنسيمان.

مانعا للاجئين إلى المسجد الأقصى من القتل، ففي الصباح الباكر من اليوم التالي اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين فأجهزت على جميع اللاجئين وحينما توجه (ريموند آجيل) في الضحى لزيارة ساحة المعبد أخذ يلتمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه) انتهى [1]

هذا هو الفرق بين الفاتح المسلم وبين غيره، الأول يصلي ويمنع التخريب والثاني يمشي بين الجثث والدماء تبلغ ركبتيه !!! والكلام ليس من عندنا وإنما من كاتب مسيحي

لم تكن الغزوة الأولى لفرض البقاء في قبرص كما ذكرنا وإنما لتأمين المناطق والأراضي العربية الإسلامية في كل من الشام ومصر وفلسطين، ولهذا السبب صالح معاوية أهل الجزيرة على جزية يدفعونها وعمل يقومون به وهو إبلاغ المسلمين عن أي تطور عسكري أو تحرك من جانب الروم البيزنطيين. وهو ما لم يسبق إليه أحد كمثال على التسامح ولم يستسلم البيزنطيون للهزيمة ولا سلموا للعرب في الجزيرة فعادوا إليها مرة أخرى رغبة في الاحتلال والسيطرة وإدراكا لأهميتها الاستراتيجية، وما كان من العرب إلا أن غزوها مرة أخرى أيضا سنة ٦٥ ميلادية ثم عاد إليها الروم سنة ٦٥٤م وأخرجهم العرب سنة ٦٥٦ ميلادية وتكرر ذلك في نفس السنة، وكان معاوية فيما ذكره المؤرخون هو قائد الحملة هذه المرة ولذلك ونظرا لما بدر من الروم والنصاح أغراضهم وعدم التزام سكان الجزيرة بما تم الاتفاق عليه في الغزوة الأولى أو ربما عدم قدرتهم، قرر معاوية إبقاء حامية عربية في جزيرة قبرص، وقد ذكر ابن الأثير [2] أن العدد كان اثنى عشر ألفا بأسرهم، فأقاموا بها مرابطين على الثغور وقد بنوا المساكن والمساجد حتى يؤمنوا البحر وساحل الشام ويصدوا الروم، وهذه النواة الأولى من المسلمين في قبرص ستستمر تواجدها في الجزيرة ولم ينقطع أبدا حتى جاءت الأتراك وكانت فيها مناطق للقبارصة المسيحيين أخرى وأمورهما

(١) نفس المصدر

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير

يضعف أو يقوى تبعا للواقع السياسي والعسكري للجزيرة والمناطق المحيطة بها، وبالتالي فإن القبارصة المسلمين في الأصل كانوا عربا وليسوا أتراكا ولكنهم أصبحوا وعدوا في هؤلاء حينما حلت اللغة التركية بينهم بديلة للعربية التي نطقت ألسنتهم بها منذ القرن العاشر الميلادي.

وفيما بين سنوات ٦٤٨م ٩٦٤م كانت جزيرة قبرص دائرة في فلك السياسة العربية الإسلامية من جانب وفلك السياسة البيزنطية المسيحية من الجانب الآخر ولم تخلص كاملة لأي من الطرفين، ويقول مؤلف تاريخ قبرص :

(اعتبارا من سنة ٦٥٣ ميلادية ولمدة قرن تقريبا لم نسمع شيئا عن قبرص ومن المحتمل أن قبرص هذه وقد كانت نهبت مرتين خلال سنوات قليلة قد ظلت غنيمة، ويظهر أن الجزية استمر العرب يحصلون عليها إن لم تكن السلطات اليونانية تحصل عليها ومع ذلك فإن قبرص خلال سنة ٦٨٨ ميلادية أو سنة ٦٨٩ ميلادية قد ضمت إلى أرمينيا وايبيريا بموجب معاهدة بين عبد الملك وجستنيان الثاني وكان فشل معاوية أمام القسطنطينية في عام ٦٧٧ م قد أجبره سنة ٦٧٨ ميلادية على عقد سلام مع قسطنطين الرابع بشروط مهينة للعرب وهذه المعاهدة جددت في عهد عبد الملك سنة ٦٨٥ م وكذلك جددت مرة أخرى سنة ٦٨٨ م أو سنة ٦٨٩ م مع جستنيان الثاني) انتهى

نحن نعرف أن المعاهدات أو الاتفاقيات تعقد بين الحكام وبين الدول لأسباب كثيرة منها بالطبع العسكرية والسياسية والأمنية ومن تلك الظروف فإن السياسة الحصيفة والقائد الحكيم لابد له أن يحدد أولوياته في الحرب وفي السلام ولم يحدث أن اعتبرت المعاهدات أو الاتفاقيات مهينة إلا إذا كانت تمثل استسلاما أو تفريطا في جزء أو أجزاء من الوطن. ولقد رأينا حتى في حالة البلدان التي يحتلها المسلمون بالقوة يحرصون دائما على معاهدات مع أهلها لأن غاياتهم لم تكن استعمارية، وهذا ما حدث فعلا في الغزوة الأولى سنة ٦٤٨ ميلادية عندما عقد معاوية معاهدة مع أهلها وحركوها وبذلك فإن تعبير (مهينة) تعبير

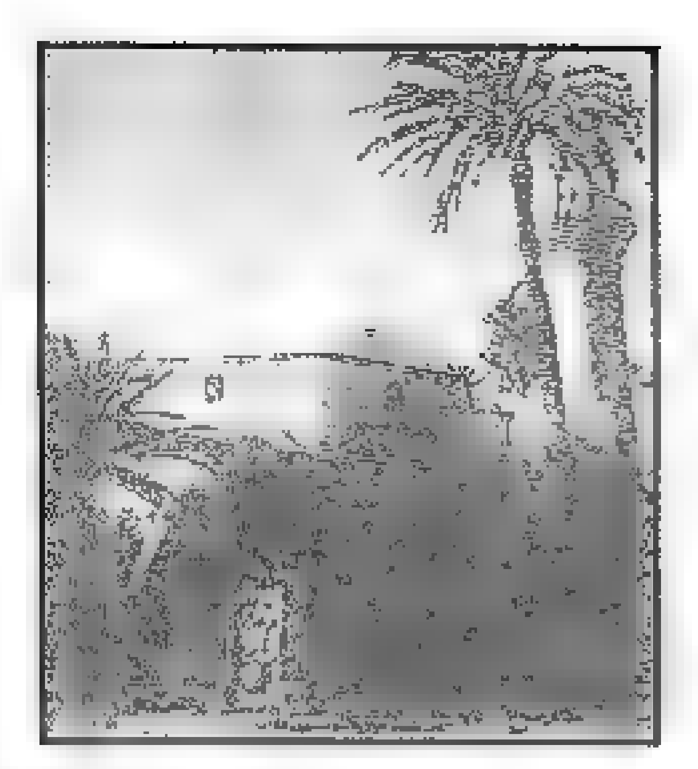
معرض أريد به الإساءة والتحقير وهو ما يظهر في أغلب كتابات الأوروبيين مع الأسف عندما يتحدثون عن العرب وفتوحاتهم. ونحن نعرف أن لتلك المعاهدة أسبابا أمنية وسياسية قدرها معاوية في ذلك الوقت إذ رأى أنه ليس من الحكمة أن يفتح كثيرًا من جبهات القتال في وقت واحد

يقول مؤلف كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية في هذا الشأن ما يلي :

(كان معاوية يعتبر دائما أن الحرب ضد البيزنطيين من أهم واجباته وأخطرها شأنا وقد بدأ نضاله ضد البيزنطيين منذ كان أميرا في عهد عمر بن الخطاب عندما وجد أن المدن الفينيقية الساحلية كانت لا تزال في أيدي البيزنطيين، والواقع أنه لم يظفر في انتزاعها منهم نهائيا إلا بمحاولة ثانية قام بها في خلافة عثمان بن عفان فقد كان عليه لكي يضمن النجاح فيما نصب نفسه له أن يطارد خصومه في البحر أيضا وكان عمر يعارض في الإقدام على هذه الخطوة المغامرة ومن هنا لم يوفق معاوية إلى الخروج بالعرب إلى هذا الميدان الذي لم يعرفوه من قبل والذي ما لبثوا أن ألفوه إلا بعد أن ولي عثمان أمر الناس. وفي صيف سنة ٦٤٩ ميلادية هاجم معاوية قبرص وما هي إلا سنوات فحسب حتى كان يجهز أسطولا بحريا للهجوم على القسطنطينية نفسها وخرج الامبراطور قسطنطين الثاني حفيد هرقل إلى ملاقاته على ساحل ليقيا ولكن الأسطول العربي هزمه هزيمة ماحقة وبالرغم من هذا النصر فقد ظل العرب عاجزين عن بلوغ هدفهم لأن معاوية الذي كان في الوقت نفسه يتقدم بجيوشه برا لم يستطع أن يمضي في تقدمه قيسارية في كبادوكية وكان على معاوية عندئذ أن يساوم على الصلح مع بيزنطة لينصرف إلى قتال علي بن أبي طالب حتى إذا وحد الإمبراطورية من جديد استأنف النضال ضد البيزنطيين عن طريق الغزوات الصيفية التي كان يشنها على آسيا الصغرى كل عام والواقع أن جيوشه بلغت العاصمة البيزنطية مرتين) [1] انتهى

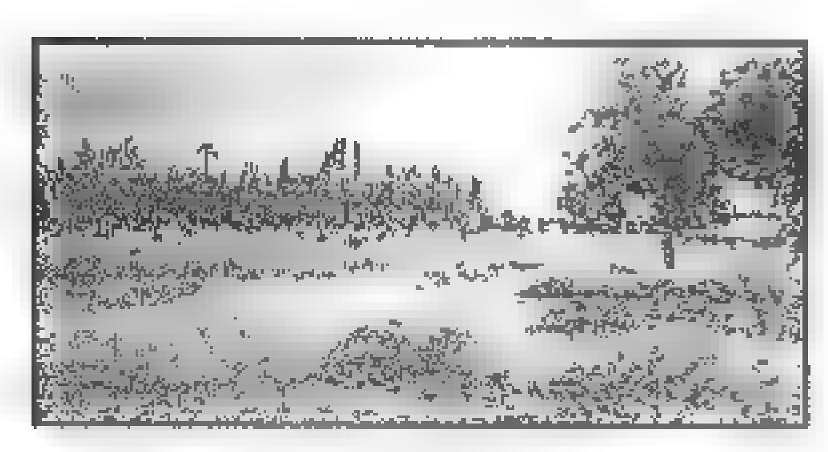
---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، تأليف كارل بروكلمان، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، إصدار دار العلم للملايين، بيروت



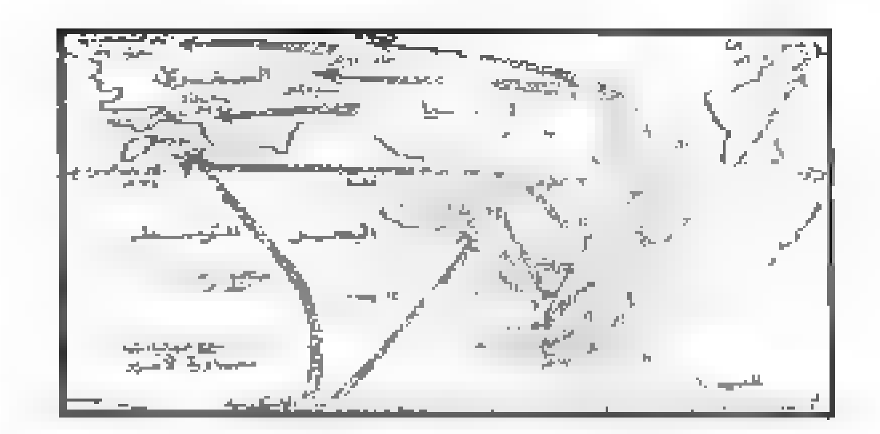
المبنى الصغير وهو عبارة عن مسجد به ضريح السيدة أم حرام

ويقع غربي مطار مدينة لارنكا الدولي على مسافة كيلومتر واحد تقريبا

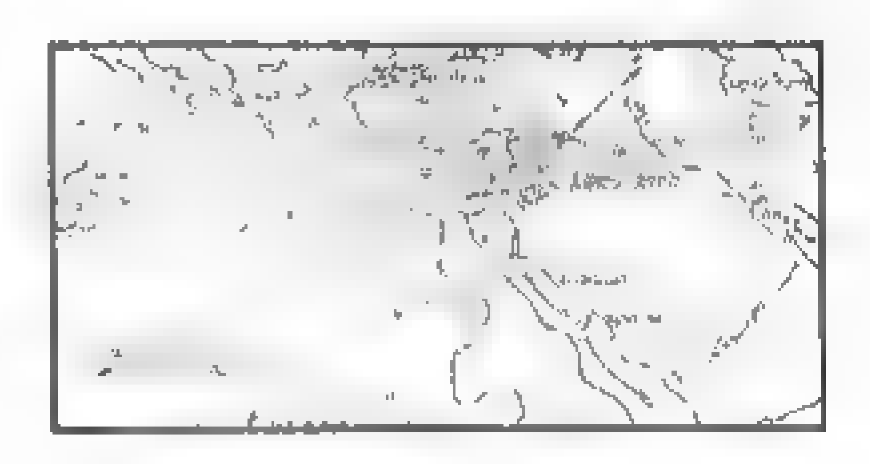


ترى منظر المسجد من بعيد محاطا بأشجار النخيل التي زرعها العرب

في العديد من مناطق الجزيرة قبرص



حملات معاوية في الفتوح الإسلامية بقبرص في تمثل المرحلة الثانية



مسرح عمليات الفتح التي خطط لها وقاد أغلبها معاوية

نلاحظ هنا أن الصلح أو المعاهدة كانت لضرورات أمنية نظرا للفتن التي حدثت وهددت الإمبراطورية العربية من الداخل ومن الحكمة أن تعالج قبل استفحالها ولو كانت المعاهدة عملا مهينا لكان معاوية قد قلع تماما عن مهاجمة بيزنطة، وقد نعود إلى هذا الموضوع مرة ثانية.

قبرص وبيزنطة مرة ثانية :

مع بدايات القرن العاشر تمكنت الدعوة الفاطمية من القضاء على سلطان الأغالبة في أفريقيا (تونس) فانتهى ذلك عهد السيطرة الإسلامية على الحوضين الغربي والأوسط من البحر الأبيض المتوسط وضعف أمرهم في جنوبي إيطاليا وفقدت مالطا وكريت فتمكن منهم البيزنطيون وسهل على نقفور فوكاس (اسمه الحقيقي نيسيفورس الثاني الملقب بفوكاس) أمر قبرص فاستولى عليها ومن للمسلمين فيها وخلص أمرها جميعها للبيزنطيين وانتهى أي نفوذ سياسي لهم فيها ولم يعودوا يحكمونها. ومن الواضح أن عرب جزيرة قبرص قد عنوا به وخضعوا للحكم البيزنطي ولم يحاول الفاطميون استعادة الجزيرة أولا لانشغالهم بأمر مصر وثانيا لضعفهم بحرا آنذاك وفيما بعد وثالثا لأن سكان قبرص العرب كانوا من السنّة والفاطميون شيعة وليس بين الطائفتين في ذلك الوقت أي تفاهم إذ كانت إحداهما تعادي الأخرى وتشهر في وجهها السلاح ورابعا وأخيرا فقد كان الفاطميون سياسيا مع البيزنطيين على وفاق ما يجده كل منهما في أسواق الآخر مما هو في حاجة إليه أي أن هناك مصالح كانت بينهما لم يستطع الشيعة الفاطميون التضحية بها حتى لو كانت لديهم الرغبة في إعادة قبرص وربما حماية المسلمين العرب السنّة. والذي يبدو أن وضع القبارصة ومن العائشين من الناحيتين السياسية والاقتصادية كان أسوأ مع البيزنطيين الذين حكموا الجزيرة عسكريا وأسندوا قيادتها باعتبارها قاعدة عسكرية إلى حاكم عسكري بدرجة (دوس) وأثقلوا كاهل المواطنين بالأتاوات إلا أنه وفيما يتعلق بالكنيسة ورجالها فإن الوضع قد اختلف إذ عاد إليهم سلطانهم الديني المباشر على العامة وزادت أملاك الكنيسة من الأرض والمال ولم يحاول الحكم الجديد وركيزته دينية على فرض ما فرضه على الناس أيضا على الكنيسة ولهذا ازدهرت الكنيسة وحدها وتحسنت فيها الأوضاع وإلى هذا يشير المؤرخون الأوروبيون حينما يتحدثون عن تحسن الأوضاع في قبرص دونما اهتمام بما يعانيه عامة الناس.

وكنتيجة لما أصبحت عليه القوة البحرية العربية الإسلامية من ضعف في البحر الأبيض المتوسط بسبب انشغال الفاطميين بتثبيت سلطانهم على البربر ومقارعة العباسيين على الخلافة وسقطة من غزوات الأسطول على الجزيرة قد انعدمت فأدى هذا بالطبع إلى حالة الاطمئنان لدى السكان القبارصة فاقتربوا بمساكنهم من السواحل حيث تلاشى التهديد والخطر من جانب البحر ذلك أن الحروب كانت ضد البيزنطيين من طرف العرب، والعرب ضعفوا ووجهوا أسلحتهم إلى صدور بعضهم وخلت الساحة مؤقتا (ربما) للبيزنطيين الذين يحكمون الجزيرة ولكن القبارصة لم يجدوا في الحكم البيزنطي ما كانوا يأملون فشرعوا في التململ والثورة ضده. وكانت حركة التمرد التي قادها ثيوفيلوس ايروتيكوس سنة ١٠٤٣ ميلادية من أبرزها في تاريخ تلك الفترة وقد أخمدت كما قضي على تمرد آخر قام به حاكم يدعى رابسومانس سنة ١٠٩٢ ميلادية والى هذا العهد الذي امتد لأكثر من قرنين ولم ينته إلا في سنة ١١٨٤ ميلادية قوي نفوذ الكنيسة القبرصية المتآلفة مع الحكم وعمت الكنائس أرض الجزيرة وتأصل نفوذ الرهبان الروحي والمادي على عامة السكان حتى اشتهرت قبرص في أواخره بأنها جزيرة القديسين.

قبرص وعهد كومنين القصير :

في القرن الحادي عشر الميلادي ونتيجة لانصراف السلطات الكنسية باهتماماتها إلى استغلال موارد الأرض الطبيعية وانصرافها عن البحر وبعدها عن المدن الساحلية التي تنجذب إليها الجاليات الأجنبية المشتغلة بالتجارة والتصدير أصبحت مدينة نيقوسيا هي مقر البطريركية القبرصية ومركز السلطان ولم تعد المدينة فاماغوستا (سلاميس القديمة) ذات الأهمية وقد لعبت مدينة نيقوسيا دورا بارزا في ثورة رابسومانس وإخمادها ومن ثم أصبح ما يقع فيها يؤثر سلبا وإيجابا في سائر الجزيرة، ومرد هذا فيما يراه بعض الدارسين إلى توسطها موقعا بالتقريب من سائر أطراف الجزيرة

وفي سنة ١١٨٤ ميلادية طرأ على الجزيرة مغامر من أسرة كومنين الامبراطورية يدعى إسحاق كومنين فأظهر انه ولي حكمها من القسطنطينية وقدم وثائق مزورة فتسلم السلطة وأحاط نفسه بجيش من المرتزقة وراح يفرض أتاواته الباهظة على الجميع ولم تنج الكنائس والرهبان من ضرائبه وأتاواته وهو ما لم يقدم عليه احد قبل ذلك فضج العامة والنبلاء ورجال الدين، إلا أنهم لم يستطيعوا شيئا فقد أعلن استقلاله عن بيزنطة وحالف النورمان في صقلية وهادن صلاح الدين الأيوبي الذي حرر بيت المقدس من الصليبيين

ويجدر بنا هنا ان نعرج على أعمال وحروب وبطولات صلاح الدين الأيوبي ولو بإيجاز وذلك كرد على مقولات بعض المؤرخين الغربيين ومنهم السير جورج هيل صاحب تاريخ قبرص إذ إن هؤلاء ذهبوا على القول إن المسلمين يدمرون ويعيثون فسادا في البلاد التي يحتلونها وما ذلك بصحيح ولا هو من التاريخ في شيء، وإنما هو حقد وتعصب ديني مؤسف لا يليق بعالم ولا حتى متعلم ناهيك عمن يحترف كتابة تاريخ الشعوب، ولكنها السياسة المعهودة

يقول عندما هادن إسحاق كومنين صلاح الدين الأيوبي (والواقع أنه لم يهادن فالذي يهادن يكون ندا، وكومنين لم يكن كذلك إلا أنه قدم وعودا لصلاح الدين ولم يكن صلاح الدين ينوي مهاجمة قبرص في ذلك الوقت) فعندما بعث رسل صلاح الدين كان هذا منهمكا في الإعداد لبيت المقدس بعد معركة حطين (وهو يعرف أهمية وموقع قبرص) وقد سارت معركة تلك على النحو التالي :

عندما انتهت معركة حطين وقد ذكرت تفاصيلها في كتب التاريخ ومن جانب كل مؤرخ منصف وقع في الأسر قادة الفرنج، الأمراء والنبلاء وفي مقدمتهم ملكهم (غي دي لوزينيان) وشقيقه (جفري) تصرف العاهل المنتصر صلاح الدين الأيوبي كما يفرض عليه دينه كمسلم وأخلاقه كإنسان وكقائد إذ استقبلهم جميعا وأكرمهم وكان الطقس ومرارة الهزيمة قد نالا منهم وهم الذين جاءوا يحاربون من أجل المسيح والسيد المسيح منهم براء، ويذكر رنسيمان فروسية الوضع بعد المعركة قائلا :

يجب ألا نمحو بالملائمة على غي دي لوسنيان في موقعة حطين التي انهزم وتحطم فيها جيش الإفرنج لأن الحالة التي وضعت فيها قوات صلاح الدين الإفرنج كانت عسيرة جدا وعاجلا أو آجلا كان لابد لهم من هذا المصير فأسر طبقة الأشراف في هذه المستعمرة التي لم تكن إلا مستعمرة لرجال الإدارة، كان لاستئصال نظام هناك لثقافة الاستعمار دفعة واحدة [1] ولقد كانت هزيمة حطين للجيش الإفرنجي كارثة كبيرة لم تشهد مثلها قواتهم، وهي معركة فاصلة في ذلك التاريخ وقد أسر فيها كل قادة تلك القوات، النبلاء والأمراء والملك (ولقد اعتاد هؤلاء الفرنجة في غزواتهم التي سموها صليبية على الشرق أن يشركوا فيها أغلب الأمراء وأن يقودها أبرز ملوكهم) وبهذه المعركة ونتيجتها انفتحت الطرق أمام صلاح الدين ليتقدم إلى هدفه الكبير وهو تحرير بيت المقدس، ولأن نتائج معركة حطين قد وصلت أصداؤها إلى كل مكان تقريبا فقد صارت الحصون تتقدم طوعا مستسلمة بلا حروب أو مقاومة، كذلك فإن حصافة ونبل ومروءة القائد المسلم كانت واحدا من الأسباب المؤثرة في سير الأحداث لأنه متسامح وحسن المعاملة للأسرى، فحين استسلم حصن طبرية وكانت الكونتيسة (ايشيف) زوجة ريمون الثالث هناك أخرجها صلاح الدين من الحصن وعاملها بكرم وقد خرجت مع كل خدمها ورجالها وأموالها دون أن تمس وذلك وفاء بالعهد، وفي عكا التي احتلها دون مقاومة تذكر إذ أرسل إليه صاحبها (جوسلين دي كورتناي الثالث) مفاتيحها أمن الفرنجة جميعا على أموالهم وأنفسهم ووافق لهم على البقاء إن أرادوا أو المغادرة بسلام إلى مكان آخر وكان يمكنه الاقتصاص لو أراد ذلك لأن المنتصر يستطيع أن يفعل ما يشاء ولكن صلاح الدين بسماحة الإسلام كان يوفي بالعهد ويتسامح مع الناس حتى لو كانوا أعداء ومقاتلين

لهذه الأسباب جميعها، الرأفة والرحمة والمروءة في وقت الانتصارات الباهرة كان القادة يسعون إلى الصلح أو التعاهد مع صلاح الدين، وهكذا حدث من جانب

(١) كتاب صلاح الدين، بطل الإسلام، بقية عروسة

إسحاق كمونس في قبرص ولقد أردنا بهذا أن نؤكد أن كمونس لم يهادن وإنما طلب الصلح وهناك فرق كبير في المعنى بين المصطلحين خصوصا في حالة الحرب

وفي سنة ١١٨٧ ميلادية وبينما كانت الحملة الصليبية التي يقودها الملكان (فيليب ملك فرنسا وريتشارد قلب الأسد ملك بريطانيا) تتحرك من صقلية في اتجاه فلسطين تعرضت بعض سفن الحملة لإعصار بحري عنيف قذفها إلى الشاطئ القبرصي وكانت على متن إحدى تلك السفن خطيبة الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد ولم يكن من حاكم قبرص إسحاق إلا أن أمر بأسر الناجين من الغرق وهكذا اعتبر ذلك إهانة لخطيبة الملك الإنجليزي فشن حربا على ذلك الحاكم وحدثت معارك ومطاردة انتهى الوضع فيها إلى التجاء إسحاق إلى قصر القنطرة (في منطقة فاما قوستا) وبعد حصاره هرب إلى حصن (سانت هيلاريون) سنة ١١٩١م هذا الحصن الذي يقع بين نيقوسيا وكايرينيا، وقد تولى أمر الجزيرة الملك ريتشارد حيث تزوج خطيبته تلك في ليماسول وأصبحت ملكة بدلاً من أسيرة، وما كان من ملك الإنجليز إلا أن باع الجزيرة كما ذكرنا في غير هذا المكان ويورد القصة الكاتب الإنجليزي على النحو التالي :

قبرص وأسرة لوسينيان :

لما لم تكن بالملك ريتشارد قلب الأسد رغبة في الاحتفاظ بقبرص فقد تنازل عنها مقابل مبلغ قدره مائة ألف جنيه لمنظمة (التمبلارز) سنة ١١٩١ ميلادية إلا أن هذه المنظمة لم تحسن إدارة الجزيرة وبالغت في فرض الضرائب والأتاوات إلى جانب تحميل القبارصة الدين المتوجب عليهم لريتشارد قلب الأسد فثار هؤلاء وساءت الحال وتتابعت الاغتيالات ثم حدثت مذبحة شنيعة اقترفت في إحدى الكنائس بنيقوسيا قضي فيها على من احتمى بالكنيسة من السكان ونتيجة لذلك أرغمت المنظمة على إعادة الجزيرة للملك ريتشارد قلب الأسد مقابل ما له عليهم من الدين، وبحث هذا الأخير عن مشتر آخر للجزيرة وقد عثر على (جويدو اللوسينياني) الذي كان ومنذ ستة شهور فقط ملكا طبيعيا على بيت المقدس وهكذا

جمع بين بيت المقدس وقبرص إلا أنه اتخذ من الأخيرة مقرا له وانتقل إليها مع فرسانه وجعل من مدينة نيقوسيا مركزا وعاصمة للجزيرة منذ ١١٩٢ ميلادية وبذلك ابتدأ عهد أسرة مالكة للجزيرة استمر لما يقرب من ثلاثة قرون إذ لم ينته إلا في سنة ١٤٨٩ ميلادية وفي هذا العهد الذي عرف باللوسنياني اللاتيني تعرضت الكنيسة والمجتمع القبرصي معا لتغيرات جذرية فقد أفسح المجال للمذهب الكاثوليكي (اللاتيني) الذي زاحم المذهب الأرثوذكسي المنفرد بالجزيرة وأصبح هناك كبير أساقفة لأتباعه في نيقوسيا وأساقفة في كل من فاماغوستا وليماسول وبافوس، ومنحت الكنائس اللاتينية الكثير من الأراضي التي انتزعت من الكنائس اليونانية الأرثوذكسية وأقحم النظام الإقطاعي وعرفت المجتمعات في قبرص (عبيد الأرض) و الطبقة البرجوازية والسادة الإقطاعيين وفرضت اللغة اللاتينية رسميا فأصبحت اللغة اليونانية لغة ثانية وازدحمت المدن الساحلية بالبنادقة التجار فاحتكروا الموارد والمواصلات، وحتى على مستوى التشريع والحكم والقضاء كان هناك مجلس للنبلاء أو الطبقة العليا في المجتمع ولهذا المجلس وحده مناقشة مسائل الحكم والسياسة ومقاضاة السادة النبلاء ومجلس آخر شعبي للعامة من مهامه القضاء بين الناس في شئون الدنيا وله قراراته في شأن هذه الطبقة من المجتمع ... انتهى

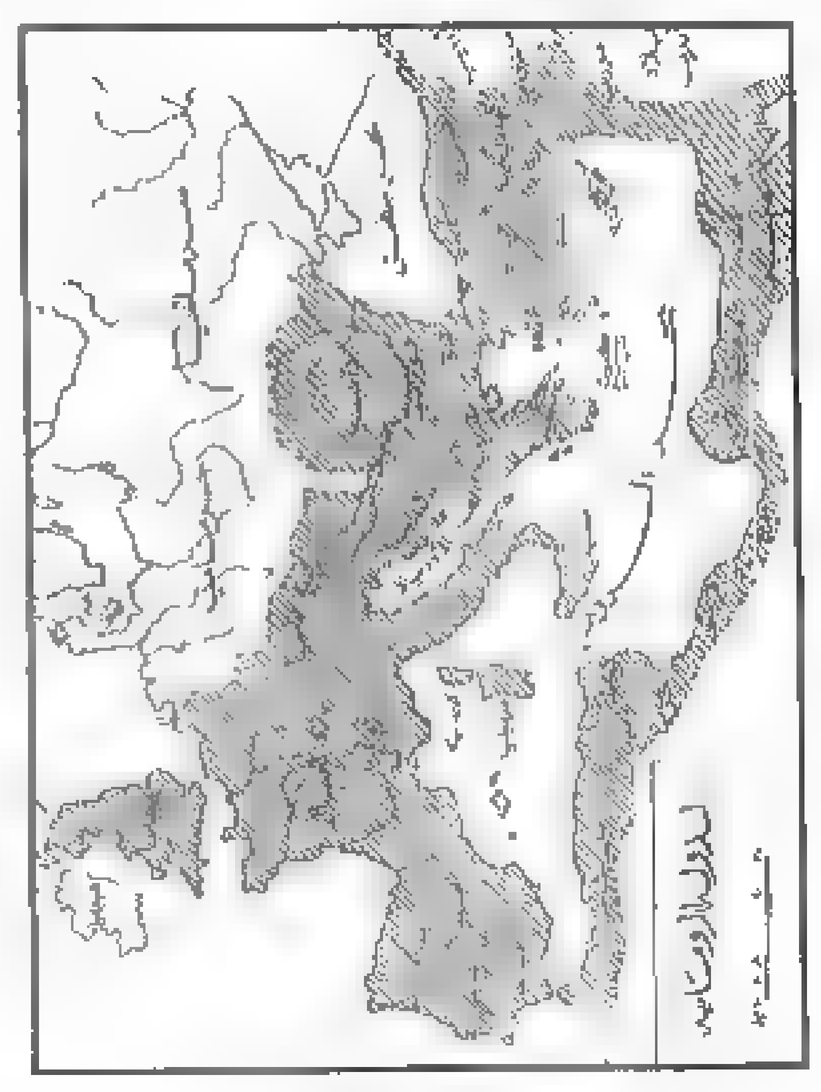
ويفهم من ذلك أن ملك الإنجليز ريتشارد قلب الأسد قد باع قبرص واستعادها مقابل دين له ثم باعها مرة أخرى عندما وجد المشتري والثمن، أي أنه لا قيمة للناس ولا رأي في مصير البلد الذي شاء قدره التعيس أن تلجأ إليه بسبب عاصفة ريح خطيبة الملك الإنجليزي

قبرص وحكم الجنويين والبنادقة :

كانت الجمهوريات البحرية الإيطالية قد بدأ طالع نجمها يسطع في محيط الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط منذ بدايات الألف الثانية للميلاد، فكانت البندقية وكانت جنوة أنشط في تحريك أساطيلها البحرية من نابولي وغيرها

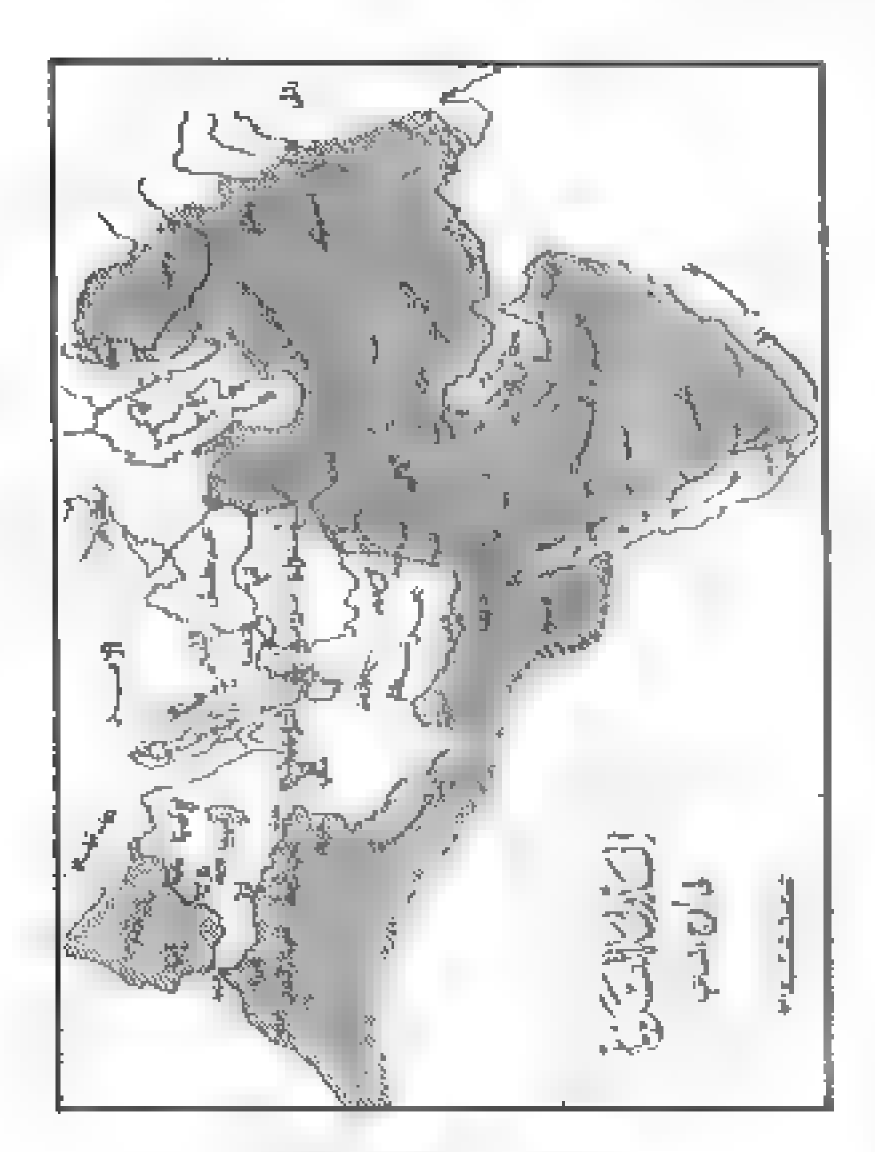
إلا أن سيطرة النورمان البحرية على الجنوب الإيطالي وصقلية من ناحية وقوة الأسطول البيزنطي إلى الشرق من ذلك أخّر امتداد جنوة والبندقية بأساطيلهما التجارية والحربية إلى الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط لبعض الوقت وكانت جنوة أسبق من البندقية إلى قبرص فقد دفعت بأسطولها ورجالها سنة ١٣٧٣ ميلادية وتمكنت من احتلال فاماغوستا واستمرت سيطرتها عليها وخلال السنتين التاليتين تمكنت من مهاجمة بقية قبرص واحتلالها وأسر مليكها الصغير إلا أن والدته (إليانور الأراغونية) مع ولي العهد المخلصين للعرش القبرصي قد تمكنا من التحصن بقلعة كيرينيا واستمرا ومن معهم في المقاومة حتى استسلموا بشروط أطلق بموجبها سراح الملك وتلت ذلك محاولات لإبعادهم عن فاماغوستا لم توفق وقد ظلت في أيديهم لمدة مائة سنة. أما البنادقة فإن تمكنهم من قبرص لم يحدث بالقوة وإنما تسللا وحيلة وبواسطة الملكة الأم (كاترينا كورنارو وهي ابنة نبيل بندقي) فقد مكنت لقومها حتى أصبحت الوارثة لابنها وهو آخر سلالة ملوك الجزيرة اللوسنيانيين واعتمدت عليهم في البقاء فسيطروا على سائر المرافق وفي سنة ١٤٨٩ ميلادية رفعوا علم (سان مارك) بعد أن أجبروا كاترين على التنازل لهم عن السلطان وبذلك خلص لهم أمر قبرص فحكموها حتى سنة ١٥٧٠ ميلادية حيث طردهم منها نهائيا الأتراك العثمانيون.

الامبراطوريتان العظيمتان (فارس وبيزنطة) كانتا سائدتين وسيدتي عالم ذلك الوقت، وفي بداية ظهور الدولة الاسلامية كانتا عظيمتين، وكان لابد لهما من مواجهة الدولة الناشئة الفتية ومنعها من الانتشار أو التوسع أو قوى امتلاك القوة وكان الصدام المحتوم، ولعلها أول مرة في التاريخ تنتصر فيها دولة فتية ناشئة على امبراطوريات راسخة ذات شأن في الحروب و تنظيمها. ولكن رسالة الإسلام كانت أعظم وأقوى، وبها انتصر المسلمون



الدولة الرومانية

الدولة العربية الإسلامية (الامبراطورية الجديدة) وقد انتصرت على الامبراطورية التي نازلتها منذ البداية (الفرس) وفي صراعها مع الامبراطورية العظمى (البيزنطية) نراها تتقدم في كل الميادين قبل مرور القرن الثالث على ظهورها، وصارت الغالبة في الشرق ومنطقة البحر الأبيض المتوسط.



الدولة العربية في اوج اتساعها

قبرص والأتراك:

الواقع أن جزيرة قبرص وهي أهم محطة يرتكز عليها أسطول أي غازٍ من البحر كانت دائماً محط أنظار الفاتحين والغازين والمغامرين وهي كذلك إذا ما ملكت أمر نفسها إلا إذا ما وقعت تحت سيطرة الأجنبي، وهذا بطبيعة الحال راجع إلى موقعها الجغرافي. ويذكر أن بطرس الأول عندما تولى عرش قبرص سنة ١٣٥٩ ميلادية سيطرت عليه فكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين (ولقد ذكرنا فيما تقدم أن ملك قبرص، أي ملك يعتبر ملكاً لبيت المقدس وإن لم تكن تحت سيطرته، على الأقل من وجهة نظره هو) وهكذا الحال، فلقد كان بطرس هذا في حماسه شبيهاً بالقديس لويس ملك فرنسا في زمن سابق، وتذكر كتب التاريخ أنه أثناء شبابه أنشأ طائفة جديدة من الفرسان أطلق عليهم اسم فرسان السيف وجعل هدفها الذي لا محيد عنه استعادة بيت المقدس. ولقد ترحل إلى الغرب طلباً للنجدة من أجل تجهيز حملته وهذا ما يعرف في عصرنا المعاصر (بالمزيرقة) وإن كانت التسمية في ذلك الوقت تختلف.

وبدأ أول حملة حربية في بلاد الأناضول ضد الأتراك واحتل حصن كوريكوس من الأرض حيث اعتبره أول نقطة يرتكز عليها جهده الحربي في هذا الغزو، ورغب بعد أول انتصار حققه أن يقوم برحلة ليشهر بالانتصار المسيحي لتدعيم أهدافه الحربية والجهادية وكان ذلك في سنة ١٣٦٢ ميلادية وبدأ بزيارة الاسبتارية في رودس وقد حصل على وعود بالمساعدة (وجدير بالذكر أن الاسبتارية كانوا في قبرص قبل أن ينتقلوا إلى رودس التي احتلوها سنة ١٣٠٨ ميلادية) ثم اتجه إلى البندقية وحصل كذلك على وعود وتعاطف من أهلها وكذا الموافقة على خططه وكان ذلك في سنة ١٣٦٣ ميلادية. وبعد عرض فكرته على الجنويين في جنوا أظهروا أنهم على غير استعداد لتقبل أفكاره وربما كان ذلك بسبب الخلاف الذي كان قائماً بينهم وبين مملكة قبرص في ذلك الوقت وسعى في أفينيون بالبابا (إيربان الخامس) ومن المعروف أن البابا كان من الداعين للحروب المقدسة رغبة في تأكيد سلطة البابوية

من جديد، وفيها أيضاً التقى الملك القبرصي بملك فرنسا يوحنا الثاني حيث اتفقا على القيام بحملة مشتركة تجمع كل نبلاء فرنسا وقبرص وتحمس البابا للفكرة فعين الكاردينال (تاليران) نائباً عنه وصار يدعو للحروب المقدسة. واستمر ملك قبرص في رحلته داعياً كل المسيحيين إلى تأييده والمشاركة في حملة تحرير بيت المقدس. والواقع أن أغراضه كانت أبعد من القيام بحملة واحدة هدفها بيت المقدس وعمليا فإن تحرير بيت المقدس يحتاج إلى السيطرة على كثير من المواقع في الشرق الأوسط.

وصل الملك بطرس بلاد الفلاندرز ثم توجه للقاء ملك فرنسا في باريس لتنسيق العمليات بعد لقائهما الأول الذي اتفقا فيه على القيام بالحملة المشتركة ومنها عبر إلى إنجلترا للقاء ملك الإنجليز إدوارد وهناك لقي احتفالاً وتكريماً وحصل من الملك إدوارد على أموال ووعد بالمشاركة والتأييد إلا أن الحملة لم يكتب لها أن تبدأ في الوقت الذي كان محدداً لأن الكاردينال تاليران الذي كلفه البابا أن ينوب عنه مات سنة ١٣٦٤ ميلادية وكذلك ملك فرنسا يوحنا كان قد مات في نفس السنة، وكان على بطرس أن ينتظر تتويج خلفه شارل الخامس ليبحث الأمر من جديد. وفي هذه الأثناء ذهب إلى البابا ليعرض فكرته مرة أخرى ووجد التأييد والموافقة بالمشاركة في الحملة ثم اتفق مع الملك شارل الذي وجد لديه الحماس البالغ لتلك الحرب (ربما لأنه أراد أن يبدأ عهده بإرضاء البابا) ثم عاد الملك بطرس مرة أخرى إلى البندقية بعد أن وجه بالاشتراك مع الملك شارل دعوة إلى جميع أمراء ونبلاء أوربا للاشتراك في حملة الحرب المقدسة وتحرير بيت المقدس، وقد لقي ترحيباً كبيراً هناك وخلال هذه الزيارة تمكن من حل الخلاف الذي كان قائماً بين مملكته وبين جنوا حيث وقع معاهدة مع الجنويين وبقي هناك حتى سنة ١٣٦٥ ميلادية. وخلال هذه السنة باشر البابا إيربان الدعوة الملحة في كل أوروبا للحرب المقدسة يساعده في ذلك المندوب البابوي في الشرق بطرس ماليتيك دي توما وبذلك اجتمع في البندقية حشد مسيحي كبير كان فيه عدد من الأمراء والنبلاء وهناك تم الاتفاق على تجمع كل الجيوش في جزيرة رودس سنة ١٣٦٥ ميلادية وكان الملك القبرصي بطرس قد سبق إلى رودس خلال منتصف سنة ١٣٦٥ م ومن هناك

أبحر على رأس الأسطول القبرصي الذي كانت معه سفن أخرى إذ بلغ عدد السفن مائة وخمسًا وستين سفينه محملة بالرجال والمعدات والمؤن والخيول، وتذكر كتب التاريخ أنها ربما كانت أكبر حملة صليبية بعد الحملة الصليبية الثالثة على المشرق، وكانت هذه المرة بقيادة ملك لا ينازعه أحد في القيادة هو الملك بطرس، وكانت الحملة قد أحيطت بستار من الكتمان،كذلك كان الملك يلقي المواعظ بين وقت وآخر ويقاطع بهتاف يقول (يعيش يعيش بطرس ملك بيت المقدس وقبرص رغم أنف العرب الكفرة) وبطبيعة الحال فإن هذا الحماس كانت وراءه الكنيسة والبابا وتلك أسباب تسمية الحملات بالصليبية.

وصل الأسطول الصليبي شواطئ الإسكندرية في شهر أكتوبر سنة ١٣٦٥ م وكانت الحملة عند تحركها من رودس قد أشاعت أن هدفها سوريا بحيث لا تحدث استعدادات في الإسكندرية والواقع أن الاتجاه إلى الإسكندرية كان مفاجأة وكان الوضع في حامية الإسكندرية سيئًا ولم تكن هناك استعدادات كافية على أن المدافعين قد بذلوا جهدًا كبيرا، وقد احتل رجال بطرس مدينة الإسكندرية دون عناء وكان ذلك في يوم ١ من شهر أكتوبر سنة ١٣٦٥ م أي بعد يوم واحد من وصول الأسطول إلى الشواطئ، ورغم بعض المناوشات والقتال في الشوارع إلا أن المدينة خلال اليوم الثاني كانت في حوزة القوات الغازية بالكامل وقد حدث فيها من السلب والنهب والقتل ما لم يحدث من قبل ويصف مؤلف كتاب (تاريخ الحروب الصليبية ذلك فيقول :

(احتفل الصليبيون بانتصارهم بما ارتكبوه من وحشية لا مثيل لها وما وقع في الحروب المقدسة التي استمرت نحو مائتين وخمسين عاما لم يعلم الصليبيون شيئًا عن الإنسانية فما أجروه من مذابح لم يضارعه سوى ذلك الذي حدث في بيت المقدس سنة ١٠٩٩ م وفي القسطنطينية سنة ١٢٠٤ م، والمعروف أن ثروة الإسكندرية كانت بالغة الشهرة واشتد هوس الظافرين حين شهدوا هذه الغنيمة الوفيرة فلم يبقوا على أحد إذ أن ما قاساه السكان الوطنيون من المسيحيين واليهود

لم يقل عما تعرض له المسلمون من القسوة بل إن التجار الأوروبيين المقيمين بالمدينة شهدوا ما تعرضت له محلاتهم ومستودعاتهم من النهب دون شفقة أو رحمة، و عار المراة على المساجد والمقابر فسلبوا أو دمروا ما بها من حُلِي، وتعرضت الكنائس أيضا للنهب) [1]

ويضيف : ودخل الصليبيون المنازل وكل من لم يبادر من أهلها إلى تسليم ما يقتنيه [2] تعرض مع أسرته للقتل وجرى حمل نحو خمسة آلاف أسير من المسيحيين واليهود فضلا عن المسلمين ليبيعهم رقيقا وما أصابه الصليبيون من النهب والسلب حمله قطار طويل من الأفراس و الحمير والإبل إلى السفن الراسية بالميناء ثم تقرر إعدامها بعد أن أدت عملها (المقصود إعدام تلك الحيوانات) وعبقت المدينة بالرائحة الكريهة الصادرة من جثث البشر والحيوانات وقد غادروا المدينة عندما علموا أن هناك جيشا كان قادما من القاهرة في ٠٦ أكتوبر سنة ١٣٦٥ م، وإذا اطمأن الملك بطرس والمندوب البابوي إلى ما أودعوه من غنائم في قبرص أو همها الأمل في أن ينهض الصليبيون مرة أخرى لمرافقة بطرس في حملة أخرى جديدة غير أنه لم يكد الصليبيون يبلغون قبرص حتى شرعوا في إعداد التدابير للرحيل إلى الغرب، إلى أوطانهم ومات المندوب البابوي في قبرص واغتيل ملك قبرص بواسطة أحد أقربائه سنة ١٣٦٩ م ولقد كان هذا الملك مهووسا بالحرب ولو لم يقتل لقام بغزوات أخرى ربما كانت نتائجها وبالا لأن حملته تلك لم تكن في الواقع من أجل بيت المقدس وقد اتسمت بالعنف والنهب، وما كان قد حدث في الإسكندرية كان رد الفعل عليه عنيفا إذ تعرضت قبرص بسبب هوس ملكها ذاك لغزوات بعد حوالي ستين سنة من ذلك الحادث كان فيها ذكر المؤرخون أحد بنشار وكان بطبيعة الحال وبالا على الجزيرة. كان ذلك سنة ١٤٢٦ وكان يمثل كل ما كان من مرارة في نفوس المسلمين

وقبل هذه الفترة بمدة تزيد قليلا على قرن من الزمان كان ملك قبرص

(١) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، الجزء الثالث، دار الثقافة بيروت
(٢) نفس المصدر

بأمريك، قد عقد هدنة مع السلطان العادل (وكان من المعتاد في حروب تلك الوقت أن تعقد الهدنات بين قيادات المقاتلين تختلف مددها حسب الظروف إذ تبدأ من عدة أيام إلى عدة سنوات وكانوا في الغالب يحترمون تلك الاتفاقيات أو الهدنات، وهي تحدث عندما يحس الطرفان المتحاربان بالإنهاك و التعب فيتوقفون عن القتال طبقا لهدنة ثم يعودون للقتال).

ولقد استقرت الأمور بعد الهدنة هذه لمدة عقد تقريبا إذ انصرف كل من السلطان و الملك لترتيب أمورهم العسكرية والمدنية، وهدأت الأوضاع في مملكة بيت المقدس الصغيرة على الرغم من خلافات الأمراء وانقسامهم في المنازل القريبة منها،وكان (يوحنا أبلين) قد عين وصيا على بنت أخته الملكة (ماريا) وبذلك حكم لمدة ثلاث سنوات وعندما بلغت ماريا سن الزواج (سبع عشرة سنة) سنة ١٢٠٨ م طلب أسقف (عكا) من الملك فيليب ترشيح زوج لها وقد أعلن فيليب هذا سنة ١٢١٠ م أن فارسا من شامبانيا يدعى (يوحنا برين) سوف يتزوج الملكة ماريا وكان هذا الفارس يبلغ من العمر ستين سنة وله شقيق متزوج من كبرى بنات ملك صقلية تانكرد وكان يوصف ذلك في الحقيقة أحد قادة ملك فرنسا.

وفي هذه الأثناء وقبل إتمام الزواج تحرش الإفرنج بالملك العادل بتحريض من الوصي على الملكة ماريا ومن طرف بعض الفرسان بنية إفساد الهدنة وربما منع ذلك الزواج لكن شيئا لم يحدث، ذلك أن الملك العادل أحاطهم بإرسال قوات يقودها ابنه (المعظم) إلى جبل الطور وبذلك فشلت محاولاتهم، ووصل زوج الملكة المرشح إلى عكا في سبتمبر سنة ١٢١٠م وعقد يوم ١٤ سبتمبر على الملكة وأقام قداس الزواج البطريرك في بيت المقدس وتوج الملك والملكة يوم ٣ أكتوبر في صور، ولقد قام هذا الملك بكثير من الأعمال و الإصلاحات وإن قد انتهت الهدنة بينه وبين الملك العادل وحدث قتال في عدة مواقع وأرسل قوات لمهاجمة دمياط ولكنها فشلت في تحقيق أي هدف ثم أبرم معاهدة أخرى مع الملك العادل مدتها خمس سنوات في وقت كان يعد بالاتفاق مع البابا في روما من أجل الحملة الصليبية الجديدة بعد انتهاء

المعاهدة التي هي في الواقع هدنة وفي سنة ١٢١٢ م ماتت الملكة بعد أن أنجبت طفلة سميت باسم (إيزابيلا) وأصبح وضع الملك حرجا لأنه ملك بالزواج فقط وبعد بعض الخلاف صدر الاتفاق على أن يكون وصيا على ابنته إلى أن تتزوج. وفي قبرص كان الأمير (هيو) قد خلف والده الملك (أمريك) وكان صغيرا وقد صار وصيا عليه فارسا فرنسيا كان يعمل مع والده يدعى (والتر مونتبيليار) الذي تزوج أخته الكبرى (بريجيديا) وكان مغامرا متهورا أدت وصايته إلى حرب كانت مع الأتراك وكانت خاسرة ولأنه كان فاسد الذمة فقد نفي عندما تسلم الحكم الأمير (هيو) سنة ١٢١٠م وصار هذا ملكا على قبرص وتزوج الأميرة (أليس) أميرة بيت المقدس وبذلك جمعت مرة أخرى المملكتان قبرص وبيت المقدس.

ولقد كان مفهوما ومعتادا أن تهدى هدية مقتطعة أو البلد أو أن تلحق هذه الهبة بأخرى عند الزواج بين أمير وأميرة أو ملك وأميرة كذلك الحال بالنسبة لزعيم أو قائد إلخ. فلقد حدث مثلا أن البرتغال قد استولت سنة ١٦٥٦م على طنجة وقدمتها الأميرة (كاترين) هدية عرس لزوجها ملك بريطانيا شارل الثاني عند زواجهما سنة ١٦٦٢م، وغير هذا حدث كثيرا.

وفي سنة ١٠٧٠م ويعد أن امتد الأتراك العثمانيون بنفوذهم إلى الشام سنة ١٥١٥م وإلى مصر سنة ١٥١٧م واستولوا على جزيرة رودس سنة ١٥٢٢م وعلى طرابلس الغرب سنة ١٥٥١م لم يكن أمامهم هناك من بد من إنهاء حكم البنادقة في جزيرة قبرص هي الأخرى. والأتراك العثمانيون مثلهم مثل أسلافهم السلاجقة ينتمون إلى الجنس الطوراني وكان موطنهم الأول مناطق وسط آسيا الصغرى وشمالها وقد اعتنقوا الإسلام مثل سائر القبائل التركمانية و استقروا في آسيا الصغرى وكان أول زعيم تولى قيادتهم (أرطغرل) وكان هؤلاء قبل (أرطغرل) وقبل الإسلام أي في بداية القرن السادس الميلادي قد كونوا دولتين سادتا في المنطقة من منغوليا وتخوم الصين حتى البحر الأسود، وكان مؤسس واحدة من هاتين الدولتين هو (بومين) وعرفت باسم الدولة الشرقية وقد توفي سنة ٥٥٢ ميلادية ومؤسس

الدولة الثانية شقيقه (لستمى) وعرفت بالدولة الغربية وقد توفى هذا في حوالي سنة ٥٨٠ ميلادية أي أنه عاش فترة بعد شقيقه زعيم الدولة الشرقية، وفي الثلث الأول من القرن السادس كانت الأسرة المالكة في الصين والتي تسمى (أسرة تانج) قد انتصرت على الدولة الشرقية وبعد ذلك على الدولة الغربية أي خلال سنة ٦٥٩م وإن كان الأتراك في المنطقة الشمالية قد ثاروا وتخلصوا من الحكم الصيني حيث استمروا يحكمون أنفسهم إلى سنة ٧٤٥ ميلادية.

أما أرطغرل فقد كان قد التقى مع السلاجقة في قونيه وحارب معهم ضد المغول وبالتالي فقد كافأوه بأرض أسس عليها إمارة صغيرة بالقرب من أنقره وعندما مات في حوالي سنة ١٢٨٨م خلفه ابنه عثمان وعثمان هذا هو مؤسس الدولة التي سميت باسمه (الدولة العثمانية) وذلك بعد وفاة السلطان السلجوقي وقد تمكن عثمان من التوسع بواسطة الغزو في مناطق الشمال والغرب حتى تمكن من ضم (بروسه) وذلك سنة ١٣٣٦ ميلادية. وهذه كانت من إقطاع الدولة الرومانية الشرقية ثم استمر العثمانيون حتى وصلوا سواحل بحر مرمره وكانت دويلات البلقان في نزاع وخلاف دائم مع القسطنطينية عندما الأتراك وقد قويت دولتهم نفسها في عهد (أورخان) بالتحالف مع إمبراطور القسطنطينية وعلى أثر ذلك فسح المجال أمام الأتراك ليعبروا في اتجاه الغرب مضيق (البسفور) وذلك خلال القرن الرابع عشر وأخذوا يقيمون القواعد العسكرية في شبه جزيرة (قاليبولي) وعندما خلف السلطان مراد والده أورخان استولى على أدرنه) وجعلها عاصمة للدولة التركية سنة ٣٦٧ ميلادية وهنا ومن منطلق الخوف على المصالح الوطنية التي ظهر أنها عرضة للتهديد من الزحف العثماني تنادى زعماء دول أوروبا في كل من المجر والنمسا وصربيا وقد ناسبت لتكوين جيش يقف أمام الزحف التركي الإسلامي ولقد بارك البابا هذه الإجراءات وبلغ الجيش الأوروبي ما يزيد على مائة ألف مقاتل، وحدثت معركة بين هذا الجيش والجيش التركي في منطقة (قاصوه) أو (قوصوه) على حدود صربيا وذلك سنة ١٣٨٩ ميلادية أي قرابة نهاية القرن الرابع عشر وقد

انهزم فيها الجيش الأوروبي ذلك رغم كثرة عدده ورغم ما زود به وما أعد له من تدريب وتموين ورغم بركات وتبريكات البابا.

وهكذا صار الطريق مفتوحا أمام الأتراك العثمانيين في البلقان، وقد أكدت هذه المعركة أن الجيش التركي يتمتع بتنظيم رائع ومهارات كبيرة وانضباط لا مثيل له وبطبيعة الحال فإن هذه صفات الجندي الذي لا يمكن أن يهزم ولابد أن ينتصر

وحدث أثناء تلك الفترة ظهور المغول الذين قادهم (تيمورلنك) قادمين من الشرق وقد انتصروا على الأتراك في معركة قرب أنقره حيث أسروا السلطان العثماني (بايزيد) الذي مات بعد ذلك، ولكن هؤلاء الغزاة المغول لم يتجاوزوا منطقة الأناضول وعادوا إلى موطنهم في سمرقند وقد تقدموا للدخول إلى أوروبا، ولم يجد المؤرخون تفسيرا لذلك العمل خصوصا أنهم حققوا نصرا كبيرا في أول معركة مع الأتراك، وكان تيمورلنك قد أحيط بهالة من التقديس والإكبار بين الناس وبين مواطنيه بشكل خاص وما زالت الحكايات تتواتر عنه حتى عصرنا هذا ولقد أقام الكثير من المنشآت في سمرقند وأذكر أنني كنت أزور سمرقند ذات مرة خلال سنة ١٩٨٥م أي بعد المعركة التي أشرنا إليها بأكثر من خمسمائة سنة وكان معي مرافقة وزوار آخرون وفي مكان هناك رأيت مباني ضخمة مزينة من أعلاها إلى أسفلها بالفسيفساء الملونة، قالت تلك المرافقة إن المبنى يسمى (مدارس) أي جمع مدرسة وذكرت أن زوجة تيمورلنك أرادت بينما كان يقوم بإحدى غزواته في آسيا أن تقدم له هدية عند عودته منتصرا فبدأت في إقامة ذلك البناء الضخم وطلبت من أمهر المهندسين في ذلك الوقت أن يشرف وأن يكمل البناء قبل عودة زوجها لكي تقدمه هدية له. وإن هذه الزوجة كانت من أجمل النساء في ذلك الوقت وقد انبهر بها ذلك المهندس فقال لها إنه سيكمل البناء إذا هي قبلت أن يقبل خدها الأيمن فوافقت بعد أن وضعت راحة يدها على خدها لكن القبلة انطبعت على الخد وصارت علامة ظاهرة وعندما عاد الغازي المنتصر ولاحظ تلك العلامة سألها فذكرت له حقيقة الأمر وهنا فور قتل المهندس وبينما كان حراسه يبحثون عن المهندس صعد هذا إلى

أعلى مبنى فطار من هناك إلى الأجواء العليا ولم يعد، هكذا ذكرت هذه القصة عندما كانت تتحدث عن المدارس وعن أعمال تيمورلنك.

وبعد غزوة المغول تلك وانتصارهم على الأتراك وعودتهم إلى سمرقند ضعفت ثم تفككت دولتهم بعد موت تيمورلنك، ويعتقد أنهم لو اجتازوا إلى الجزء الأوروبي بعد معركتهم تلك ربما كان يمكن أن تتغير أحداث التاريخ، وقد مات زعيمهم القوي تيمورلنك سنة ١٤٠٥ ميلادية وكانت تلك دورة من دورات التاريخ.

وبادر خليفة السلطان العثماني (بايزيد) السلطان محمد الأول بتنظيم الدولة العثمانية التي كادت أن تتفكك بعد الهزيمة في معركة أنقرة. وعمل على تدعيم وزيادة القوات البحرية ومعداتها، وكان السلاطين الأتراك ينشئون جنودا على قواعد جديدة من العسكرية حيث يربونهم تربية لا يعرفون من خلالها إلا تركيا والدين الإسلامي منذ الصغر، فالأب هو السلطان والأم هي تركيا والإسلام وعقيدة الجهاد في سبيل الله، ولقد عرف هؤلاء باسم (الانكشارية).

وبعد محمد الأول تولى السلطة محمد الثاني سنة ١٤٥١ ميلادية وقد أقدم السلطان محمد الثاني في أول فرصة على غزو ومحاصرة القسطنطينية التي كانت تحت سيطرة الدولة البيزنطية، هذه الدولة التي هرمت وظهر ضعفها في كل مكان وهي الفرصة التي تهيأت للسلطان العثماني الجديد وبذلك فرض عليها حصارا بريا وبحريا وفي هذه الأثناء وعلى ضوء هذا الخطر التركي الداهم تنادت القيادات والسلطات المسيحية في منطقة البلقان وشكلت جيوشا لمنع تقدم الأتراك لكنها جميعا لم يحالفها التوفيق لأن الأتراك كانوا ينتصرون في كل معركة، وكانت المعركة الفاصلة مع هؤلاء المسيحيين سنة ١٤٤٥ م في منطقة (وربه) على البحر الأسود وقد فتح الباب لاحتلال القسطنطينية وهي الهدف الكبير لدى أمراء الأتراك. وقام السلطان محمد الثاني بتجهيز جيش قيل إن عدد جنوده بلغ مائة وخمسين ألفا ومعه خمسون سفينة حربية وكان آخر إمبراطور بيزنطي (قسطنطين باليولوغس) ضعيفا من حيث الجنود والعتاد ولقد استنجد بأوروبا عندما أحس بالخطر ولكن

أحدا لم يجده غير جنوا التي أرسلت بعض الجنود والسفن ولكن ذلك لم يكن ذا نفع أمام قوات زاحفة لا يقف أمامها شيء. وعمل الإمبراطور قسطنطين على تحصين المدينة من ناحية البحر حيث وضع رجاله سلاسل متينة تمنع البواخر من دخول الميناء بحيث تسد المضائق ولكن الأتراك تحايلوا على تلك الحيلة إذ وضعوا أخشابا مثلت نوعا من الجسور التي انزلقت فوقها السفن وقد احتلوا المدينة بحلول نهاية شهر مايو سنة ١٤٥٣ ميلادية بعد أن حاصروها لمدة شهر ونصف الشهر تقريبا ومنذ صارت القسطنطينية عاصمة للدولة العثمانية وسميت باسم جديد (إسطنبول)، وباحتلال القسطنطينية أشرف الأتراك على شرقي البحر الأبيض المتوسط وكانوا يدركون ما للأساطيل والقوات البحرية من أهمية في المراحل القادمة خصوصا أن الدولة التي تواجههم في البحر (البندقية) كانت لديها أساطيل قوية وهي لابد أن تقف سدا أمام أي محاولة يقومون بها. ولذلك جهزوا أساطيل بحرية وأدخلوا عليها ما يتوفر في ذلك الوقت من تحسينات وبعد معارك متفرقة استولوا على جزر بحر إيجة القريبة من مضيق الدردنيل وهي (جزيرة ساموتراكي وجزيرة قبرص) ثم استولوا على بقية الجزر وبعد هذه الانتصارات وقبل نهاية القرن الخامس عشر كان الأتراك قد فرضوا على البندقية دفع الجزية

وعندما تولى السلطان سليم الأول سار على نفس السياسة في الفتوحات والاهتمام بالأساطيل البحرية وبعد فتح مصر وسوريا سنة ١٥١٧ ميلادية زادت سيطرة تركيا على شرق البحر الأبيض المتوسط والأحمر وأجزاء كبيرة من غربه أثناء حكم السلطان سليمان القانوني عندما تم فتح رودس وسواحل شمال إفريقيا. ولقد كان البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت طريق التجارة العالمية قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨م بواسطة فاسكو دي جاما، كذلك اكتشاف الأرض الجديدة بواسطة كريستوفر كولومبس (قارة أمريكا) سنة ١٤٩٢ ميلادية. وكان قبل ذلك من يسيطر على البحر الأبيض المتوسط يكون قد سيطر على قلب العالم المتمدن ومصدر النشاط التجاري العالمي ولنفس السبب أيضا كانت أكثر المعارك تحدث حول هذا البحر

وإذا كان الأتراك قد فرضوا على الدولة ذات الأسطول القوي في البحر الأبيض المتوسط (البندقية) فرضوا عليها الجزية فلا مناص من طردها من المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية ولذلك وجه الأتراك أساطيلهم إلى قبرص فطردوا البنادقة منها واستولوا عليها دون كبير عناء ذلك أن المواطنين القبارصة نظروا إلى الأتراك على أنهم منقذون في ذلك الوقت ولهذا السبب لم يبذلوا أية مساعدة للبنادقة الذين تحصنوا في فاماغوستا ونيقوسيا وكيرينيا (كيريني) وعندما احتل الأتراك قبرص تكون بذلك قد انتهت مراحل وتغيرت أوضاع ونشأت ظروف جديدة أخرى مما يمكن اعتباره نهاية لعصر وبداية لآخر، أي أن سنة ١٨٧٠ ميلادية يمكن اعتبارها نهاية للعصر الوسيط وبداية للعصر الحديث في قبرص [1] ولقد كان مجيء الأتراك إنقاذا للقبارصة من المسيحيين والمسلمين معا وعلى السواء فالقرون الأربعة من حكم اللاتين الذين حاولوا وأرادوا فرض الكثلكة [2] أي (الدين الكاثوليكي) على الأرثوذكسي قد تعسفوا كثيرا في معاملتهم لرجال الدين وعامة القبارصة وامتدت أيديهم إلى أوقاف الكنائس الأرثوذكسية وأرادوا تغليب لغتهم على اللغة اليونانية ففرضوها على الناس وحققوا لأنفسهم مجتمعا ومحيطا متميزا فجاءوا بالإقطاع الذي جعل منهم السادة ومن عامة القبارصة رقيق الأرض وخدم السيد الإقطاعي وهذه هي الأسباب بلا شك التي جعلت القبارصة اليونانيين يقفون الموقف المؤيد للغازي الجديد (التركي).

والأتراك العثمانيون مسلمون سنة يرفعون راية الخلافة الإسلامية ويحكمون المسلمين وفق الشريعة الإسلامية وهذا ما لم يكن المسلم القبرصي من الممكن أن يطمع فيه في ظل الحكم اللاتيني المسيحي الشديد التعصب ضد الإسلام في ذلك الوقت، الشديد العداء للعربي بصفة عامة ذلك أن ذكريات الأحداث وخصوصا في

---

(1) بعض المؤرخين يعتبرون أن نهاية العصر الوسيط كانت مع نهاية عهد الدولة البيزنطية، وبعض آخر يرى العكس، وهو ما سوف نبحث فيه.

(2) لقد كان فرض الجزية، وهي الضريبة التي جاء بها الإسلام أهون كثيرا من فرض تغيير الدين وهو ما لم يفعله المسلمون أبدا، وكان التحول إلى الدين الإسلامي طوعا وهو كذلك يأتي بمزايا للذين يعتنقونه، وقد رأينا ذلك فيما تقدم.

حطين ماثلة أمامهم (مع العلم بأن تعبير الصليبية أطلقه المسيحيون وتبعهم فيما بعد جميع المؤرخين الغربيين ولم يكن من عند العرب المسلمين ولا المؤرخين العرب أو المسلمين فيما بعد إذ كانوا يقولون حرب الفرنجة عندما يشيرون إلى تلك الأحداث التاريخية وكانت جميع حملات الغربيين ترعاها البابا والكنيسة) ولذلك فقد كانت الطائفتان المسلمة والأرثوذكسية في قبرص ترحبان بالغزو التركي. وتلك حقيقة تاريخية وقعت وتقع في كل مكان وأينما كان هناك محتل ظالم مضطهد.

وفي ظل الحكم التركي آنذاك استعادت الكنيسة القبرصية الأرثوذكسية حريتها وسعودها وممتلكاتها المسلوبة ولقد حدث مثل هذا عندما فتح الأتراك المسلمون القسطنطينية في عهد السلطان محمد الثاني سنة ١٤٥٣م إذ أحسن الأتراك معاملة الإغريق وتركوا لهم حرية العبادة وحق اختيار بطاركتهم وإنشاء مجالس طائفتهم ومحاكمهم الإغريقية الخاصة بهم وقد سلم السلطان العصا والختم لبطريركهم)

وفي العهد الجديد هذا استعاد الفلاح القبرصي كرامته إذ لم يكن التركي بالسيد الإقطاعي الذي يفرض الجزية أو الإتاوة أو ما سواها عليه. أما ما يوصف به الأتراك في كتب وكتابات المؤرخين الغربيين فإنما هو من تراث تعصب ديني مفرط كان وربما ما زال يرتد كأنما هو حمى مطاعن تحتم به صفحات كتاب التاريخ عندما يتصل الأمر بالعرب المسلمين في مقاومة الغزوات الصليبية وكذلك فيما يتصل بالحملات التركية فيما بعد (ولقد رأينا كتاب الإنجليز الذين باع ملكهم الجزيرة في شبه مزاد علني ثلاث مرات كيف يتحدثون عن العرب ومنهم الشهير جورج هيل وغيره) (ونحن هنا نتحدث عن فتوحات الأتراك أثناء فترة الخلافة الإسلامية وليس ما جاء أو حدث منهم بعد تلك الفترة، ونقصد الفترة ما بعد حكم مصطفى أتاتورك وفي عهده) أما ما حدث مع المسلمين في جزيرة قبرص أثناء فترة الحكم اللاتيني فقد كان مؤسفا وما عرف عن اللاتين من كره للمسلمين وبغض للعرب في المواطن التي يحتلونها فلم يعرف مثله في مسيحيي الشرق ولا ذكر أن البيزنطيين قد ارتكبوه

في التاريخ، وهذا يعني أن العرب الذين بدأوا في الاستيطان في جزيرة قبرص منذ عهد معاوية وكان عددهم حسب روايات أغلب المؤرخين (اثنى عشر ألفاً) قد أصبحوا مع الزمن قبارصة أي خلال فترة ما يقرب من ألف سنة هم الذين تكلموا اللغة التركية فيما بعد انسياقاً وراء الحكم التركي وتقليداً لحكامهم المسلمين الأتراك. وهم الذين اعتبروا أتراكاً أو يعتبرون الآن من الأتراك بينما الحقيقة أنهم ليسوا كذلك ولا يمثل الأتراك منهم عرقياً إلا نسبة قليلة وهذا فيما نعتقد ما يؤكده التاريخ وسير الأحداث وتطور الحياة، فإذا كان أول المستوطنين عرباً وعددهم حوالي اثنا عشر ألف فإن ذلك يعني أن الأتراك الحاليين أصلهم أولئك العرب

ولقد حكم الأتراك قبرص كما حكموا غيرها من البلدان والناس والتي امتد حكمهم إليها من سنة ١٥٧١ م إلى سنة ١٨٧٨ ميلادية وهي مدة تصل إلى ثلاثة قرون وثمانية أعوام. وفي حكم هؤلاء لقبرص لم يكونوا لا بالأحسن ولا بالأسوأ مما كان حكمهم لغيرها من البلدان والشعوب. فلقد كانت تركيا دولة عسكرية ولم يكن لها من باع في مجالات الثقافة والحضارة يذكر، وكان أسلوبهم في الحكم القمع والإرغام وإسكات الأصوات المعارضة بالعنف وحمل الناس على الطاعة كان سبيله حملات الجند التأديبية وهذه الصورة نعثر عليها في أي بلد حكموه بما في ذلك بلدان الوطن العربي التي تشترك معهم في العقيدة الواحدة وهي (الإسلام).

ولكن هذا هو الإطار العام للسلوك التركي في الحكم والسياسة فإنها (أي تركيا) في جو التيارات الوطنية خلال فترة القرن التاسع عشر لم تدرك خطورة ذلك ولم يكن لها من الوعي والنباهة ما تعالج به الموقف غير انتهاج نفس طريق الكبت والإرغام، فكانت النتيجة الحتمية هي أن تنهار هي ذاتها كدولة في خاتمة المطاف.

وفي قبرص نفسها وقد جوبهت بحركة الميول الاندفاعية لدى القبارصة المتحدثين باللغة اليونانية و المعتنقين الأرثوذوكسية للانضمام إلى اليونان ساعين لوحدة قومية (هي في الواقع شعبية دينية) تلجأ إلى العنف فترتكب سنة ١٨٢١ م جريمة مذبحة مشينة يعقوبها تلك التي سممت وأفسدت الجو نهائياً بين الأتراك

والكنيسة القبرصية وقد كانت الكنيسة حتى ذلك الوقت موالية وهي أشد الأزمات مهادنة، ولقد أدى ذلك الحادث إلى مضاعفات انتهت إلى أن يعهد بسبب تعالي تحت ضغوط دولية معقدة إلى الحكومة الإنجليزية بالإشراف على أمن الجزيرة وإدارة شئون القبارصة نيابة عن العثمانيين فتولت بريطانيا ذلك من ٢٢ يوليو سنة ١٨٧٨ ميلادية وسنذكر الأسباب والضغوط الدولية و المحلية و الإقليمية فيما يلي



الوضع في تركيا والتوتر بين روسيا و الغرب وأهمية المضايق



حملة الصليبيين الأولى

بريطانيا وقبرص والمحطات الثلاث وسياسة الانتفاع بدلا من سياسة البيع

عندما تحدث الحروب تتغير المواقف والسياسات وجميعها بسبب المصالح التي تحققها استراتيجيات جغرافية. ولقد كان وسيبقى موقع قبرص الاستراتيجي أحد أسباب الاحتلال أو الغزو والحروب فوق أرضها مدا وجزرا (أو هو السبب الرئيسي) وعلى الرغم من التغير الذي طرأ على المنطقة في البحر الأبيض المتوسط بعد اكتشاف أمريكا ورأس الرجاء الصالح. كذلك على الرغم من تطور الأسلحة والمعدات العسكرية حديث فإن محطات استراتيجية مثل قبرص لا تزال تستحوذ على اهتمامات كثير من الدول، وإذا كانت الإمبراطوريات تنهض وتتقوى ثم تضعف وتنتهي و التمكك فإن المواقف الاستراتيجية تبقى بذات الأهمية ذلك أن دولا وإمبراطوريات تقوم لتحتل وتنشيء القواعد وتستولي على المناطق والبلدان التي تراها مفيدة في رعاية مصالحها الجديدة ومسئولياتها الدولية و الإقليمية.

وهكذا كانت قبرص ومالطا وطنجة وجبل طارق والدردنيل و البسفور وغيرها هذه أسبابا للصراع و الحروب و التنافس الدولي وكانت الشعوب القاطنة فيها أو بالقرب منها تدفع ثمن تلك الحروب والصراعات دون أن تكون هي السبب فيها أو المرغبة بها وكانت واحدة من الأسباب الدولية التي أجبرت تركيا على التنازل لبريطانيا عن قبرص لتديرها نيابة عنها أحداث حرب القرم التي لم يكن لقبرص شأن بها أو علاقة، وهي كما يلي :

حدثت الثورة في فرنسا سنة ١٨٤٨م وتولى لويس نابليون رئاسة الجمهورية وهو ابن أخ نابليون الأول واتخذ لنفسه لقب الإمبراطور عندما غير نظام الحكم من الجمهوري إلى الإمبراطوري سنة ١٨٥٢م وتسمّى باسم الإمبراطور نابليون الثالث، وكانت الثورة من فرنسا قد انتقلت إلى المانيا والنمسا وقد استشاط قيصر

روسيا غضبا وهو نيقولا الأول بسبب هذه الأحداث وكان لا يود أن يرى أحد أفراد أسرة نابليون يعود إلى الحكم في فرنسا وقد توتر الموقف وحدث العداء ذلك أن القيصر نيقولا الأول أراد الحرب في عهد الرجعية في أوروبا شرقيها وغربيها، وحدث أن الخلاف الشديد الذي أدى إلى الحروب في عهد القيصر الإسكندر وهو شقيق نيقولا الأول قد جاء من بيت المقدس وكان بين الرهبان الأرثوذوكس والرهبان الكاثوليك ذلك أن الكاثوليك يعتمدون على فرنسا ومساعداتها بينما كان الأرثوذوكس يعتمدون على اهتمام وعناية ومساعدة قيصر روسيا ذلك أن هذه تتعهد بحماية الأرثوذوكس حسب نصوص اتفاقية سنة ١٧٧٤ م التي وقعتها مع تركيا وما كان من قيصر روسيا الإسكندر إلا أن أمر جيشه بالتحرك فقامت قواته بعبور نهر (البروت) سنة ١٨٥٢م واحتلت الدانوب وكان ذلك بمثابة إعلان حرب على تركيا، وقامت القوات الروسية بتدمير الأسطول التركي عند منطقة (سانوب) وظهر أن روسيا أرادت بذلك الاستيلاء على المضايق وكذلك القسطنطينية ومن ثم تهدد المصالح البريطانية والفرنسية ولم يكن أمام الدولتين إلا إعلان الحرب على روسيا بحجة مساعدة تركيا والحقيقة أنهما تريدان المحافظة على مصالحهما في الشرق الأوسط وفي سنة ١٨٥٢م أرسلت فرنسا ٣٩ سفينة حربية ونحو من خمسين ألف جندي. كذلك طلبت بريطانيا وفرنسا من كل من النمسا وبروسيا إرسال قوات وكذلك إيطاليا ومصر فوقفت كل من النمسا وبروسيا على الحياد وإن كانتا عمليا تناصران بريطانيا وفرنسا بينما أرسلت إيطاليا بعض القوات وكذلك مصر التي أرسلت جنودا وسفنا حربية، وبذلك تم غزو شبه جزيرة القرم حيث تم حصار أهم ميناء حربي لروسيا وهو ميناء (سيباستبول) على البحر الأسود وكانت هذه الحملة بمثابة حرب أوروبية غربية إلى جانب تركيا وضد روسيا وبعد الحصار الطويل لميناء سيباستبول (حوالي سنة) سقط الميناء وكان على روسيا أن تسعى إلى إيقاف الحرب فانعقد مؤتمر باريس وبعده مؤتمر برلين (كان الأول في شهر مارس سنة ١٨٥٦م) حيث قررت فيه الدول الأوروبية قبول تركيا في هيئة الدول الأوروبية ومعاقبة روسيا بفرض حظر على الأسلحة والمنشآت العسكرية على موانئ البحر

الأسود وكذلك منع أسطول الحربية. إلا أن روسيا سرعان ما تحللت من هذا الحظر خلال الحرب البروسية عندما انتصرت فيها بروسيا على فرنسا سنة ١٨٧١م وبعدها قامت الحرب بين روسيا وتركيا مرة ثانية سنة ١٨٧٦م وعلى إثرها انعقد مؤتمر برلين وكانت الهزيمة قد لحقت بتركيا، (كان المؤتمر قد انعقد في سنة ١٨٧٨م) برئاسة المستشار الألماني (بسمارك) ولأن بريطانيا كانت تنتظر مثل هذه الفرصة لاحتلال قبرص على اعتبار أن مصالحها كانت قد تهددت فقد طلبت من تركيا الموافقة على ذلك نظير ما قدمت به بريطانيا من جهد حربي مع تركيا وما يمكن أن تحتاجه الأخيرة مستقبلاً وكانت تعرف أنها إذا وافقت أو لم توافق فإن بريطانيا سوف تستولي على قبرص. كما أنها تدرك أنها لابد أن تسدد ثمن فاتورة الحرب ومساعدة بريطانيا لها، على الرغم من أن بريطانيا لا تسعى إلا لمصالحها) وقفت تركيا إلا أنها ومن أجل حفظ ماء الوجه ذكرت أنها توافق على تأجير جزيرة قبرص لإنجلترا وحدث ذلك كما ذكرنا في سنة ١٨٧٨م وكان القادة العسكريون والسياسيون الإنجليز قد قرروا أن تقوم الاستراتيجية العسكرية البريطانية مستقبلاً على ما عرف باسم (المحطات الثلاث) وهي جبل طارق ومالطة وقبرص، وما كان يعرف بين باسم سياسة الانتفاع وليس البيع، وفيما يلي تفصيل ذلك.

لقد كان احتلال قبرص من جانب بريطانيا مكملاً لخطة التوسع البريطانية في البحر الأبيض المتوسط وفي الشرق عموماً ذلك أن البدء في إنشاء قناة السويس نبه إلى قرب حدوث تغيير جغرافي واستراتيجي وتغيير في السياسة الدولية على طول منطقة البحر الأبيض المتوسط. فقد افتتحت قناة السويس سنة ١٨٦٩م ونظراً لأن المهندس صاحب الفكرة والمشرف على تنفيذها كان فرنسياً يدعى (فرديناند دي لسبس) فإن فرنسا كان لها نصيب الأسد في أسهم الشركة العالمية التي تولت تسيير العمل في القناة الشيء الذي أغاظ ساسة بريطانيا التي ما كانت تولي اهتماماً للمشروع في بدايته ولذلك انتهزت فرصة احتياج الخديو إسماعيل إلى المال (أو هي أقنعته بأهمية البيع وهي لا تعدم الحيل) فاشترت أسهم مصر سنة ١٨٧٥م ونظراً لأن المال والمصانع لابد أن تحتل الرعاية والمحافظة عليها فقط أرادت

بريطانيا أن تكون قواعد قواتها قريبة لتحمي مصالحها وخصوصاً في هذا الممر المائي الذي ربط الشرق بالغرب من خلال البحرين الأبيض والأحمر، وبريطانيا كذلك كانت دائماً تتوجس خيفة من روسيا وتطلعها لأن يكون لها موقع قدم في الشرق الأوسط ويذكر القارئ الكريم كيف أنها ساعدت على إشعال الحرب على روسيا في حلافها الأول مع تركيا لمجرد أن بريطانيا هذه قد أحست بأن الروس قد يسيطرون على المضايق أي على البسفور والدردنيل، ومن خلال هذه النظرة وهذه العوامل كلها حرصت بريطانيا على أن يكون لها وجود في جزيرة ذات موقع جغرافي هام يمكن أن تشرف منه على المنطقة كلها وكان أن احتلت أو استأجرت (كما كانت التسمية) قبرص من تركيا ونعرف أنها أي (بريطانيا) بعد ذلك تدخلت في الوضع الداخلي لمصر مع الخديو توفيق وضد ثورة عرابي سنة ١٨٨٢ ميلادية وكان ذلك بعد أن ضربت ثورة عرابي وقضت عليها في موقعة (التل الكبير) خلال شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢م ولابد أنها أفهمت الخديوي توفيق أنها جاءت لحمايته وحماية نظامه عندما قامت الثورة عليه، والحقيقة التي لا مراء فيها أنها وجدت الفرصة لتحتل قناة السويس، أي أنها جاءت من أجل مصالحها.

وكانت بريطانيا قد احتلت جزيرة مالطا سنة ١٨ ميلادية وقد تأكد هذا الاحتلال بموجب قرارات مؤتمر فيينا لصالح بريطانيا سنة ١٨١٥م، وهذه الجزيرة (مالطة) كان نابليون بونابرت قد احتلها لمدة قصيرة عندما قام بحملته الشهيرة على مصر. كذلك كانت إنجلترا قد احتلت جبل طارق سنة ١٧٠٤ ميلادية، وإذا كان نابليون قد احتل تلك الجزيرة عندما كان يقوم بحملته على الشرق فإن الأمر لا يمكن أن يخفى على بريطانيا وهي تعد للسيطرة على الشرق أيضاً

إذن، تلك هي المحطات الثلاث من وجهة النظر البريطانية التي تحكم منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط (جبل طارق – مالطة – قبرص). فهل إن تركيا تخلت أو هي تركت قبرص للإنجليز راغبة أو مجبرة، ولكن القبارصة لم يهاجروا موطنهم رغم تخلي تركيا عنهم في ذلك الوقت (القبارصة الأتراك) وعلى

الرغم من تخليها لم يكن ضمن شروط واضحة أو معلنة، ولم يكن هناك من هؤلاء أي موقف عدائي ضد بريطانيا، كذلك لم تكن لهم مواقف عدوانية ضد القبارصة اليونانيين شركائهم في الوطن و المصير ولكن القبارصة اليونانيين وإن رحبوا بالإدارة البريطانية بقبرص إلا أنهم طالبوا بأن تسلم الجزيرة إلى اليونان حتى تتحقق الوحدة مع الأرض الأم التي ما فتئوا يطالبون بها منذ عشرات السنين، وبطبيعة الحال فإن بريطانيا لم تأخذ الجزيرة لتحقق الوحدة للقبارصة اليونانيين مع أمهم اليونان وإنما لتتخذ منها قاعدة عسكرية لها تحرس منها قناة السويس ومصر وبذلك تحرس الطريق إلى الهند وتسيطر بها على سائر حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط ولهذا فإن بريطانيا أصمت أذنيها عن المطلب القبرصي اليوناني الذي تعلم أنه لن يتحقق ولا تريد له أن يتحقق، فالجزيرة وبحكم الواقع ليست يونانية خالصة فحسب فهي تركي وهي ومن الناحية الدستورية ليست إلا متولية لحكمها باسم السلطان ونيابة عنه فهي إذن حتى لو أعجبت هذا وذلك فإنها ليست على استعداد للتخلي عنها لليونان ولا لغير اليونان فموقعها الاستراتيجي يجعل من البقاء عليها يهدف لزوم تقتضيه مصالحها السياسية و الاقتصادية والعسكرية

هكذا الحال، واقع دستوري شاذ وغريب، فالجزيرة عثمانية ولكن الباب العالي لا سلطان له عليها والإنجليز هم حكامها فعلا ولكن بالوكالة وبتفويض، وأهل الجزيرة قبارصة ، لا أتراك ولا يونانيون وإنما هم مزيج ممن يتكلمون اللغة اليونانية واللغة التركية ويتجاورون انتماء لا ولاء لإحدى الجنسيتين، ومع أن نسبة القبارصة الأتراك إلى القبارصة اليونانيين هي أقل من الثلث (حوالي ربع السكان) إلا أن تجاهلهم و الإعضاء عنهم مستحيل استجابة لرغبة الثلاثة أرباع من القبارصة اليونانيين ذلك أن القضية لا تحسم بحكم الأغلبية وإنما حينما يكون الأمر متعلقا بالدين واللغة و المصير وقد حاولت بريطانيا الاستفادة من الوضع لصالحها فرضت لغتها على اللغتين الأخريين ولكن الشعبين أصرتا (المجموعتان الطائفتان) على رفض ذلك وكانا يخاطبانها في أي شأن باللغة الفرنسية (لغة الحضارة في ذلك الوقت) ولجأت بريطانيا في ممارسة سلطاتها إلى استغلال هذه الفئة أو تلك بحسب

الظروف والحال ولم تبذل أي جهد في إصلاح حال البلاد والناس كعادتها في كل مكان لأنها في الواقع حتى المنشآت أو المباني التي تقيمها تكون من النوع المؤقت الذي لا يعمر ولا يستفيد منه أحد.

وقد استمر هذا الوضع الشاذ الغريب حتى سنة ١٩١٤ ميلادية وانتهى بدخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا وضد الإنجليز والفرنسيين، وقد اغتنم الإنجليز الفرصة فأعلنوا سيادتهم التامة على قبرص وحكموها كمستعمرة من المستعمرات إلا أنهم وفيما يتعلق بسكان الجزيرة فشلوا فشلا ذريعا في عزل المنتمين عمن ينتمون إليهما (الأتراك عن تركيا واليونانيون عن اليونان) إذ كان في نيتهم في الحقيقة عمل ذلك على أننا نرجح أن الإنجليز قد شجعوا سر اتجاهات الطائفتين لأن خلافهما يمثل قنبلة موقوتة تحرص بريطانيا على زرعها دائما في أي مكان تحكمه أو تحاربه

ولقد اضطرت بريطانيا في نهاية الأمر أن تتخلى عن قبرص وفق مقررات مؤتمري زيورخ ولندن في آخر سبتمبر سنة ١٩٦٠م وكان ذلك لعدة أسباب، أولها المقاومة العنيفة التي أبداها القبارصة ضد الوجود البريطاني وثانيها الظروف الدولية المتغيرة، وثالثها وضع بريطانيا المالي والاقتصادي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتغير موازين القوى العالمية على الرغم من أن بريطانيا احتفظت في قبرص بقاعدتين عسكريتين هامتين هما قاعدتا (أكروتيري وديكيليا) و للتين تأخذان في الاتجاه إلى تأجير جزء منهما للقوات الأمريكية وتستخدم طائرات التجسس الأمريكية نوع (يو ٢) قاعدة ديكيليا وربما تستعمل الأخرى في أغراض غير واضحة

أسباب تخلي بريطانيا عن قبرص:

تحدثنا عن أهمية الجزر في منطقة البحر الأبيض المتوسط وكيف كانت سببا في الصراع بين الدول الراغبة في السيطرة على هذا البحر الذي يمثل عصب وشريان التجارة العالمية قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح واكتشاف أمريكا ثم كيف أن هذا الممر المائي قد اكتسب أهمية جديدة خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية وقبرص واحدة من أهم الجزر فيه لموقعها المتميز فهي لا تبعد إلا حوالي

٤٠ ميلا عن سواحل الأناضول في تركيا (وتركيا مع سواحلها وسواعدها تمثل مدخل ومخرج ذلك الدب الروسي الذي لا يرغب الغرب في أن يراه قد تمرغ في المياه الدافئة لا ماضيا ولا حاضرا) وهي على مسافة حوالي ٦٠ ميلا من ميناء اللاذقية بسوريا (وهذه مفتاح الشرق الأوسط ومدخل إلى أراضي بيت المقدس) وكذلك هي على مسافة حوالي ٢٣٨ ميلا من بورسعيد في مدخل قناة السويس الرابط بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ولكل هذه الأسباب وغيرها فإن قبرص تمثل موقعا خطيرا يمكن أن يستغل من العدو، ولقد كانت قبرص على طول تاريخها معبرا ومنطقة نزاع دولي من الفينيقيين إلى المصريين إلى الفرس إلى اليونان ومن الرومان إلى البيزنطيين والعرب والبنادقة والأتراك، وقد استولت عليها بريطانيا مرتين الأولى بالقوة عندما احتلها ملك الإنجليز ريتشارد قلب الأسد بالتاج البريطاني سنة ١١٩١ ميلادية أثناء فترات الحروب الصليبية ثم باعها وبعد ذلك أسندت إليه مقابل دين يطلبه ثم باعها مرة أخرى، والمرة الثانية عندما استأجرتها بريطانيا من تركيا على إثر الحرب التركية الروسية سنة ١٨٧٨ ميلادية، وهذه المرة أيضا كانت في نظير مساعدتها لتركيا في تلك الحرب ثم اعتبرتها رسميا تابعة لها أثناء الحرب العالمية الأولى، وأثناء الحرب العالمية الأولى وعدت بريطانيا ملك اليونان قسطنطين بأن تتنازل له عن قبرص إذا هو انضم إليها في تلك الحرب أي إلى جانب الحلفاء ولكن ملك اليونان انحاز إلى جانب ألمانيا ذلك أن إمبراطور ألمانيا كان صهره والله وحده يعلم كيف كان يمكن أن يكون مصير جزيرة قبرص وسكانها لو حدث ذلك وصدقت بريطانيا في وعدها وهي في الغالب لا تصدق لأن التاريخ يذكرنا بأنها قدمت الكثير من الوعود أثناء الحروب أو الأزمات الدولية دون أن تصدق أو تلتزم بوعد واحد ومما يؤكد أنها لن تصدق في ذلك الوعد حتى لو وافق ملك اليونان على طلبها ما حدث بعد ذلك حيث ظهرت إيطاليا الفاشية وكانت لها أهداف كبيرة في الشرق الأوسط وفي شمال أفريقيا وبالتالي في البحر الأبيض المتوسط وما كان لبريطانيا أن تترك قبرص في مثل ذلك الظرف مهما كانت الوعود حيث إن إيطاليا أنشأت قواعد عسكرية في رودس وفي جزر الدوديكانيز وصارت

تشرف على المناطق الشرقية من البحر الأبيض المتوسط وتهدد مصالح بريطانيا وخصوصا النفطية منها، ولأهمية قبرص على ضوء الظرف الدولي الجديد حكم الإنجليز قبرص وفق سياستهم التقليدية بأن تركوا لأهل الجزيرة حرية الاعتقاد والإشراف على وسائل التعليم، وكانت لغة التعليم اليونانية والديانة هي الأرثوذكسية وإن كان القبارصة اليونانيون يطلبون في كل مناسبة أن تقوم بريطانيا بالتنازل عن جزيرتهم لليونان باعتبارها البلد الأم كما كانوا يقولون. والواقع أن هذا الطلب كان لدى كل القبارصة اليونانيين في كل وقت وخصوصا أولئك المتعصبين القوميين ولو حدث ذلك لكانت قبرص قد انضمت إلى [illegible] رغم أنهم يتجاهلون وجود أقلية قبرصية تركية وكان ذلك التجاهل أحد أسباب التوتر وأحد الأسباب التي أدت فيما بعد إلى تقاتل الطائفتين، وتجاهلت بريطانيا ربما لأنها تدرك استحالة تحقيق ذلك الطلب، تجاهلت مطالب القبارصة اليونانيين فتقدم رجال الكنيسة الصفوف وشجعوا الأهالي على الثورة ضد بريطانيا، ومن المعروف أن رجال الدين في قبرص أكثر تأثيرا على الناس من غيرهم لشدة تعلق العامة بالكنيسة

نشبت الثورة سنة ١٩٣١م بزعامة المطران الأرثوذكسي (كيرلس) وقد هاجم المواطنون قصر الحاكم الإنجليزي في نيقوسيا وأحرقوه وبهذه الأسباب أوقفت بريطانيا العمل بالدستور وقامت بإبعاد رجال الدين إلى المنفى بمن فيهم المطران (كيرلس) وكان العلم الذي يرفع في قبرص هو العلم اليوناني فمنعت القوات البريطانية رفع ذلك العلم وحظرت التجمعات وراقبت بشدة كل تحرك أو نشاط ولكن تطور الأحداث الدولية بعد تلك الانتفاضة أو الثورة القبرصية غير موقف القبارصة من بريطانيا خصوصا بعد أن اتضحت مطامع إيطاليا في منطقة البحر الأبيض المتوسط واحتلالها لأثيوبيا سنة ١٩٣٦م ونظرا إلى أن العلاقات قد تحسنت فقد أعادت بريطانيا العمل بالدستور وأفرجت عن رجال الدين ولإثبات حسن النية تعاون القبارصة مع بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية والتحق العديد منهم بخدمة القوات البريطانية وكانوا يعتقدون أن في انتصار بريطانيا في الحرب تحقيقا لرغباتهم، ولكن هذه كانت تقيس مصالحها على صداقاتها، ونظرا إلى أن روسيا قد

خرجت هي الأخرى منتصرة في تلك الحرب (صارت تسمى الاتحاد السوفيتي)، وذلك بعد ثورة سنة ١٩١٧م البلشفية وبالتالي فإنها لابد أن تمد نظرها إلى أبعد من حدودها الدولية. وبريطانيا لابد لها أن تراقب ذلك عن قرب، ومن هنا بقيت أهمية قبرص قائمة ذلك أن بريطانيا لن تسمح للاتحاد السوفيتي بالوصول إلى المياه الدافئة. ولم تكافئ بريطانيا القبارصة على مساعدتهم وخدماتهم لها في الحرب الأولى إلا بزيارة قام بها رئيس وزرائها في ذلك الوقت السيد ونستون تشرشل ولم ينتج عن الزيارة شيء يرضي هؤلاء الذين كانوا يريدون تقرير مصيرهم غير كلمات تناقض بعضها تلفظ بها رئيس الوزراء الزائر إذ كان قد تحدث عن المطامح الوطنية والقومية وتحدث عن الأرض الأم اليونان وإسهامات اليونانيين في التاريخ والحضارة والمسيحية ولكنه صرح بعد ذلك بالقول إنه لا يمكن تجاهل حق أقلية تشارك في البلاد. وهو كمن يقول: يجب أن تنسوا مسألة الوحدة التي تتحدثون عنها وترفعون شعاراتها، وتأسست جمعية وطنية بعد الزيارة كانت مهمتها مراجعة دستور البلاد ليتلاءم مع الوضع الجديد ونشطت الكنيسة من جديد حيث قامت بإجراء استفتاء عام بشأن الوحدة مع اليونان. وهكذا تشكلت وفود لتحقيق مطالب الشعب إلا أن الردود من أثينا وبريطانيا لم تكن مشجعة. وفي سنة ١٩٥١م تولى رئاسة الكنيسة القبرصية الأسقف مكاريوس وهو أحد المتحمسين لمطلب الوحدة القومية مع اليونان فأجج ذلك المطلب مرة ثانية وبعث فيه حماسا زائدا وتكاثفت الجهود لكن بريطانيا لم تستجب وقد أدرك مكاريوس وغيره أن الحل لابد أن يكون بالقوة بحيث تجبر بريطانيا على الإصغاء وهكذا تكونت منظمة عسكرية سرية تدعى (أيوكا - أ) كان زعيمها الروحي الأسقف مكاريوس وزعيمها العسكري الجنرال (قريفاس) وهو ضابط يوناني (من أصل قبرصي) كان قد اشترك في حرب التحرير في اليونان أثناء الحرب العالمية الثانية ضد الإيطاليين والألمان، وبدأت العمليات العسكرية ضد القوات البريطانية في الجزيرة وووجهت عمليات القبارصة بالإجراءات الصارمة مثل الاعتقالات الجماعية والإعدامات وتوقيع الغرامات على مناطق وقرى بكاملها عقابا لها على إطلاق عيار أو قنبلة منها إلخ، ونظرا لتصاعد عمليات الهجوم من طرف

منظمة (أيوكا - أ) عين ضابط إنجليزي برتبة عالية يدعى (هاردينج) حاكما جديدا للجزيرة وكان أول عمل يقوم به هذا الحاكم الجديد هو نفي الأسقف مكاريوس على اعتبار أنه متورط في أعمال عنف وإرهاب. وكان نفيه إلى جزيرة سيشل سنة ١٩٥٦م وضاعف من قوات القمع الإنجليزية للقضاء على منظمة (أيوكا - أ) وكان هذا القمع أشد. وكانت تركيا تدعم السياسة البريطانية تلك، لأنها ترى أن مطلب الوحدة مع اليونان ضد مصالح الجالية القبرصية التركية في الجزيرة وأن هذه الجزيرة أصلا كانت مؤجرة من طرف تركيا لبريطانيا فإذا تخلت بريطانيا عنها فلابد أن تعود لتركيا وهذا بطبيعة الحال مطلب جمهوري فإذا كان القبارصة اليونانيون يطالبون بالوحدة مع اليونان فإن تركيا تطالب بالجزيرة كلها. وإذا كانت تركيا قد أجرت الجزيرة لبريطانيا سنة ١٨٧٨م فإن بريطانيا قد ضمتها رسميا إليها سنة ١٩١٤م ميلادية بمعنى أن الأخيرة لم تعد تعترف لتركيا بحقوقها في الجزيرة والواقع أنه بصرف النظر عن موقف كل الأطراف يونانيين وأتراك وقبارصة من الطائفتين فإن بريطانيا كانت لها خطط ومصالح أخرى وليس هناك في السياسة البريطانية مجاملة. ذلك أن المثل الذي قاله السير ونستون تشرشل لم يكن من فراغ (ليس هناك صداقات دائمة وربما هناك مصالح دائمة) وهذا صحيح في كل وقت بالنسبة لهذه الدولة وربما لغيرها. وكانت القوات البريطانية قد ألقت القبض على بحارة يونانيين حاولوا تهريب قارب يحمل أسلحة ومتفجرات في منطقة بافوس (وهي المنطقة التي تقع غرب الجزيرة) وكان ذلك خلال شهر يناير ١٩٥٥م وعندما تمت محاكمة أولئك اليونانيين اتضح أن لدى أحدهم رسالة فهم منها أن هناك منظمة تسمى (أمالك) تعمل على تحرير قبرص بالقوة وتوحيدها مع اليونان وتؤمن بشعار (أونسيس) أي الوحدة وهو شعار (منظمة أيوكا - أ) التي رفعته طيلة فترة النضال ضد القوات البريطانية إلى أن تحقق الاستقلال القبرصي، وبعد نفي مكاريوس ورفاقه بموجب ذلك القرار الذي اتخذه الحاكم الجديد لقبرص وصدره رئيس وزراء بريطانيا السيد إيدن [illegible] واستمرت العمليات الحربية في كل مكان من الجزيرة الشيء الذي أثار كثيرا من التكهنات حول فائدة ذلك العمل الذي أقدمت

عليه القوات البريطانية بأمر من (هاردينج) وإن كانت منظمة «أيوكا» بعد مدة من نفي مكاريوس عرضت هدنة مع القوات البريطانية، ولكن هذه لم تكن راغبة في التفاوض مع منظمة تعتبرها إرهابية ولم تقبل بالهدنة وإنما طلبت التسليم، وهكذا استمرت العمليات الحربية من طرف الوطنيين القبارصة وزاد القمع البريطاني.

وأرادت بريطانيا أن تتجاوز منظمة أيوكا بأن تعرض إصلاحات دستورية للبلاد ولذلك عينت خلال شهر يوليو ١٩٥٦م خبير أسمته المندوب البريطاني للإصلاح الدستوري في قبرص ويدعى اللورد (راديكليف) وفي هذه الفترة راحت الصحف البريطانية تشن هجوما متواصلا على جمال عبد الناصر ومصر مدعية أنه وراء العمليات الإرهابية في قبرص [١] وإن قواته قد دربت القبارصة اليونانيين وزودتهم بالسلاح من مختلف الأنواع وكذلك مختلف المتفجرات، والواقع أن جمال عبد الناصر كان يؤيد جميع حركات التحرير في المنطقة أي في الشرق الأوسط وأفريقيا، وكان يرى أن قبرص يجب أن تكون محايدة وحرة، ذلك أن أي هجوم على مصر يمكن أن يأتي منها إذا كانت تحت سيطرة دولة أخرى (وهذه في الحقيقة هي نفس النظرية القديمة حول تفسير موقع قبرص الجغرافي) وكان القتال في مصر وفي قناة السويس تحديدا على أشده ضد القوات البريطانية ومن هنا فإن جمال عبد الناصر لابد له أن يؤيد ويساند أولئك الذين يؤمنون بنفس المبدأ ويناضلون ضد بريطانيا التي تحتل. ومن مصر قدم (راديكليف) مذكرته بشأن الإصلاح الدستوري في قبرص خلال شهر ديسمبر والمذكرة عرفت باسم (الكتاب الأبيض) وباشر وزير المستعمرات البريطاني مناقشته مع حكومتي اليونان وتركيا وكان لابد لليونان ومن ثم منظمة أيوكا أن ترفض ذلك المقترح لأن ما قدمه السيد راديكليف يهدف في الواقع إلى تقسيم جزيرة قبرص وإن على المدى البعيد، وربما كانت بريطانيا فعلا تعمل على ذلك خصوصا أن تركيا قد قبلت فحوى مذكرة راديكليف. كما أن بريطانيا

---

(١) لقد سمعت من مكاريوس شخصيا أن أول مجموعة من الفدائيين القبارصة قد تدربوا في مصر وأن أول شحنة سلاح جاءت هدية من مصر، وأيد هذا الكلام فيما بعد رئيس الحزب الاشتراكي القبرصي السيد ليساريدس وهو ما زال على قيد الحياة ومن المتوقع أنه سيذكر تفاصيل ذلك في مذكراته التي قال إنه يعكف على كتابتها.

وربما كانت ترى أنه لن يكون هناك أي حل إلا بالتقسيم طالما كان هناك إصرار قبرصي يوناني على الوحدة مع اليونان، وسواء كان ذلك مرآة لسياسة الإنجليز أم لا فإن الحقيقة بقيت وتبقى كذلك، فلن يكون هناك حلا لم يتخلى كل طرف عن أفكار الوحدة مع أي بلد لأن الوحدة غير ممكنة وكذا التقسيم، وبعد رفض مذكرة راديكليف ورفضها من طرف اليونان استمر القتال في الجزيرة بين القوات البريطانية والمنظمة وكان نص مشروع الإصلاح الدستوري الذي اقترحته راديكليف كما يلي:

(يحتفظ الحاكم العام في قبرص بحق التصرف في شئون الدفاع والخارجية والأمن العام وتكون الأمور الأخرى من اختصاص مجلس وزراء قبرص الذي يكون مسئولا أمام مجلس تشريعي منتخب وتكون هناك سلطتان لوضع القوانين وإدارتان مختلفتان للأمور الإدارية ومجلس استشاري مشترك بين الطائفتين على أن يكون المجلس التشريعي متكون من ٣٦ عضوا منهم ٢٤ عضو من القبارصة اليونانيين منتخبين و ٦ أعضاء قبارصة أتراك متمثلة في وزير يختاره الحاكم العام من بين الأعضاء الأتراك المنتخبين يشرف على مكتب يسمى شئون الأتراك ويكون هذا الوزير عضوا في مجلس الوزراء والمجلس التشريعي)، ولقد أعلنت بريطانيا أنه في حالة قبول الإصلاح الدستوري سوف تجرى انتخابات عندما تهدأ الأوضاع وينتهي العنف وبعد أن يتكون نظام الحكم الذاتي فإن بريطانيا سوف تنظر في مطلب حق تقرير المصير على ضوء الوضع الدولي.

وعندما فشل مشروع الإصلاح الدستوري توتر الموقف بين تركيا واليونان وجرت أحداث ومظاهرات في كل منهما وكانت بريطانيا قد قدمت مقترحا جديدا عرف باسم (خطة السبع سنوات) وتقول الخطة إن نظاما سيستحدث يتمثل في تكوين مجلسين نيابيين منفصلين للقبارصة الأتراك والقبارصة اليونانيين في الجزيرة كل على حده ويحتفظ كل من الأتراك واليونانيين بحق الحكم الذاتي في الشئون المحلية الخاصة بكل من الجاليتين، وبعد مدة السنوات السبع تقتسم بريطانيا واليونان

وتركيا السيادة في قبرص شرط أن تحتفظ بريطانيا بقواعدها العسكرية خارج السيادة وتلتزم كل من تركيا واليونان بتقديم كل التسهيلات اللازمة لهذه القواعد، وحدث نفس الشيء فقد رفضت الخطة كل من اليونان ومكاريوس.

والشيء الغريب في هذا المقترح الذي أعدته بريطانيا وهي تعرف تماما أنها تصنع لعبة أما لحصان أنها بدلا من أن تحمل قبرص واحدة للقبارصة وبدلا من توسيع التفاهم في قبرص وإن كان موترا حسب خطتها تقوم على تفتيت الجزيرة إلى عدة أجزاء. وبدلا من الاستقلال فإن قبرص ستكون تحت سيادة ثلاث دول إضافة إلى اقتطاع أراضي منها للقواعد البريطانية. كما أن المشروع لا يضع قبرص فقط في خدمة بريطانيا وقواعدها إنما أيضا كل من تركيا واليونان اللتين اشترط عليهما المشروع أن تقدما المساعدة اللازمة للقواعد البريطانية.

وفي بداية سنة ١٩٥٧م تم إطلاق سراح مكاريوس ورفاقه شرط ألا يعودوا مباشرة إلى قبرص. وبعد إطلاق سراحه ذهب مكاريوس إلى الأمم المتحدة في نيويورك ليعرض قضية بلاده على الجمعية العامة والمجتمع الدولي. وكانت تلك هي المرة الثانية التي تعرض فيها قضية قبرص على الأمم المتحدة. ولم تحظ القضية بالتأييد المطلوب في هذه الأثناء إذ لاحقتها العلاقات الدولية والتنافس والمصالح والاستقطاب هناك في أروقة الأمم المتحدة بل وحتى في الجلسات الرسمية. وبعد ذلك غيرت بريطانيا سياستها المتعصبة حيث استبدلت الحاكم العسكري بحاكم جديد كان مدنيا، وظهرت بوادر الانفراج في الأزمة حيث هدأت الأوضاع في الجزيرة، وبرزت الدعوة لعقد مؤتمر للباحث في حق تقرير المصير. وتقرر أن يكون المؤتمر في زيورخ خلال شهر فبراير سنة ١٩٥٩م تشترك فيه الأطراف المعنية، وكان أول بيان صدر عن ذلك المؤتمر يقول إن اللقاء كان وديا ناجحا وأنه سيستهدف العمل من أجل رفاهية ووحدة شعب قبرص. أعلن كل من زعيم القبارصة الأتراك السيد فاضل كوتشوك وممثل مكاريوس ترحيبهم بنتائج المؤتمر (كان كوتشوك هو زعيم القبارصة الأتراك في ذلك الوقت وقد أصبح فيما بعد نائبا للرئيس) كذلك أعلن

الأسقف مكاريوس نفسه أن المؤتمر قد وضع أسس يمكن أن تؤدي إلى الهدوء والاطمئنان وإيجاد حل نهائي للمشكلة القبرصية. وكانت نصوص الاتفاق الذي تم التوصل في هذا المؤتمر كما يلي :

١ - خلال عام من توقيع الاتفاقية بين الطرفين التركي واليوناني في ١١ فبراير سنة ١٩٥٩م يتم إعلان قبرص جمهورية مستقلة.

٢ - يكون رئيس الجمهورية قبرصيا يونانيا بالانتخاب.

٣ - يكون نائب رئيس الجمهورية قبرصيا تركيا وينتخب من طرف جماعته.

٤ - ينشأ حلف دفاعي مشترك بين كل من بريطانيا واليونان وتركيا تتعهد بموجبه الدول الثلاث بحماية استقلال جزيرة قبرص ومقاومة أي تدخل خارجي يهدد استقلالها.

٥ - تتنازل بريطانيا للشعب القبرصي عن قبرص مع احتفاظها بمنطقتين لقواعدها في الجزيرة.

٦ - يبوب كل من وزيري خارجية تركيا واليونان عن كل من الأسقف مكاريوس والسيد فاضل كوتشوك بقبول ما نصت عليه معاهدة زيورخ حول استقلال قبرص.

٧ - تعمل الدول المشاركة في المؤتمر وفق هذا البيان).

وكان مؤتمر زيورخ قد ابتدأ أعماله في يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٥٩م وحضره كل من رئيس وزراء اليونان السيد قسطنطين كرامنليس ورئيس وزراء تركيا السيد عدنان مندريس وبعد الانتهاء تم الاتفاق على نقل المباحثات إلى لندن ليتم التوقيع على المعاهدات الثلاث وعلى الدستور. وهناك في فبراير يوم ١٩ سنة ١٩٥٩م تم التوقيع رسميا على تلكم المعاهدات وهي كما يلي :

أولا : معاهدة التحالف وبموجبها يسمح لتركيا بإرسال عدد ٦٥٠ جنديا ولليونان بعدد ٩٥٠ جنديا وهؤلاء الجنود يقيمون في قبرص لغرض محدد وهو تدريب الجيش القبرصي.

وثانيا: معاهدة الضمان وهي تنص على حماية قبرص واستقلالها وقد وقعت من طرف بريطانيا وتركيا واليونان وبموجبها فإن أي من هذه الدول مجتمعة أو منفردة تحافظ على وضع الجزيرة وتمنع (مثلا، الوحدة أو التقسيم)

ثالثا: يشكل الرئيس ونائبه ومجلس الوزراء ومجلس النواب ونصت الاتفاقية على أن جهاز الشرطة يتكون من ٧٠٪ قبارصة و ٣٠٪ قبارصة أتراك ولا يزيد عدد أفراد الجيش على ألفين جندي منه ٦٠٪ قبارصة يونانيون و ٤٠٪ قبارصة أتراك. وبعد التوقيع تم الاعلان عن الاتفاق في وقت واحد في كل من أثينا وأنقره ونيقوسيا ولندن وكان ذلك في يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٩م.

وقبل كل هذه التطورات كان مكاريوس قد ذكر في أكثر من مناسبة وخصوصا مع المسئولين اليونانيين أنه يفضل حل مشكلة قبرص باستقلال الجزيرة. وربما كانت بريطانيا تحس بنفس الشيء ذلك أن موقف الاتحاد السوفيتي ومشكلة برلين كانت ضاغطة، وقد حصلت بريطانيا على موافقة الولايات المتحدة الأمريكية وتأييد حلفائها في حلف شمال الأطلسي وكان الرأي العام البريطاني والصحافة البريطانية يمارسان ضغطا شديدا على الحكومة من أجل حل لمشكلة قبرص بمعنى أن الظروف الدولية والإقليمية والمحلية كانت مهيأة للوصول إلى حل يرضي القبارصة وينهي القتال في تلك الجزيرة التي كانت دائما موضوع صراع وتنافس محلي ودولي.

وقد نفذ الاتفاق في ١٦ أغسطس سنة ١٩٦٠م وفي الوقت نفسه انتخب مكاريوس رئيسا لجمهورية قبرص و انتخب الدكتور فاضل كوتشوك نائبا له، وقبلت قبرص عضوا في رابطة الكومنولث في مارس ١٩٦١م وأصبحت العضو التاسع والتسعين في هيئة الأمم المتحدة، ويذكر القارئ الكريم أننا ذكرنا أن منظمة (أيوكا) كان لها قائد عسكري يدعى قريفاس وهو يوناني وكان عسكريا مقاتلا في فترة حرب التحرير في اليونان أثناء الحرب العالمية الثانية ضد الإيطاليين والألمان، وما كادت ملامح الاتفاق تظهر حتى أعلن هذا أنه لن يتوقف عن القتال من أجل الوحدة (اينوسيس) وأصدر بيانا بذلك حتى في يوليو ١٩٦١م أي حتى قبل نفاذ الاتفاقيات

التي وقعت في لندن، ولذلك فهو يكون قد خرج عن الاتفاق وخالف نص المادة الثانية من معاهدة الضمان التي وقعت عليها الدولة التي ينتمي إليها والتي يريد توحيد قبرص معها، ونذكر أن النص يقول (إن الدول الثلاث الموقعة على المعاهدة مجتمعة أو منفردة تحافظ على وضع الجزيرة وتمنع الوحدة أو التقسيم) وهذا النص صريح وواضح، وبعد بيان قريفاس أعلن مكاريوس رد، على البيان منددا بمن أسماهم الانتهازيين والذين لا يريدون الاستقرار للشعب القبرصي. ودعا القبارصة إلى الالتفاف حول قيادته وعدم الاهتمام بما جاء في بيان قريفاس الذي يسعى إلى الشهرة و مصالح الشخصية، كذلك أيد فاضل كوتشوك زعيم القبارصة الأتراك موقف مكاريوس ذلك وهذه أولى المشاكل التي واجهت معاهدات زيورخ ولندن ويتضح منها أن الوضع لن يستقر لأن هناك من يرفض ويخرج عن الشرعية واتفاق الدول الثلاث.

ولأن الأسقف مكاريوس قد فاز على الأغلبية الساحقة في انتخابات رئاسة الجمهورية التي نافسه فيها مرشح قبرصي يوناني آخر هو السيد كلاريدس والد السيد قلافكوس كلاريدس رئيس جمهورية قبرص الحالي (١٩٩٦م) فإنه كان واثقا من أنه سوف يتغلب على الجنرال المتمرد قريفاس على الرغم من أنه كان يدرك أن هناك بعض الأنصار لهذا الجنرال وهم يعيشون من الحرب ضد الإنجليز بدعوى العمل من أجل الوحدة مع دولة هي نفسها وقعت على معاهدة الضمان التي أشرنا إلى بندها الثاني الرافض للوحدة.

ومن المعروف أن مكاريوس كان قد اعترض على بعض بنود اتفاقية لندن ولكن الحكومة البريطانية أبلغته بأنه يجب أن يقبل بالاتفاقية كما هي أو أن يتحمل مسئولية فشل المباحثات، ورغم أنه كان يرى أن اتفاقية الضمان تعتبر تدخلا في شئون قبرص الداخلية كذلك فإن الصلاحيات التي أعطيت للأتراك جعلت الدستور غير قابل للتطبيق، إلا أنه بتفكير السياسي المدرك للأوضاع الدولية فقد قبل على أمل أن يحدث تفاهم بين أصحاب البلد الواحد والمصير الواحد.

وقبل الانتخابات وإعلان الاستقلال كانت قد جرت مفاوضات طويلة وصعبة

فيما يتعلق بالجانب الدستوري في اتفاق زيوريخ ذلك أن كل طرف يرى فيه ما لا يراه الطرف الآخر وخصوصا في توزيع الاختصاصات والسلطات بين الرئيس ونائبه، وبعد فترة تم التوصل إلى اتفاق نص على :

١ – بشأن الرئيس ونائبه :

يكون رئيس الجمهورية رئيسا للدولة ويمثل البلاد في كل المحافل الرسمية ويوقع على الاتفاقيات والمعاهدات ووثائق الاعتماد ويكون نائب الرئيس نائبا لرئيس الدولة وله الحق في حضور كل المهام كذلك له حق الاعتراض.

٢ – بشأن السلطات التنفيذية

رئيس الجمهورية ونائبه يتوليان السلطات التنفيذية يعاونهما مجلس وزراء يتكون من ٧ وزراء يونانيين يصدر بشأن تعيينهم قرار من رئيس الجمهورية و ٣ وزراء أتراك يعينهم نائب رئيس الجمهورية وكانت مهام مجلس الوزراء تتمثل في إدارة الشئون العامة للدولة والإشراف على إدارات الحكومة والشئون الخارجية والأمن والدفاع والخدمات العامة التي تكون من اختصاص المجالس البلدية بكل طائفة، وقراراته تكون بالأغلبية ويجوز للرئيس أو نائبه الاعتراض على القرارات وإعادتها إلى مجلس الوزراء لبحث فيها مرة ثانية ويمكن لهما رفض أو إلغاء القرارات التي تصدر عن مجلس الوزراء وتتعلق بالأمن أو الدفاع الوطني..

نلاحظ منذ البداية أن الاتفاقية التي تم التوصل إليها في زيوريخ كانت موضع خلاف بين الطرفين، القبرصي اليوناني والقبرصي التركي، وأن الاتفاق الذي تم أيضا بين الطرفين في شأن تحديد الاختصاص جعل الخلاف أكثر بروزا، ذلك أن ما يمكن أن يوافق عليه الرئيس قد يرفضه نائبه وغير ذلك.

وكان مكاريوس أول رئيس لجمهورية قبرص الفتية وكان عليه أن يكون في غاية الحذر ذلك أنها جمهورية هشة قامت منذ البداية على التناقض بين سكانها ولن تكون أصابع بريطانيا بعيدة عن العبث في مصيرها، بدأ موعد الاستقلال في

منتصف ليل ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٩م وقد رفع العلم وأطلقت المدافع تحية لمولد الجمهورية، ووجه مكاريوس خطابا إلى الشعب القبرصي قال فيه

(لقد أصبحت قبرص دولة مستقلة حرة بفضل جهود وتضحيات أبنائها وعلينا جميعًا أن نحتفل بالاستقلال وأن نتحلى بالحكمة وضبط النفس وتقدير الموقف والمسئولية حتى تتقدم جمهوريتنا وتزدهر، وعلينا جميعا أن نتعاون ونعمل لبناء المستقبل).

ومن قراءة كلمات مكاريوس بعناية يدرك أي إنسان أن رئيس هذه الجزيرة التي وضعتها الأقدار في مهب الريح يعرف صعوبة الوضع وعظم المسئولية فبالرغم من الظروف المحلية والوضع الشاذ فإن هناك قاعدتين بريطانيتين كما أن هناك وضعًا جغرافيا يعرض كثيرا من المشاكل والتعقيدات خصوصا أن الوضع في منطقة الشرق الأوسط في الوقت الذي ولدت فيه جمهورية قبرص كان وضعا مضطربا ولابد أن ينعكس ما يجري في هذه المنطقة عليها، ومن المعلوم أن حذاء الجندي الإنجليزي الثقيلة تجثم على صدر الإنسان القبرصي منذ أكثر من تسعة عقود أي منذ استأجرت بريطانيا الجزيرة من تركيا سنة ١٨٧٨م إذ شهدت فترة الحكم الإنجليزي إبان عهد الملك ريتشارد قلب الأسد (وهي لم تكن طويلة إذ إنه باعها و لم يعرف قيمتها) ومن الغريب أن ينص على أن القاعدتين العسكريتين البريطانيتين في قبرص هما جزء من الأرض البريطانية، الشيء الذي يخالف كل قواعد القانون والاتفاقيات الدولية

وصارت قبرص وجمهوريتها أمام تجربة غاية في التعقيد فالطائفتان لم تتفقا على أي شيء ولم تتآلفا إطلاقا وكلتاهما تفتقد الثقة في الأخرى كما أن الدولتين اللتين تنتمي إليهما الطائفتان متعاديتان على الرغم من أنهما عضوان في حلف واحد تقوده وتشرف عليه الولايات المتحدة الأمريكية وهو حلف شمال الأطلسي (الناتو) ولقد حدث الصدام بين المواطنين والخلاف بين القيادات قبل أن تبدأ المسيرة في الجمهورية الوليدة أي قبل مرور سنوات ثلاث ويروي الأحداث مؤلف كتاب الصراعات الطائفية السيد (دوبلان) على الوجه التالي يقول

في يوم ١٩ يونيو سنة ١٩٥٨م أعلنت الحكومة البريطانية خطة السبع سنوات (الخطة الجديدة) وهي أن الجزيرة ستدار بواسطة مجلس يتكون من الحاكم وممثلين عن الحكومتين اليونانية والتركية ومن وزراء من الجاليتين القبرصيتين التركية واليونانية ويكون لكل طائفة مجلس نواب، ولقد قبلت تركيا الخطة مع تعديلات طفيفة ورفضتها الحكومة اليونانية على أساس أنها أجلت الحكم الذاتي وأعطت سلطات للحكومة التركية في حكومة قبرص وهذا في الواقع (فيتو) على الوحدة. وعندما ظهر الوضع برزت فكرة الخروج من المأزق. ففي خريف سنة ١٩٥٨م بدأ مكاريوس يلمح في مناسبات خاصة للحكومة اليونانية أنه يريد حلا للمشكلة القبرصية بالاستقلال وكانت الحكومة اليونانية مهيأة لأن تصل إلى نفس النتيجة وكان ذلك تمهيد للاستقلال

ويضيف المؤلف في مكان آخر :

في سنة ١٩٦١م وصل الاحتكام قمته عندما وضع ممثلو الطائفة القبرصية التركية في مجلس النواب (فيتو) على قانون الضرائب الجديد، وفي ديسمبر سنة ١٩٦٣م عندما عارض القبارصة اليونانيون استمرار حكومات البلديات المنفصلة، وإلى هنا كانت الحكومة المركزية وكذا المحلية قد عجزت تماما، وصار الطرفان يهملان القوة المسلحة، وأخيرا في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٣م قدم الأسقف مكاريوس إلى الدكتور فاضل كوتشوك مذكرة تحوي ثلاثة عشر تعديلا مقترحا في الدستور وكان ذلك يستهدف قيام الدولة الموحدة مع ضمانات للأقلية التركية وكامل الحقوق التي أعطتها لهم اتفاقية لندن. وفي ١٦ ديسمبر أعلنت الحكومة التركية أن المقترحات غير مقبولة، وفي ٢٢ ديسمبر بدأ تبادل إطلاق النار [1] كان فيه البوليس القبرصي يحاول تفتيش سيارة تركية وبعد ذلك انتشر القتال على الفور وقام الرئيس مكاريوس ونائبه كوتشوك بتوجيه نداءات لإيقاف القتال دون جدوى، وفي يوم ١٤ ديسمبر طلب القبارصة الأتراك من الحكومة التركية المساعدة وقد ردت عليه أنها

(١) كتاب الصراعات الدولية تأليف السيد جوبيان

سوف تتدخل إذا لم يتوقف القتال وذلك بموجب نصوص اتفاقية الضمان، واستمر القتال من يوم ٢٠ إلى ٢٥ ديسمبر ١٩٦٣م وسميت المعركة بمعركة الأيام الستة وبذلك حدث أول انفصال بين الطائفتين إذ استولى الأتراك على منطقة شمال نيقوسيا مع منطقة كايرينيا وأقاموا حكما ذاتيا وخرجوا على الحكومة المركزية نهائيا (الواقع أن الذي استولى عليه الأتراك في كايرينيا إنما هو جزء فقط وليس المنطقة كلها في ذلك الوقت).

ولقد استمرت المناوشات والصدامات بين وقت وآخر من الطرفين في كل من نيقوسيا العاصمة وكوكينا والقديس ثيودوروس وبافوس وهذه الأخيرة أبعد بلدة في الجزيرة إلى ناحية الغرب، وكانت قرى الجزيرة مختلطة السكان كاختلاط السكان في البلد الواحد وهكذا فقد حدث القتال بين البيوت وفي الشوارع وفي الأول من شهر يناير ١٩٦٤م أعلن الرئيس مكاريوس أنه ينوي أن يلغي الاتفاق لكن إلا أن الحكومة البريطانية تدخلت لإشاعة غير صحة الإعلان وقال إنه يرغب في إلغائها ووافق على مباحثات تجرى في لندن بين ممثلي الطائفتين تبدأ خلال منتصف شهر يناير ويحضرها ممثل عن الأمم المتحدة كمراقب إلا أن الطرفين لم يتوصلا إلى أي نتيجة إذ تمسك كل منهما بموقفه، وحدث قتال آخر في ليماسول وهنا هددت تركيا مرة أخرى بالتدخل إلا أن بريطانيا وافقت على عرض المشكلة على مجلس الأمن كان ذلك في يوم ١٥ يناير سنة ١٩٦٤م، وفي ٤ مارس وافق مجلس الأمن بالإجماع على مشروع تقدمت به الدول ذات العضوية غير الدائمة في المجلس يقضي بإرسال قوة أمن تابعة للأمم المتحدة وتعيين وسيط دولي وكان القرار بشأن القوة الدولية لمدة ثلاثة أشهر إلا أنه استمر بعد لفترات متتالية

في هذا الوقت كان القبارصة الأتراك قد أقاموا حكما ذاتيا خاصا بهم وأصدروا قوانين خلاف القوانين السارية في الشطر الآخر من الجزيرة، على أن الحكومة المركزية لم تعترف بتلك الإجراءات وصدرت الأمم المتحدة العديد من القرارات وأجرت الكثير من المباحثات والاتصالات كذلك قام المسئولون من الطائفتين ببذل جهود توفيقية بحثا عن حلول لمشاكلهم ولكن جميع الجهود فشلت،

ورغم أن المعلومات قد ظلت مدة سنوات فإن المسؤولين الأتراك قد استحيوا من الجانب القبرصي اليوناني، وزراء ونوابًا ومسؤولين آخرين.

وعندما تدخلت قوات حفظ السلام كان عليها في حالة الفوضى تلك أن ترسخ الأمر الواقع بحيث تحول بين الطائفتين وتمنع الصدام والتقاتل، وهكذا أقامت الحواجز ونقاط المراقبة وبذلك تقسمت المدن والقرى، ويلاحظ الزائر لقبرص أن الشارع في نيقوسيا العاصمة التي كان يفترض أن تدار منها شئون الدولة الواحدة صار مقسومًا بين الطرفين هنا قبرصي يوناني وهناك قبرصي تركي وبينهما حاجز تابع للقوات الدولية ولا يمكن لأحدهما أن يتجاوز الحد الفاصل، وإذا حدث فإنه سيموت فورا برصاص هذا الطرف أو ذاك، ولا يمكن لأحد أن يغير من هذا الواقع الذي يتعقد كل يوم.

ولقد كانت قبرص قبل الاستقلال بلدا واحدا فصارت بعد الاستقلال اثنين، والواقع أن ما حدث ويحدث ليس قاصرا على التنافس فقط أو الخلاف والاختلاف الطبيعي أو هو صراع بين طائفتين مختلفتين في الأصل والدين واللغة والتاريخ وإنما هو إضافة إلى هذا صراع بين قوى خارجية ومصالح أجنبية. إنها بريطانيا وتركيا واليونان ثم الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفيتي (سابقا) روسيا الآن، وغير هذه وتلك، والشيء الوحيد الذي لم تعرف أسبابه حتى الآن هو لماذا غير الأسقف مكاريوس موقفه، فبعدما كان في البدء وقبيل الاستقلال كذا قبل أن يصبح رئيسا كان يرى أن الحل الوحيد للمشكلة هو الاستقلال يعني أنه لم يعد مؤيدا للوحدة مع اليونان، وهذا يدل على أنه أدرك حقيقة الوضع ولم يرد لقبرص أن تقسم بين تركيا و اليونان وربما بريطانيا لأنها لابد أن تحتفظ بقواعدها العسكرية هناك، ولعله اختلف مع العصابات اليونانية القبرصية التي قادت العمل العسكري أثناء فترة النضال ضد الإنجليز في قبرص. كذلك لابد أنه اختلف مع تلك القوى المؤيدة لما يعرف باسم (إينوسيس) أي الوحدة مع اليونان. وعلى الرغم من أن تلك القوى كانت مؤثرة في قبرص إلا أن مكاريوس كان له من الرصيد الشعبي ما يجعله قادرا على التغلب عليها. أسئلة كثيرة في هذا الشأن قد نعود إليها في مكان آخر من هذا الكتاب.

الفصل الرابع

الاستقلال وما بعده، أو اللعب بالبيضة والحجر

« الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه »

من وصية المنصور لابنه

قبل أن نتحدث عن الاستقلال وما بعده من أحداث وتطورات لعله من المفيد أن نقدم للقارئ الكريم وصفا لقبرص وموقعها. ذلك أنه ليس السمع كالعيان كما يقولون، ولقد أفاء الله علينا بنعمة السفر والتجوال في أغلب بقاع العالم، وتلك نعمة نحمده عليها ونشكره.

تقع قبرص في زاوية من شرق البحر الأبيض المتوسط، يمين رأسها في اتجاه آسيا الصغرى بامتدادها الطولي بين الغرب والشرق، وهي من الناحية الجغرافية تنتمي إلى القارة الآسيوية وهي عرقيا ومناخيا ولغويا تشترك مع آسيا وأوروبا وربما اسمها كان قد جاء من اسم المعدن الثمين الذي اكتشفه واستثمره تجار الفينيقيون منذ الآف السنين وهم الذين أقاموا على شواطئها محطات تجارية ولأنها كانت جميلة كوردة الربيع قدمها (يوليوس قيصر) هدية لامرأته الجميلة أيضا (كليوباترا) و اعترف لها بالسيادة (ماركو انتونيو) وزين جمالها (أغسطوس) عندما أعيدت إلى روما ببناء تمثال لملكة (أفروديت) هذا التمثال الذي كان قد هدمه الزلزال، واعتنق فيها الملك الروماني (سيرجيو بوليوس) الدين المسيحي.

ربيعها زاهر خلال شهري فبراير ومارس بحيث تتحول إلى أرض خضراء مرصعة بالورود الرائعة الصفراء والحمراء و البنفسجية، شتاؤها قصير مريح خلال ديسمبر ومنتصف فبراير، حيث يطل المطر مدرارا ويقوم فلاحوها بحرث الأرض وزراعتها بمختلف الحبوب مستخدمين الآلات الحديثة بدلا من المحاريث القديمة التي كان يستعملها أجدادهم، وفي خريفها يجنون حبوب الزيتون وثمار الخروب، ومع دخول شهر مايو يبدأون في الحصاد وهو موسم عمل دؤوب، وقبرص خصيبة

كأنها فعلا حقيقة. لقول إن قطعة الخشب التي أعطتها الملكة (هيلين) للجزيرة والتي قيل إنها قطعة من الخشب الذي صلب عليه السيد المسيح وقد أبعدت هذه القطعة عن الجزيرة وإلى الأبد شبح الجفاف الذي كان يصيبها بين وقت وآخر، وهي جزيرة في البحر أهلها ذوو كرم وضيافة يجمعون بين أدب الغرب وأخلاق الشرق، تقاليدهم وعاداتهم ضاربة في أعماق التاريخ، ومن شعور الحب نقول إنه شعب قبرصي فلا يجب أن يكون يونانيا ولا تركيا ذلك أن الأتراك القبارصة واليونانيين القبارصة الحاليين يمكن أن يكونوا خليطا من الأعراق والأجناس ورغم أن اللغة التركية قد حافظ عليها الذين يسمون أنفسهم أتراكا واللغة اليونانية حافظ عليها الذين يسمون أنفسهم يونانيين، فإن هؤلاء وأولئك قد اختلطوا بالفراعنة المصريين وبالفرس والروم والبيزنطيين والجنويين والعرب والأتراك، ومع ذلك فإنهم قبارصة في بلد واحد ولابد أن يكون مصيرهم واحدا وهذا شيء يدركه كل من زار أو تعامل مع المواطنين القبارصة العاديين وناقشهم واطلع على أحوالهم ولقد كنت أحد أولئك الذين عاشوا في قبرص فترة من الزمن حيث كنت سفيرا لبلادي في قبرص على فترتين من الزمن بدأت الأولى سنة ١٩٧٣ م وهي الفترة القلقة جدا من تاريخ قبرص المعاصر وكنت على اتصال وثيق مع الرئيس (مكاريوس) الذي حباني بمعاملة خاصة واهتمام كبير ربما لم يحدث بين سفير أجنبي ورئيس دولة. وذلك لعدة أسباب منها أنني أمثل بلدا صديقا فتح أبوابه على مصاريعها للتجارة والتعاملات المختلفة القبرصية وكانت أسواقه تستوعب أغلب المنتجات القبرصية حتى أنه في فترة قصيرة بلغ المرتبة الثانية في مستوى التجارة مع قبرص بعد المملكة المتحدة، ومنها أنني عربي أنتمي لجيل فترة جمال عبد الناصر ونهوض الثورة الفلسطينية وكان الرئيس مكاريوس يحمل الكثير من التقدير والإعجاب لجمال عبد الناصر ويعطف على الشعب الفلسطيني إلى جانب التأييد لثورته المسلحة. وفي خلال الفترتين تلكما رأيت وسمعت وشاركت في الكثير من الأمور والأحداث السياسية وإن لم يكن باستطاعتي الآن البوح بالمعلومات الحساسة جدا المتصلة بوضع قبرص وبالظروف التي جرت فيه ومنها الانقلاب العسكري سنة (١٩٧٤م) أسبابه ودوافعه

وأولئك الذين خططوا له أو وقفوا وراءه بتوفير المال والمعلومات ثم التأييد أو حتى المشاركة. كذلك كيف كان يفكر الرئيس مكاريوس قبل الانقلاب وكيف تصرف بعده، وأذكر (وهذا ليس سرا) أن بلاده كانت السند القوي للثورة الفلسطينية ماديا ومعنويا وحتى بشريا، وأذكر بكل التقدير أن مكاريوس عندما كانت تحدث بعض التعقيدات أو الأخطاء التي تمس أمن بلاده مباشرة لم يكن يتأخر في المساعدة وتجاوز الأخطاء والصفح عن أي عثرة إذ أنه عرف أن ذلك يخدم القضية الفلسطينية العادلة وكان من أصعب المواقف وأكثرها إثارة السؤال هل هذا يخدم الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية؟ وعندما يسمع كلمة (نعم) يتخذ الإجراء والقرار الحاسم الجريء فورا ويمكنني أن أؤكد أن ما لا يقل عن ٧٥ ٪ من المساعدات للشعب الفلسطيني كانت تمر عبر قبرص وتحت سمع وبصر سلطاتها العسكرية والمدنية، وأعرف كذلك أن القادة الفلسطينيين يعرفون ذلك وإنني إذ أكتب هذا لأرجو أن يذكره كل فلسطيني بل ربما كل عربي مقدرًا للرئيس مكاريوس والشعب القبرصي تلك المواقف تجاه قضيته العادلة ونضاله الدائم من أجل الحق والعدل والحرية. هذه لمحة كان لابد منها قبل الحديث عن ولادة الدولة القبرصية. تلك الولادة التي كانت عسيرة سنة (١٩٦٠م) ذلك لأنها دولة نشأت في ظل حماية ثلاث دول هي (بريطانيا وتركيا واليونان) وقد حددت تلك الحماية رمزيا بتواجد عسكري قوامه (١٥) جندي للدولتين أي بنسبة ٦٠ ٪ لليونان (٩٥ جنديا) وبنسبة ٤٠٪ لتركيا أي (٦٥ جنديا) وقاعدتان حربيتان لبريطانيا مساحتهما ٩٩ ميلا مربعا علما بأن مساحة الجزيرة بكاملها هي (٣٥٧٢ ميلا مربعا) وتقرر أن يكون لهذه الدولة الوليدة رئيس من القبارصة اليونانيين (الأسقف مكاريوس) ونائب له من القبارصة الأتراك الدكتور (فاضل كوتشوك) ووزعت النسبة في تشكيل مجلس الوزراء أي (الثلثان والثلث) وفي المجلس النيابي كذلك (٣ ١٥) وفي الجيش نفس النسبة وتكونت إدارات محلية بنفس القاعدة والأسلوب مع مراعاة الواقع الاجتماعي والديني في الأحوال المدنية والتعليم. ونلاحظ أن دولة تقوم على توازن كهذا لا يمكن عليها أن تمارس سلطاتها دون قيود ولا مضايقات أو تنازع فيها وفيما لا

مراعاة بالنسبة فيه كالاقتصاد، ومع هذا فقد عاشت هذه الدولة رغم الصعوبات حتى سنة (١٩٧٤م) ثم حدثت الأزمة السياسية التي تحياها الجزيرة حتى الآن وربما إلى وقت طويل قادم ما لم يحدث وفاق دولي أو اختلال في توازن القوى الدولية وخصوصا بين (الأمريكان والسوفييت) القوتين الأعظم في العالم، وكان تفجر الأوضاع الأمنية والسياسية فيها بسبب التدخل الخارجي (اليوناني والتركي) وتأليب كل منهما للجانب الذي ينتمي إليه (القبرصي التركي والقبرصي اليوناني) كذلك فإن تضارب المصالح والسياسات الدولية قد لعب ويلعب دوراً كبيراً في تعقيد الأزمة القبرصية هذه، ومع استمرار المشاكل والتعقيدات والتجاذب ومرور الزمن تحت ظروف وواقع جديد لا يمكن أن يساعد في المستقبل على إيجاد حل لما تعانيه البلاد وأهلها. فمثلا لقد نشأت دولة أخرى سميت باسم (الجمهورية القبرصية التركية الشمالية) أعلنت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٨٣ إعلانا رسميا، وصارت لهذه الدولة أجهزة ووزارات ووزراء ونواب وأحزاب ... إلخ. وعلى الرغم من أن العالم لم يعترف بها حتى الآن فيما عدا تركيا فإنها في الواقع موجودة بجيشها وشرطتها وما إلى ذلك، وحدث تزايد في الوجود العسكري التركي في الجانب التركي من الجزيرة وتزايد عسكري يوناني في الجانب اليوناني، ومع توقعات وتصورات مكتسبة من تجارب الماضي صار كل طرف يبحث عن أنواع من الأسلحة والمعدات كي يستخدمها ضد الطرف الآخر عندما يحين الوقت، وقبل أن ينشأ ما عرف بالدولة القبرصية الشمالية أي الجزء الخاص بالقبارصة الأتراك وبعد القتال الضاري الذي حدث بُعيد الاستقلال مباشرة أي خلال فترة الثلاث سنوات بعد الاستقلال، وكان المؤمل أن تتماسك الدولة القبرصية الموحدة والتي ولدت كما قلنا ولادة قيصرية نتيجة لما ذكره مكاريوس قبيل الاستقلال لأنه أدرك مبكرا أن الحل لمشكلة قبرص كما كان قد قال (يتمثل في الاستقلال) وقد جرت مباحثات ومفاوضات لكنها جميعا لم ينتج عنها إلا مزيد من الخلاف، ومما يرسخ الانقسام أنه قد حدث في أحد تلك الاتفاقات المؤقتة على انتقال مواطني كل من منطقته أي أن ينتقل الأتراك إلى المناطق التركية واليونانيون إلى المناطق اليونانية (ربما رغبة في التقليل من

الحساسيات أو التصادم، لكنها في الواقع كلمة حق أريد بها باطل) وبعد حاول الرئيس مكاريوس بعد الاستقلال أن يتغلب على المشاكل التي كانت كامنة في الاتفاقيات التي وقعت قبيل الاستقلال على الرغم من أنه لم يستطع الاعتراض عليها قبل التوقيع لأنه كان يعرف أن تلك الإجراءات قد ميزت بين المواطنين القبارصة أي بين القبرصي التركي والقبرصي اليوناني وبذلك خلقت واقعا جديدا وإن لم يتضح أنه قد اعترض على اتفاقية الضمان الثلاثي وهي أخطر المعاهدات الثلاث ربما أيضا لأنه اعتقد أن بريطانيا سوف تكون في مواقفها أقرب إلى اليونان منها إلى تركيا على اعتبار أن اليونان دولة أوروبية جغرافيا ومسيحية دينيا (نقول ربما) وقد تساعد على نحت النظام التركي عسكريا كان أو مدنيا (سيجد القارئ نصوص تلك الاتفاقيات في ملحقات هذا الكتاب) وعمل الرئيس مكاريوس بداية على توثيق علاقات قبرص بدول عدم الانحياز حيث كانت حركة عدم الانحياز ودولها تلعب في ذلك الوقت دورا هاما في السياسة الدولية خصوصا أن سياسة الاحتواء كانت على أشدها بين الغرب والشرق وكان الصراع شديدا بين الطرفين (ربما يمكن القول إنه كان بين العقيدة الشيوعية والعقيدة الرأسمالية) وهكذا عمل مكاريوس على إدخال بلاده في مجموعة دول عدم الانحياز لإبعادها عن التجاذب الدولي وهي في بداية نموها وتحقيق سيادتها واستقلالها ولعله يمكن القول إن اهتمامه بالسياسة الداخلية كان أقل من اهتمامه بالسياسة الخارجية ولذلك فإن قوى الوحدة (الإينوسيس) في الداخل كانت تعمل بنشاط (وهو الشعار الذي رفعته جماعة الجنرال قريفاس رغبة في تحقيق الوحدة مع اليونان) وهو الشيء الذي بعث الشك والخوف لدى الطرف الآخر (الجانب التركي) بمعنى أنه إذا كان القبارصة اليونانيون يسعون إلى الاتحاد أو الوحدة مع اليونان فلماذا لا يسعى القبارصة الأتراك للوحدة مع تركيا؟ وكان نائب الرئيس الدكتور فاضل كوتشوك يمارس بشكل متقطع حق الاعتراض الذي منحه له اتفاق الاستقلال ودستور البلاد وقد امتد ذلك إلى الوزراء والنواب الأتراك الذين يشاركون في الحكم وبذلك فإن الأرض كانت مهيأة وممهدة لأي حدث وفي أي وقت وتلك واحدة من خبث الإنجليز الذين

يرمون القنابل الموقوتة فى أى مكان وجدوا فيه) ولكن الرئيس مكاريوس يود أن يوطد علاقات بلاده مع تلك الدول التي كانت تساعد قبرص أثناء فترة نضال شعبها من أجل الاستقلال، مثل مصر، بينما كان نائبه يرى عكس ذلك تماما بل إنه لم يكن يوافق على سياسة عدم الانحياز ومجمل القول إن الحكومة كانت تحت قيادة ثنائية ومن هنا فإنها لا يمكن أن تصل إلى بر الأمان على ذلك الشكل ولقد حدث الانفجار وتأججت النار التي كانت تحت الرماد وتأهبت كل الأطراف الخارجية صاحبة المصالح لتقديم المساعدة والتدخل المباشر إذا لزم الأمر، فتركيا ترى أن الأتراك فى خطر لأنهم أقلية وهى ملزمة بحمايتهم عرقيا ودينيا وكذلك طبقا لنصوص معاهدة الضمان التي وقعت عليها مع بريطانيا واليونان واليونان كانت تجد نفسها ملزمة بالوقوف إلى جانب القبارصة اليونانيين لأنهم يعتبرونها البلد (الأم) وكانوا وما زالوا يرفعون علمها فوق العلم القبرصي وينتظرون الساعة الموعودة للوحدة معها، أما الضامن الثالث أى بريطانيا وهى التى تحرك الخيوط من طرف خفى فقد كانت تتربع مطمئنة فى قاعدتين عسكريتين لها فى البلاد كذلك كانت الصحف العربية والأمريكية بشكل خاص تكتب بين وقت وآخر عن الثروات النفطية الهائلة فى منطقة بحر (إيجا) وهذه مناطق بحرية متنازع عليها بين تركيا واليونان وكلما علت أصوات الإعلام اشتد الاستعداد والتوتر والانتباه فى البلدين لأنه بسبب الخلاف لا يمكن لأي منهما أن يسمح للآخر باستغلال تلك المناطق وفجأة حدث الانقلاب العسكرى فى اليونان خلال شهر أبريل سنة ١٩٦٧م وكان يقود ذلك الانقلاب عقداء جيش لم يعرف لهم فى ذلك الوقت أى اتجاه أو لون سياسي ومن العادة أن أصوات العسكريين أكثر من أعمالهم وهكذا بدء الضجيج فى أثينا ووجد صداه الهائل فى نيقوسيا، وقبل ذلك الانقلاب كانت قبرص قد تزودت بالعديد من الضباط اليونانيين من أجل تدريب الحرس الوطني القبرصي (كما قيل) أى أن وجودا عسكريا محسوسا من داخل الوحدات النظامية القبرصية كان منظورا، وقد احتفل أولئك الضباط بحدوث الانقلاب فى أثينا رغم أنهم يجب أن يكونوا خاضعين لسلطة الحكومة القبرصية لا لما يحدث فى بلادهم الأصلية وكان ذلك قد أعطى مؤشرا خطيرا وملحوظا لدى الجانب التركى فى قبرص وأنقرة

وبعد الانقلاب اليونانى ساد الاعتقاد بأن هؤلاء العسكر قد يرغبون فى تسوية سريعة لمعضلة قبرص تحقق نوعا من الدعم الشعبي لهم فى أثينا (التى ربما لم يميل مواطنوها إلا على مضض لذلك الانقلاب لأن المعروف عن الإغريق أنهم أهل الديمقراطية، فى الماضي على الأقل) دخل العسكر الذين قاموا بالانقلاب فى مباحثات لم ينتج عنها شيء. وفى شهر أكتوبر أى بعد حوالى ستة أشهر على انقلابهم أعلنوا أنهم يفضلون وحدة قبرص مع اليونان. وبعد هذا الإعلان مباشرة أي خلال شهر نوفمبر حدث هجوم مسلح من طرف القبارصة اليونانيين (كما قيل) على مركز شرطة قبرصي تركي فى (أيوس ثيودوروس) وهكذا دخلت أزمة قبرص فجأة فى مأزق جديد، ولقد ارتبط ذلك الحادث بإعلان العسكريين ذلك فى أثينا أي أنه كما لو كان موعزا به لتفجير الوضع وأعلنت تركيا أنها ستحل مشكلة قبرص حلا نهائيا وهذا يعنى أنها تلمح باستخدام القوة المسلحة. ومن هنا بدأت الاستعدادات العسكرية فى اليونان وتركيا وقد وجد الانقلابيون فى أثينا فرصة يتعلقون بها ويشغلون بها الناس فى اليونان بحيث يتوارى مطلب الديمقراطية التى تؤرق العسكر فى كل مكان ناهيك عن اليونان نفسها، وكذلك الحال فى تركيا التى تعانى الكثير من المشاكل من الناحية الاقتصادية والسياسية والأمنية وهى فى حاجة إلى ما يصرف النظر عن تلك المشاكل، ومن المعروف أن الجيش التركى يلعب دورًا أساسيا فى السياسة التركية منذ الانقلاب الذي قام به مصطفى أتاتورك خلال الربع الأول من القرن العشرين بمعنى أن الأزمة فى هذه البلدان وضعت بين أيدى العسكر فى كل من اليونان وتركيا، وبقيت قبرص تبحث عن مخرج فهى بالتأكيد ستكون الضحية فى أي صراع عسكرى يحدث بين البلدين فى حين أن بريطانيا كانت تنظر بنصف عين لأنها تدرك أن أغلب الانقلابات العسكرية بعد الحرب العالمية الثانية صارت من صنع حليفتها القوية (الولايات المتحدة الأمريكية) ولابد أن وراء الانقلاب العسكرى اليونانى أزمات قادمة وهى لا يهمها فى قبرص شيء غير قواعدها العسكرية التى أصبحت فى نفس الوقت أمريكية أيضا حيث إن بريطانيا

واتفقت من زمن على استخدام هذه القواعد بواسطة طائرات (يو ٢) الأمريكية التي تقوم بالتجسس على منطقة الشرق الأوسط وجنوب الاتحاد السوفيتي.

وفي أثناء هذه الأزمة أعلنت تركيا أنها أرسلت سفينة أبحاث إلى منطقة بحر (إيجه) وأنها ستبدأ التنقيب عن النفط هناك وفي نفس الوقت ردت أثينا أنها لن تسمح بذلك لأن تلك الجزر تقع في الأراضي اليونانية وإن كانت في البحر وبذلك فإن السيادة عليها لليونان والجزر هي (غاليبولي وساموتراكي وامبروس وتنيدوس وليمنوس وطاشوز، والجزر هذه تحاصر مدخل بحر مرمرة من الجانب الغربي قرب الدردنيل، ولعله من المفيد أن نعرج بالقارئ لنذكره على اليونان وتركيا بهذه المنطقة من البحر الأبيض المتوسط وتحديداً شرقي هذا البحر، فقبل ثورة اليونان التي عرفت باسم ثورة الإغريق سنة ١٨٢٢ م ظهر ما عرف في المصطلحات السياسية (بالمسألة الشرقية) وقد انعقد لها مؤتمر في (فيينا) سنة ١٨١٥ م بحث فيه موضوع المسألة الشرقية تلك ووضع مضيقي الدردنيل والبسفور على ضوء هزيمة نابليون أمام الحلفاء في موقعة (واترلو) وكان الغرض بطبيعة الحال وكالعادة على إثر أي حرب وضع خريطة جديدة لأوروبا، وكان قيصر روسيا في ذلك الوقت (الإسكندر الأول) يرى أنه مبعوث العناية الإلهية للقضاء على نابليون ولم يكن يرغب في تدخل الدول الأوروبية في شئون تركيا أو مستقبل الدولة العثمانية رغم ما بينها وبين بلاده من مشاكل وما حدث من حروب، ذلك أن هذه المسألة إذ صدرت بشأنها قرارات ربما تحد من طموحات روسيا فيها وبالتالي قرر أن يقف ضد أي ضمانات يحاول مؤتمر فيينا أن يقررها، وكان أحد بنود جدول أعمال المؤتمر موضوعاً يقول (صيانة حقوق الملوك وأصحاب الحقوق الشرعية ضد الثورات) وبذلك فإن وضع تركيا لابد أن يبقى معلقاً، كذلك فإن تركيا ما كان لها أن تشارك في مؤتمر يقوم على أساس الإخاء المسيحي ويتسمى باسم (التحالف المقدس) ولذلك بقيت مشكلة المضايق دون بحث أو ضمانات، وكانت دولة البحر الأولى (بريطانيا) في ذلك الوقت تسيطر على مدخل البحر الأبيض المتوسط من الغرب (جبل طارق) وقرر لها مؤتمر فيينا حقها في الاستيلاء على جزيرة مالطة وبذلك وجدت لأساطيلها محطة في الطريق إلى

الشرق، وبعدها استولت على جزر (الأيونيان) وهي (زنتة وكورفو وآفالونيا) بحيث تكون إضافة إلى سيطرتها على البحر الأبيض مطلّة على منطقة البلقان التي تمور بالأحداث والتطورات، وبعد ذلك قامت الثورة الإغريقية التي كانت ربما بمساعدة وتأييد أو على الأقل تشجيع بريطانيا سنة ١٨٢٢ م ونظراً لما كان يتوفر للإغريق من إمكانيات بحرية ومساعدات أوروبية ونظراً للفوضى التي كانت تسود الوضع العثماني سيطر الإغريق على منطقة بحر (إيجه) حيث هزموا القوات البحرية التركية مما جعل السلطان محمود الثاني يلجأ إلى طلب مساعدة والي مصر عندما أدرك أن أوروبا المسيحية تقف مع الإغريق، وبتدخل مصر تغير الوضع تماماً وكان ذلك سنة ١٨٢٤ م إذ بتلك الحملة تغلب الأتراك على الثوار الإغريق واحتلوا جزيرة (كريت) وبعض المناطق الأخرى، ولقد انحصر الإغريق في بحر إيجه وهنا تدخلت الدول الأوروبية وعلى رأسها روسيا ودعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر في لندن من أجل إيقاف الحرب بين تركيا واليونان، وأرادت بريطانيا أن تظهر الحرب على أنها حرب بين المسيحية والإسلام (مثلما تعمل الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحاضر) واجتمعت الدول الثلاث (بريطانيا وفرنسا وروسيا) في مؤتمر لندن سنة ١٨٢٧م لوقف الحرب ومنح اليونان حق الاستقلال الذاتي، ولقد قرروا أنه إذا امتنعت إحدى الدولتين المتحاربتين عن إيقاف الحرب تدخلت دول مؤتمر لندن بالقوة، ولذلك تشكلت قوة بحرية طبقاً لما عرف بمعاهدة لندن بقيادة أمير البحر البريطاني (كندنجتون) وكانت النمسا قد امتنعت عن الاشتراك مع هذه الدول وامتنعت تركيا عن الالتزام بقرارات مؤتمر لندن وبذلك دخل أسطول تلك القوى خليج (نوفارين) واستخدم القائد البريطاني القوة فوراً وقيل إن ذلك حدث نتيجة سوء فهم، لكن سوء الفهم ذاك دمر الأسطول المصري في (نوفارين) سنة ١٨٢٧ م إذ قضى على أغلب السفن المصرية والتركية خلال ساعات، وعلى ضوء هذا التطور دعا السلطان التركي جميع المسلمين إلى الجهاد ضد روسيا وبهذا بدأت الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٢٩ ، ولكن الروس هذه المرة تقدموا في هذه الحرب وهددوا القسطنطينية نفسها مما دعا السلطان إلى طلب الصلح. وقبل مقررات مؤتمر لندن

بكل شروطها و تعترف باستقلال اليونان وسبحان الله مغير أحداث التاريخ تتكرر نفسها أو يكررها أولئك الذين صنعوها فها نحن نرى بريطانيا وفرنسا قد كررتا نفس الموقف ونفس الحيلة بعد مرور قرابة قرن ونصف القرن من ذلك التاريخ، فقد حدث ذلك سنة ١٩٥٦ م عندما اعتدت إسرائيل على أراضي مصر أعلنتا أنهما تطلبان من الطرفين المتقاتلين إيقاف الحرب وإن لم يحدث ذلك تدخلتا بالقوة ومع الفارق في الزمن والفارق بين إسرائيل واليونان لأننا لا نبرئ اليونان بشيء مثل العدوان فإن بريطانيا وفرنسا بعد أن تآمرتا مع إسرائيل بترتيب مسبق وعندما قامت هذه بالغزو والاحتلال طلبتا من المعتدى عليه أن يوقف الحرب وإن لم يفعل تدخلتا بالقوة لأنهما تحرصان على سلامة الملاحة في قناة السويس وكانتا تعرفان تماما أن المعتدى عليه لا يمكنه إيقاف الحرب إذ كانت أساطيلهما تمخر عباب البحر للمشاركة في العدوان مع إسرائيل، هكذا هو منطق القوة !!

ظهرت اليونان بعد أن استقلت كقوة بحرية جديدة لها شأن في منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط وصارت تناوش تركيا لما بينهما من عداء قديم بينما تتعاون مع بريطانيا وفرنسا، وحدث أن تصاهرت الأسرتان اليونانية والإنجليزية وبذلك تنازلت بريطانيا لليونان عن جزر (الأيونيان) سنة ١٨٦٣م وكانت المناسبة تولي الأمير الدنماركي (جورج) عرش اليونان وكان هذا الأمير شقيق زوجة ولي العهد البريطاني في ذلك الوقت والذي صار فيما بعد ملكا على بريطانيا وهو الملك (إدوارد السابع) وتمكنت اليونان سنة ١٩٠٨ م من ضم جزيرة (كريت) وبعد ذلك بعدة سنوات أي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ضمت بعض الجزر في بحر (إيجا) وكانت تتطلع إلى جزر أخرى، منها مثلا جزر (قبرص والدوديكانيز) وبعد الحرب العالمية الثانية ضمت جزر (الدوديكانيز) وتطلعت إلى أن تلحق فيما بعد جزيرة قبرص وربما أخرت ذلك نظرا لوجود جالية تركية في هذه الجزيرة وربما أيضا رغبة في عدم إثارة تركيا في ظرف لعله غير مناسب

ومن غرائب الأمور أن روسيا التي كانت قد اتفقت مع بريطانيا وفرنسا بأن

حرب سنة ١٨٢٤ م بين تركيا واليونان هي حرب بين الإسلام والمسيحية وكانت قد اشتركت في مؤتمر لندن وقوة التحالف الحربية التي قررها ذلك المؤتمر عادت فتحالفت مع السلطان وتركيا عندما وقعت الحرب بين تركيا ومصر سنة ١٨٣٢ م وكان السلطان قد طلب مساعدة بريطانيا عندما اجتازت جيوش مصر جبال (طوروس) وهزمت الأتراك في معركة (قونية) و تجهت بقيادة (إبراهيم باشا) قاصدة القسطنطينية إلا أن بريطانيا هذه المرة قد امتنعت عن تلبية طلب السلطان لأسباب لم تعرف في ذلك الوقت (والانجليز لا يفوتون فرصة سانحة) فطلب السلطان مساعدة روسيا التي سارعت إلى تلبية طلبه وأرسلت القوات، ولقد عرف فيما بعد أن روسيا وافقت على المساعدة مقابل موافقة السلطان بموجب معاهدة سرية سميت (معاهدة هنكيار اسكلس) وقد وقعت سنة ١٨٣٣ م والتي بموجبها وافق السلطان على أنه في مقابل المساعدة الحربية التي وافق عليها القيصر أن يقوم بإغلاق مضيق (الدردنيل) في وجه السفن الحربية لجميع الدول ويذكر أنه عند (الدردنيل) فقط وهذا يعني أنه يغلق المضيق من جهة الغرب بينما يبقى بحر (مرمرة) مفتوحا من جهة الشرق أي أن يبقى (البسفور) مفتوحا كانت هناك موافقة ضمنية على دخول الأساطيل الروسية، ورغم أن الدول الغربية (فرنسا وبريطانيا) قد احتجتا على هذه المعاهدة عندما عرفتا بما جاء فيها فإنه لم يكن هنالك ما تقومان به أشد، ومن هنا نتبين أن المصالح وليست الأديان هي التي تحكم العلاقات بين الدول غالبا

وقبيل الحرب العالمية الثانية وفي مؤتمر (لوزان سنة ١٩٢٣) أقر المؤتمر حق تركيا في السيطرة على المضايق وعلى جزيرتين من جزر بحر (إيجا) العديدة وهما جزيرتا (تندوس وأمبروس) المواجهتان لبحر مرمرة من ناحية الغرب كما منح نفس الحق لليونان في استعمال جزيرتين أخريين من هذه الجزر وهما (لمنوس وساموثراكي) وهذه أيضا قريبة من مدخل الدردنيل وقبيل هذا الوقت عندما سمح مؤتمر (مونترو سنة ١٩٣٦م) لتركيا بأن تقوم بتحصين المضايق وتسليحها أقامت تركيا في نفس الوقت تحصينات ووضعت معدات عسكرية على الجزيرتين

مذكورتين، ولم تفعل اليونان نفس الشيء في الجزيرتين الأخريين نظرا لأن العلاقات بين البلدين كانت ممتازة وكان هناك وفاق بينهما، ونرى أنه حتى وقتنا الحاضر هناك خلاف قائم بين البلدين وكلاهما يدّعي الحق في هذه الجزر وكلما أريد لهما أن تحتكا أشير مباشرة أو غير مباشرة إلى هذه الجزر في بحر إيجا وهذا حدث تماما بعد الانقلاب العسكري الذي حدث في اليونان سنة ١٩٦٧م وعندما أرسلت تركيا سفينة الاستكشاف وتحدثت الصحف الأمريكية عن الثروة البترولية الهائلة تحت مياه بحر إيجه، وبعد أن أعلنت تركيا عن إرسال تلك السفينة كأنها تبلغ اليونان بذلك أعلن العسكريون في اليونان أنهم لن يسمحوا بالاعتداء على تلك الجزر أو استغلالها وقد عبأوا قواتهم وحشدوها هناك وتوترت العلاقات بين الدولتين (تركيا واليونان) وكلتاهما تهدد باستخدام القوة لمنع الأخرى من البقاء أو الاستغلال وكأن القضية وليدة الساعة وكأن النفط على وجه الأرض وأن الكرامة الوطنية قد جرحت في هذا الطرف أو ذاك !!

وفي قبرص وصلت معلومات إلى الرئيس مكاريوس تقول إن ضباط الحرس الوطني القبرصي يتآمرون وسوف يطيحون بنظامه، ومن المعروف أن أولئك الضباط هم من اليونان وإذا كان الانقلاب في اليونان قد حدث فلماذا لا يحدث في قبرص بحيث يكون هناك نظامان عسكريان يمكن أن يلتقيا ويقيما الوحدة المنشودة ؟

وهنا أعلن الرئيس مكاريوس أنه سيطرد جميع الضباط اليونانيين وقيل إنه وجه مذكرة إلى النظام العسكري الجديد في أثينا يطلب فيها سحب أولئك الضباط وأن هؤلاء الذين يقبضون على نظام الحكم في اليونان قد رفضوا الطلب وردوا باستعلاء قائلين إنه لا يحق لمكاريوس أن يطرد هؤلاء الضباط أو يتخذ أي إجراء قبل موافقة أثينا ذلك أن إرسال الضباط اليونانيين تم على أساس اتفاق بين البلدين ولا يمكن طردهم أو إنهاء عملهم إلا باتفاق مماثل، وكان هذا الرد من طرف أثينا إهانة لرئيس بلد مستقل وخارج عن اللياقة الدبلوماسية، ولابد أن سبب ذلك اعتقادهم بأن قبرص تابعة بالضرورة لليونان، لكن الرئيس مكاريوس أصرّ على

رغبته ولابد من تنفيذ قراره وهو الرجل القوي الذي يجمع بين الدين والدنيا (أي أنه رئيس الكنيسة والدولة في وقت واحد) ويذكر أن المعلومات عن التآمر التي تسربت إلى المخابرات القبرصية وبالتالي إلى الرئيس مكاريوس قد جاءت عن طريق مخابرات غربية (ربما المخابرات المركزية الأمريكية) ولابد أن الولايات المتحدة صاحبة مصلحة في إحداث تلك المشاكل وما كان يمكن أن تتطوع بالمعلومات إذا صح أنها هي التي سربتها إلا لغرض وهدف مرغوبين ومتوقعين، ومن المؤكد أن مكاريوس قد أراد أن يتصرف كرئيس لبلد مستقل وذلك حقه بينما كان العسكريون في أثينا يرون أن ذلك البلد ليس إلا جزءا من اليونان وإن كان اسمه (جمهورية قبرص) وكأن الحلم قد تحقق فتوحدت الجزيرة مع اليونان بجرة قلم وحسب رغبة قريماس ودراميكية انقلاب العسكر على النظام الديمقراطي في اليونان.

كانت أخبار الترتيبات للانقلاب على نظام مكاريوس قد تسربت أو هي سُرِّبت إلى أغلب الدوائر ومنها البعثات الدبلوماسية في نيقوسيا وقد تحدث البعض مع الرئيس مكاريوس بطرق غير مباشرة في هذا الشأن ولكنه كان لا يصدق أنه يمكن لأحد أن يتجرأ على القيام بعمل من ذلك النوع لأن شخصيته غير قابلة للشك أو المناقشة (وحقيقة أن شخصيته كانت طاغية وحبه عميقٌ في قلوب القبارصة اليونانيين) وإن كان موقفه من تلك الأخبار يعد نوعا من التكبر، لأن القوى التي تدبر الانقلاب أقوى وأكبر مما يتوفر لشعبه حتى لو افترضنا أن الشعب يمكن أن يقوم بأي شيء إذا ما رفعت البنادق وانتهكت الشرعية ودقّت الأجراس، وقد تحدث مظاهرة أو احتجاج وذلك في الواقع موقف عاطفي لا يجدي نفعا وليس مستغربا أن تتغلب قوى الظلام التي تسخر عادة من طرف جهة وقوى أجنبية، وما حدث بين تركيا واليونان في شأن منطقة بحر إيجه كتهيئة للانقلاب في قبرص حدث مثله كثير في السابق وحدث مثله في اللاحق، من غرائب الأمور أن السيناريو يكاد أن يكون واحدا، ولندلل على ما حدث في قبرص ولعبة الكراسي الموسيقية التي تقوم بها أجهزة المخابرات في الدول الكبرى، وهنا نذكر مثالا قريبا أو شبيها بما حدث في منطقتنا، جاء بعد أحداث قبرص بعدة سنوات وفي مكان بعيد وإن كان بعض

الأسلوب. ذلك هو انقلاب الأرجنتين وقصة جزر المالفيناس التى عرفت باسم (جزر الفولكلاند) أي أن الحدث بعيد في جنوب الأطلسي ولكن تغييرات كانت لازمة هنالك وهذه قصتها كما يلي

كانت تلك الجزر قد ضمتها بريطانيا إليها سنة ١٨٣٣م واعتبرتها جزءا من أراضيها ونقلت إليها بعض الناس ليستوطنوها وهي في الواقع أرض أرجنتينية، ومنذ ذلك الوقت نظر إليها على أساس أنها جزر متنازع عليها في شأن السيادة بين الأرجنتين وبريطانيا كحالة جزر بحر إيجة تماما وجرت العديد من اللقاءات والمفاوضات بين الطرفين بإشراف الأمم المتحدة وبدونها ولم يحدث أي تغيير في الموقف البريطاني يسمح بموجبه للأرجنتين بإقامة اتصال مع تلك الجزر وتقديم بعض الخدمات وإنشاء مطار مدني، وفجأة بدأت وسائل الإعلام الغربية تتحدث عن الثروات البترولية في جزر المالفيناس وما حولها وكان ذلك سنة ١٩٧٠م وفي تقرير حول مصادر الطاقة والنفط في العالم قدم إلى مجلس الكونجرس الأمريكي خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٨ م أشير فيه إلى أن المنطقة الوحيدة التي تتوفر فيها كميات هائلة من النفط خارج منطقة (أوبيك) وخارج المنطقة التي تقع تحت سيطرة الدول الشيوعية هي (حوض المالفيناس) الواقع بين الأرجنتين وجزر الفولكلاند، الشيء الذي لفت انتباه السلطات الأرجنتينية فأصدرت إعلانا في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧٥م يحرم على أي دولة أجنبية البحث أو استغلال ثروات المنطقة التي تعتبرها جزءا من الجرف القاري الأرجنتيني (جاء ذلك بعد الأخبار التي نشرها الإعلام الغربي وقبل التقرير الذي قدم إلى الكونجرس) ومباشرة بعد ذلك أعلنت الحكومة البريطانية أنها قررت إرسال بعثة استكشاف إلى جزر المالفيناس برئاسة اللورد (شاكلتون) وكان ذلك في ٣ يناير سنة ١٩٧٦م كان الحكم عسكريا في الأرجنتين وهو مكروه من طرف الشعب هناك ومن هنا صار يبحث عن مبرر لعمل عسكري قد يحقق به بعض المجد وإلهاء الناس (وربما تكون جهة ما قد أوعزت له بذلك على اعتبار أن بريطانيا سوف لن ترد بشيء غير الاحتجاج) فسير العسكر حملة مسلحة لاحتلال جزر الفولكلاند وكان ذلك في ٢ أبريل سنة ١٩٨٢ م وكانت بريطانيا وهي الدولة التي لم

تكن تغرب عنها الشمس أيام كانت إمبراطورية قد اعتبرت ذلك العمل عدوانا مسلحا عليها وهو إهانة لدولة كبرى وسابقة خطيرة في تاريخ العلاقات الدولية لا يمكن أن يسمح بها وهنا قررت السيدة الحديدية (رئيسة وزراء بريطانيا آنذاك تاتشر) تأديب أولئك العسكر (وربما كانت تريد التأكيد فعلا على أنها سيدة حديدية) وهكذا حدث، فقامت السفن والطائرات البريطانية بتدمير قوات الأرجنتين وهزيمة ذلك الجيش حيث أعادت الوضع إلى ما كان عليه في السابق، وكانت النتيجة أن سقط الحكم العسكري الأرجنتيني مباشرة وعاشت الخزينة البريطانية عجزا ماليا لفترة طويلة وإن ثبت أن غم الأمة تدارك به أسبابه سيناريو واحد لم يختلف فيه إلا الزمان والمكان، ونعود إلى قبرص وأحوالها المضطربة الانقلاب العسكري والإطاحة بنظام الرئيس مكاريوس عند قرابة الساعة الحادية عشرة صباحا من يوم ١٥ يوليو ١٩٧٤ م كانت جميع الاتصالات مع قبرص مقطوعة وتوقفت المواصلات الجوية والبحرية مع الجزيرة وبذلك تكون قد عزلت تماما عن العالم وربما كان هذا أول انقلاب يحدث في مثل هذا التوقيت ذلك أن الانقلابيين في العالم الثالث (وهو مسرح مغامرات العسكر) عادة يخرجون مع انبلاج الفجر أو يتحركون بالليل وكان الرئيس مكاريوس بلباسه الأسود تتدلى على صدره صلبان الأسقفية وهو يجلس على مقعده وراء طاولة صغيرة بالقصر الجمهوري في نيقوسيا، هذا المكتب الذي يستعمله عادة ويستقبل فيه كبار الزوار والسفراء ويكون قد خرج مبكرا من الكاتدرائية التي يقيم فيها ساعتين تقريبا وفجأة سمع دوي الانفجارات وانطلقت مدافع الدبابات على القصر الجمهوري وقد ارتفعت أعمدة الدخان في نفس الوقت من نقاط ومراكز الشرطة كما في القصر ووزارة المخابرات، ومكاريوس ببساطته رجل دين لا يستخدم الكثير من الحراس بينما لا يقف بباب البوابة الرئيسية في القصر إلا نادرا[2]، وهذا القصر يقع على ربوة عالية محاطة بغابة من أشجار الصنوبر التي تكاد تخفي مباني الرئاسة التي يسكنها بعض الوزراء وكبار المسئولين، والمباني جميعها بما فيها القصر الجمهوري قديمة ومقامة على طريقة البناء الإنجليزي القديم، ولقد لاحظ المارة سحب الدخان تخرج من بين الأشجار

بيمنا كانت بعض الدبابات تطلق قنابلها والعربات المصفحة تصطف على الطريق، وهؤلاء الناس لم يألفوا منظر التجمعات العسكرية وليس لهم عهد بالانقلابات التي تحدث صباح كل يوم في العالم الثالث مثل أفريقيا وبلدان الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية، ولهذا كان هناك من يمضي متفرجا دون أن يشعر بخوف أو قلق.

أعلن عن قيام الانقلاب وعن مقتل الرئيس مكاريوس وتعيين العميد (سامبسون) رئيسا لقبرص وهذا كان صحفيا يرأس صحيفة تسمى (المعركة) وهو كذلك مالك هذه الصحيفة وهي يومية مناصرة لمنظمة (أيوكا - أ) ثم صارت مناصرة للمنظمة الجديدة التي كانت قد ظهرت عندما قامت ببعض الأعمال العسكرية وتسمت باسم (أيوكا - ب) أي الثانية. واتضح منذ اللحظة الأولى أن الذين قاموا بالانقلاب هم الضباط اليونانيون الذين يدربون أفراد الحرس الوطني القبرصي، ولم تكن هناك مقاومة تذكر ولقد لجأ رؤساء الأحزاب وبعض الوزراء ومسئولو الحكومة إلى مقار بعض البعثات الدبلوماسية كل حسب ميوله وعلاقاته، وقد سيطر الانقلابيون على البلاد خلال ساعات معدودة واتضح أن الرئيس مكاريوس قد استطاع الهرب من طريق سري في القصر الجمهوري حيث ذهب إلى مسقط رأسه (مدينة بافوس) غرب الجزيرة والتي يتوقع أن أنصاره يتمركزون بها، ولا أحد يعرف بالتحديد كيف أمكن أن يخرج مكاريوس من القصر الجمهوري وكيف أمكنه أن يختفي وهو الرجل الذي لا يمكن أن يختفي على أحد وكيف قطع المسافة بين نيقوسيا وبافوس دون أن يقبض عليه رجال الانقلاب وأعوانهم خصوصا أن بافوس هي أبعد مدينة عن نيقوسيا في اتجاه الغرب، ولابد أن ذلك الطريق الطويل كان مراقبا أو أن هناك نقاط تفتيش ودوريات عسكرية ولقد أشيع أنه أوقف سيارة صغيرة كانت بالمصادفة مارة في الطريق وتنقل بها إلى بافوس وربما نعود للبحث في هذه الأسئلة في فصل لاحق على ضوء بعض المعلومات التي ظهرت فيما بعد

وقد اتضح أن مكاريوس لم يقتل (كما أشاع الانقلابيون) وأنه موجود في مدينة بافوس فقد كان متوقعا أن يقوم بعمل ما من هناك وفعلا وجه خلال اليوم الثاني

نداء من إذاعة سرية طالب فيه الشعب بالصمود ومقاومة الانقلابيين ووعد بأنه سوف يتمكن من القضاء على الحكومة التي تآمروا عليه وعلى مستقبل البلاد والشعب وعندما عرف قادة الانقلاب بوجوده في بافوس وجهوا مصفحاتهم إلى هناك، وفي بافوس نفسها لم تكن هناك مقاومة تذكر رغم احتمال وجود مناصرين وأعوان للرئيس مكاريوس ولهذا كان على مكاريوس أن يغادر المكان كيلا يقبض عليه ويقتل وبالتالي ينجح الانقلاب، وقد بعث من يطلب المساعدة من أقرب قاعدة عسكرية بريطانية. وقرر البريطانيون على الفور (وتلك مفاجأة) إرسال طائرة هليوكبتر لنقله من بافوس إلى القاعدة الإنجليزية تلك حيث يكون في مأمن وهذا الأمر أيضا يحتاج إلى كثير من البحث والمناقشة وأقل ما يقال فيه مبدئيا أن بريطانيا تصرفت كدولة تجاه رئيس بلد مستقل طلب المساعدة في ظرف صعب

ومن القاعدة البريطانية قرر مكاريوس أن يخرج حيث يمكن أن يعرض وضع بلاده على بعض الأصدقاء، وكذلك على الجمعية العامة للأمم المتحدة، وبخروج مكاريوس هدأ الوضع وبدأ الانقلابيون في إجراءات ترتيب الأمر (باعتقاد منهم أن كل شيء أصبح في أيديهم) فشكلوا وزارة مؤقتة برئاسة رئيس الجمهورية الجديد الصحفي (نيكوس سامبسون) وبقى هذا رئيسا مدة لا تتعدى أيام فقط، وفي هذه الأيام كان رجال منظمة (أيوكا - ب) بملابسهم الكثيفة ولباسهم المرقع ومظاهر الخشونة التي اكتسبوها من وجودهم في الجبال والغابات مددا طويلة قد دخلوا المدن وصاروا يبحثون عن أنصار الرئيس مكاريوس من وزراء ومسئولين سابقين ورؤساء أحزاب وقد حاولوا اغتيال رئيس الحزب الاشتراكي القبرصي الدكتور (فاسوس ليساريدس) بينما كان خارجا من مقر السفارة الليبية التي كان قد التجأ إليها أثناء الانقلاب وكان في طريقه لحضور جلسة طارئة لمجلس النواب الذي لم يكن قد صدر قرار بحله، ومن المعروف أن ليساريدس من أقوى أنصار مكاريوس بل هو في فترة ما كان طبيبه الخاص، ولم يعترف أحد بالنظام الانقلابي الجديد وكما ذكرت فإن الضامنين لاستقلال قبرص الثلاثة كانوا في أوضاع ومواقف غريبة، فبريطانيا وهي إحدى الدول الثلاث ولديها من القواعد في الجزيرة ما يكفي

لاحتلال البلاد كلها ومواجهة أي طارئ لم تحرك ساكنا غير استقبال مكاريوس في
وحدة من قواعدها وكذلك السماح للمواطنين المعارضين المنفيين باللجوء إلى أي من
قاعدتيها العسكريتين بكيبريين في الجنوب والشرق إذا ما رغبوا في اللجوء، بينما
كانت تركيا واليونان كل منهما تحشد القوات في منطقة بحر إيجا استعدادا
للمواجهة العسكرية بينهما هناك حيث كان التوتر على أشده بينهما وكانت بالتأكيد
الولايات المتحدة الأمريكية قد ضاقت ذرعا بالعسكريين وحكمهم في أثينا أولا لأنهم
ارتكبوا الكثير من الأعمال الوحشية ضد مواطنيهم وبلغت تلك الوحشية ذروتها
عندما سحقوا الطلبة بالدبابات في شوارع أثينا، وثانيا لأن الشعب اليوناني بطبيعته
وموروثاته لا يحب الدكتاتورية مهما كانت، كذلك فقد كان رئيس الوزراء السابق
المعمر (قوسطانطين كارامانليس) ينتظر تطور الأوضاع في منفاه بباريس، وكان
يعرف أنه لابد أن يعود هو والنظام الديمقراطي إلى اليونان ولا أحد يعرف ما إذا
كان هنالك أي نوع من الاتفاق أو التنسيق والتشاور بينه وبين المخابرات المركزية
الأمريكية (وهذا أمر طبيعي في مثل هذه الحالة) وإذا كانت المخابرات تلك وراء
توتر الأوضاع (وهذا احتمال) بين اليونان وتركيا في منطقة بحر إيجا وهما عضوان
في الحلف الذي تشرف عليه وتوجهه في أغلب الأحيان فإنها تكون بذلك قد دفعت
الاثنتين إلى المواجهة العسكرية وهما عضوان هامان في (حلف شمال الأطلسي) وإن
لم يكن الأمر كذلك فإنها لابد أن تكون على الأقل تعلم بتدبير الانقلاب في قبرص
ذلك أن صحافتها أولا هي التي كتبت بإطناب عن الثروات النفطية الهائلة (كما
قلت) في منطقة بحر إيجا وهي تعلم علم اليقين أن المنطقة عليها خلاف حاد بين
البلدين ولا يمكن لأي منهما أن يسمح للآخر باستغلال تلك المنطقة وثالثا أن
المعلومات التي وصلت المخابرات القبرصية وبالتالي الرئيس مكاريوس حول مؤامرة
الضباط اليونانيين الشيء الذي جعل الرئيس يتخذ قرارا بطردهم كانت بالتأكيد
آتية من جانب المخابرات المركزية تلك ورابعا فإن عملية الغزو التركي لقبرص التي
جاءت مباشرة بعد الانقلاب توحي بلا أدنى شك أن تركيا كانت تعد لذلك الغزو منذ
فترة طويلة أي أنها كانت تعلم بما سيحدث في قبرص مسبقا (مما أيضا يلقي ضوءا

على خطة التآمر الأمريكية وأهدافها) وإذ كانت أبعد نقطة من أراضي تركيا عن
قبرص لا تزيد على ستين ميلا فإن أقرب موقع لليونان من قبرص لا يقل عن
ثمانمائة ميل ناهيك عن حشد القوات اليونانية في منطقة بحر إيجا استعدادا
للعمليات العسكرية المتوقعة هناك أي أن الخطة كانت ناجحة في لفت انتباه عسكر
اليونان بعيدا عن المسرح الحقيقي للغزو (أي قبرص) ويمكننا أن ندرك أهمية الوضع
الجغرافي بين البلدين في هذه الظروف، كذلك نحن نعرف أن كليهما (تركيا
واليونان) ضامنان لاستقلال قبرص طبقا لاتفاقية لندن وهكذا فإن كلا منهما ملزم
وملتزم بحماية الطائفة التي تنتمي إليه، فتركيا لابد لها أن تحمي القبارصة الأتراك،
واليونان لابد لها أن تحمي القبارصة اليونانيين ومن لا يقم بذلك فلابد أن يخسر كل
شيء لأنه يكون قد عجز عن أداء واجب وطني ويجمع المراقبون العسكريون
والمختصون في الاستراتيجية العسكرية أن الغزو التركي ما كان ولا يمكن أن يكون
نتيجة استعداد سريع إذ لا يمكن لتركيا أن تقوم بهجوم جوي وبحري بذلك العدد من
الجند والمعدات ما لم تكن قد أعدت واستعدت لذلك مدة شهور لا تقل عن سنة

ولقد خرج الرئيس مكاريوس وسيطر الانقلابيون في الأيام الأولى على البلاد
وشكلوا وزارة مؤقتة وكذلك عينوا رئيسا للجمهورية وكان على كل الأطراف
(بريطانيا وتركيا واليونان) أن تواجه ما يترتب على هذه الأحداث والتطورات،
والجدير بالملاحظة أن مجلة (نيوزويك الأمريكية) وهي قريبة جدا من دوائر
المخابرات المركزية الأمريكية كانت قد نشرت مقالا على شكل تحقيق طويل عن
كميات النفط المتوفرة في منطقة بحر إيجا وذلك في أوائل سنة (١٩٧٣م) كذلك كان
الكونجرس الأمريكي قد كلف لجنة سميت (لجنة تقصي الحقائق والوضع السياسي
في منطقة شمالي البحر الأبيض المتوسط ومدى تأثر المصالح الأمريكية بتلك
الأحداث والأوضاع) وكانت الاضطرابات في اليونان قد تزايدت وتكررت في شكل
مظاهرات تطالب بتصفية القواعد العسكرية الأمريكية في اليونان كما أن عمليات
القمع التي كان يقوم بها الحكم العسكري هناك قد بلغت مداها الأقصى في القمع
ولقد قدمت لجنة الكونجرس تلك دراستها النهائية في واشنطون يوم ٢٢ يناير ١٩٧٤م

ونوقشت الدراسة رسميا يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٤ م، وكانت في واحدة من فقراتها تقول (إن الحكم العسكري في اليونان يجب ألا يستمر طويلا لأنه وإن كان أمريكيا فإن غباء وغطرسة هؤلاء الجنرالات سوف تحول كل اليونانيين ضد المصالح الأمريكية في المنطقة وإن الديمقراطية لابد منها ولابد من عودتها إلى الشعب الذي يعبد الديمقراطية ويتغنى بها ..) انتهى.

وعلى الرغم من أن الدراسة لم تحدد الكيفية التي يجب أن يغير بها الحكم العسكري اليوناني (لأن ذلك من واجب جهات أخرى بطبيعة الحال) إلا أن المؤكد أن النقطة الحساسة في هذا الشأن هي قبرص وقضيتها، فإذا حدث عمل ما (غزو مثلا) وعجز النظام العسكري في اليونان عن مواجهته في قبرص فإنه لابد أن يسقط، وهو الشيء الذي حدث، وعن ذلك الحكم العسكري اليوناني اقترح الجانب اليوناني الوحدة مع تحديد قواعد في قبرص تمثل ضمانا للقبارصة الأتراك ومنطقة تلحق بتركيا كتعويض لها إلا أن رئيس الوزراء التركي السيد (ديميريل) رفض الفكرة وانتهى الاجتماع بلا نتائج وكانت حكومة العسكريين في أثينا قد اقترحت على الجانب التركي إجراءات ضد الشيوعيين في البلقان ولأن تركيا لم تكن ترغب في الاتفاق فقد قام (ديميريل) بإبلاغ الروس بهذا الأمر عند زيارته لموسكو، وبعد ذلك حدثت فكرة أخرى من الرئيس التركي الجنرال (سوناي) يتم على ضوئها مناقشة قضية قبرص في اجتماع بين اليونان وتركيا تشترك فيه بريطانيا، ولكن الفكرة عارضها الرئيس مكاريوس بشدة .. انتهى.

هذا ملخص الفقرة من كتاب السيد (كوستاس) وهو يوحي بأن هؤلاء العسكر كانوا يعملون بتوجيهات من أمريكا أو على الأقل يحاولون خدمة المصالح أو الأهداف الأمريكية في حين أننا نرى أن أمريكا لم تجد فيهم نفعا لمصالحها كما جاء في المذكرة التي قدمت للكونجرس الأمريكي.

يقول مؤلف كتاب تاريخ قبرص السيد (كوستاس ب كيريس) تحت عنوان (فترة حكم الجونتا من ٢١ أبريل إلى يوليو ١٩٧٤ الطريق إلى الدمار) ما يلي

(شكل القبارصة الديمقراطيين واليساريون فورا بعد يوم ٢١ / ٤ / ١٩٦٧ م لجنة مضادة للدكتاتورية في مسرح (أبوللو) بنيقوسيا في الوقت الذي بدأ فيه عسكر اليونان من خلال الصحافة السجينة هناك والإذاعة في أثينا حملة يومية محمومة على القبارصة الذين ضد الوحدة (بينيسيس) بالأسماء أو الإشارات الواضحة من أولئك الذين كانوا من أقرب المتعاونين مع مكاريوس، وبعد أن أرسل الأخير برقية تهنئة إلى حكومة العسكر في أثينا يوم ٢ مايو، بدأت تلك الحكومة في الإعداد لمؤتمر من أجل حل لمشكلة قبرص من خلال الحوار طبقا لبروتوكول باريس في (١٩٦٦/١٢/١٧م) وكان الأول هو إبعاد أولئك الخونة الذين يقفون ضد الوحدة من تحقيق الأمل العظيم ومع ذلك فإنه بعد زيارة قام بها الوزير (جورج باباديلوس) إلى قبرص في ٩ أغسطس أعلن أنه لم يجد في قبرص أعداء للوحدة، وهذا الوزير الذي عمل طويلاً في قبرص كضابط معلومات للجيش اليوناني جاء في الواقع لإقناع مكاريوس من أجل إظهار ضبط النفس تجاه الاستفزازات التركية وقد قوبل هذا الموقف من جانب أنقرة بإشارات تفهم رد فعل الحكومة العسكرية في أثينا قد غيرت موقفها ورأيها وفي ٥ يوليو تشكلت جبهة قبرصية من المعجبين بحكومة العسكر، في أثينا للعمل من أجل الوحدة وتم اجتماع بين أطراف من الحكومة اليونانية والحكومة التركية حول الانقلاب ومكاريوس وقبرص.

في اليوم الذي أعلن فيه ضباط الحرس الوطني القبرصي أنهم أسقطوا نظام الرئيس مكاريوس (١٥ يوليو ١٩٧٤م) كانوا قد قدموا مصير قبرص على طبق من فضة إلى تركيا وزعيمها الجديد الذي يبحث عن دور يؤديه وما أجمل أن يجد السياسي التركي والعسكري التركي ميدان حرب وكان عسكر اليونان قد أعطوا تركيا المبرر القوي والقانوني والشرعي للتدخل في شئون قبرص ذلك أنهم انقلبوا على النظام الشرعي القائم في البلاد عندما أطاحوا بنظام الرئيس المنتخب ديمقراطيا مكاريوس، ولأنهم ضباط في الحرس الوطني وهم يونانيون فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن الانقلاب بتخطيط ومباركة العسكريين الذين يحكمون اليونان (وهكذا تعتقد تركيا) ولها كل الحق في هذا الاعتقاد، ولقد استهرت تركيا

العرصة الذهبية لذلك ذلك أن اتفاقية الضمان الثلاثي (بريطانيا وتركيا واليونان) ومعاهدة زيورخ الموقّعة في لندن الخاصتين باستقلال قبرص تنصان على (أنه في حالة حدوث أي خرق للمعاهدات يجب على الأطراف الثلاثة مباشرة التشاور فورا وإذا تبين أن عملا مشتركا ومنسقا هو غير ممكن فإن كل واحدة من القوى الضامنة تحتفظ بحقها في التصرف المنفرد بهدف إعادة الوضع إلى الحالة التي تنص عليها المعاهدات وفقا لقرارات مؤتمري (زيورخ ولندن)[1].

وكانت تركيا مستعدة تماما للعمل العسكري كأنما هي تعلم منذ زمن أن انقلابا سيحدث وأنها ستضطر إلى التدخل، وقد اتضح للحكومة التركية أن ما نصت عليه المعاهدات (العمل المشترك المنسق) غير ممكن. ذلك أن بريطانيا قد اعتذرت عن المشاركة في أي عمل عسكري ضد الانقلابيين (ولا أحد يعرف لماذا، وهي موقعة على المعاهدتين وصاحبة اقتراح تلكم النصوص الواضحة في المعاهدتين وخصوصا تعبير العمل المنفرد) ولقد قررت تركيا أن تتدخل دون أن تنتظر وذلك (كما تقول) حماية للطائفة القبرصية التركية وقامت قواتها الجوية بإنزال عسكري وكذلك إنزال بحري على الشواطئ الشمالية القبرصية أي على منطقة (كايرينيا) وهذه المدينة يعتبرها القبارصة الأتراك عاصمتهم القديمة، وطوّقت القوات التركية شواطئ قبرص بالمدمرات من جميع الجهات كما بدأت الطائرات الحربية التحليق في سماء الجزيرة، وهكذا فقد فقدت أي امتداد يمكن أن يتوقع مساعدة قادة الانقلاب في قبرص وسرعان ما قضت تلك القوات الغازية على الوحدة العسكرية اليونانية التي كانت ترابط في جبال (كايرينيا) (وتلك قوات نصّت عليها اتفاقية لندن) ولم يخرج منها جندي واحد ثم تقدمت القوات البرية التي أنزلت من الجو وصارت الطائرات تقصف كل ما يتحرك على الأرض وإن استهدفت في الحقيقة معسكرات الحرس الوطني القبرصي الذي لم يكن يملك مضادات لهذه الطائرات وقد سيطرت القوات التركية على المنطقة الشمالية من كايرينيا إلى نيقوسيا

---

[1] نص الاتفاقيتين اللتين وقعتا من جانب كل من تركيا وبريطانيا واليونان يجده القارئ مع الملاحق

واحتلت المطار المدني الدولي والواقع على بعد عدة كيلو مترات غربي العاصمة نيقوسيا، وما كاد مجلس الأمن الدولي يصدر قرارا بإيقاف القتال حتى كانت القوات التركية قد احتلت جميع المرافق والمناطق المستهدفة، وعندما تأكد رئيس الوزراء التركي (بولنت اجاويد) (أحيانا يطلقون الاسم أتشافيد) حتى أصدر بيانا من أنقرة أعلن فيه قبول قرار مجلس الأمن بشأن إيقاف القتال والواقع أنه لم يكن هناك قتال بالمعنى المفهوم لا لأن القوى غير متكافئة فحسب بل لأن الحرس الوطني القبرصي لا يملك سلاحا ضد الجو ولا ضد الدروع ولا كان معدا إعدادا جيدا ومدربا تدريبا كاملا قتاليا بحيث يواجه تلك الحرب المفاجئة أو تلك العملية العسكرية الكبيرة التي قام بها جيش مدرب ومسلح بكل معدات الحرب. وكانت قبرص قد طلبت المساعدة من اليونان ولكن أولئك الجنرالات كان يستهويهم النفط فحشدوا قواتهم في منطقة بحر إيجا لمنع تركيا من التنقيب هناك عن تلك المادة الثمينة! وما كان في مقدورهم تحويل القوات إلى قبرص من تلك المناطق البعيدة وحتى لو حاولوا فإن الوقت يكون قد فات، ومن المشكوك فيه أن يكون بلد كتركيا قادرا على تجهيز جيش قوامه ثلاثون ألفا بكامل معداته ونقله إلى ميدان القتال خلال ستة أيام، (كما أوردنا سابقا) ولذلك فإن العسكريين المحايدين قد شككوا في قدرة تركيب على ذلك مما يوحي بأن المخابرات الأمريكية كانت قد أعلمت تلك البلاد في وقت مبكر عن الانقلاب وموعده وقادته كذا أسبابه وشجعتها على ذلك التحرك ولا يعقل أن يقول لنا أحد إن لدى تركيا مخابرات قادرة على أن تخترق أجهزة الولايات المتحدة وتطلع على ما تخططه تلك الدولة) ونعتقد أنه لم يكن هناك من مانع أو حاجز أمام تركيا أن تفعل غير ما فعلت ولابد لها في هذه الحالة أن تقوم بعمل عسكري مهما كانت النتائج حتى لو لم تكن تعلم مسبقا، كذلك فإنه أثناء محاكمة السيد (نيكوس سامبسون) الذي عينه الانقلابيون رئيسا مؤقتا قد تسربت معلومات عن أموال دفعت من طرف المخابرات الأمريكية للضباط الذين قاموا بالانقلاب (لم نتأكد من تلك المعلومات بإثبات رسمي) وبعد قرار مجلس الأمن بإيقاف القتال تقرر أن يلتقي وزيرا خارجية كل من تركيا واليونان في جنيف لبحث الوضع الناشئ عن الانقلاب

و لغزو، ولابد للمنتصر دائما أن يفرض الشروط التي يرى أنها تحقق الغرض الذي من أجله قام بالغزو أو دخل الحرب، فكان الوفد التركي قد جاء للقاء جنيف وفي حقيبته شروط ومطالب ومن وجهة النظر العسكرية في هذه الحالة حيث يلتقي وفد تركيا واليونان فإن تركيا هي الجانب المنتصر وقد عرض الوفد التركي الشروط والمطالب التالية والتي كان يرى أنها يجب أن تقبل ويجب أن تكون أساسًا للبحث (وهي، إنشاء ستة كنتونات للجالية القبرصية التركية التي تعرضت للخطر عند حدوث الانقلاب، وكلمة (كنتون) هي تعبير مخفف لكلمة (محميات) ويكون أحد هذه المحميات أو الكنتونات ممتدا من بحره الشمالي في مدينة نيقوسيا إلى مدينة كايرينيا أي الجزء الكبير من عاصمة البلاد للقبارصة الأتراك إضافة إلى الكنتونات الخمسة الأخرى وتكون في (لارنكا وبافوس وليماسول وكرباسيا ولافكا).

ولم يكن الوفد اليوناني مخولا بالرفض أو القبول وربما لم يكن يتوقع مثل تلك المطالب بل وحتى لم يقدم شيئا في الاجتماع الذي عقده ولهذا طلب مهلة مدتها ست وثلاثون ساعة (ربما مراجعة أثينا) وإن كان رئيس الوفد قال إنها للتفكير، ولكن وزير الخارجية التركي كان لا يريد تشاورا ولا تفكيرا في شروطه ولهذا جمع أوراقه وأغلق حقيبته وقفل راجعا إلى أنقرة وبعد أن عاد الوفد التركي وكانت تلك فترة لتجميع القوات وتزويدها بالمعدات ذلك أن كل معركة يحدث بعدها إعداد واستعداد جديدان تحركت القوات التركية الغازية لتفرض الأمر الواقع وتحقق بالقوة ما طلبه الوفد التركي في لقاء جنيف (وللأتراك باع طويل في هذه الأمور لأن دولتهم دخلت الكثير من الحروب والمناوشات) وقد تقدمت القوات التركية في المرحلة الثانية من الغزو شرقا في اتجاه (فاماقوستا) وغربا في اتجاه (بافوس) بعد احتلت الشمال كله وفي الشمال الغربي أخصب المناطق الزراعية ومنابع المياه أي في منطقة (مورفو) كذلك احتلت منطقة (كارباسيا) الصناعية وبشأن هذه المنطقة كان الوفد التركي في لقاء جنيف قد طلب كنتونا فقط، كما احتلت تلك القوات الزاحفة مدينة ومنطقة (فاماقوستا) وهذه من أجمل المناطق السياحية في قبرص كلها، وكانت الدولة القبرصية في عهد ما قبل الانقلاب قد استثمرت

فيها بلايين الدولارات في بناء الفنادق والاستراحات المقامة على طول الشاطئ الرملي الجميل والخلجان البحرية الخلابة وجعلتها مدينة مفتوحة بكل معنى الكلمة حيث صارت مركزا سياحيا وتجاريا ربما لا مثيل له آنذاك في الشرق الأوسط، وهذه المدينة الجديدة تأتي من حيث الأهمية بعد مدينة (كايرينيا) ذات القلاع والمباني القديمة والتي احتلتها القوات التركية منذ ساعة الإنزال الأولى في الغزو

وفيما بعد أعلن الأتراك أن مقدار ما احتلوه في قبرص يصل إلى نسبة ٣٦٪ وأن الجالية القبرصية التركية تستحق ما نسبته ٣٣٪ من إجمالي أرض جزيرة قبرص حسب نسبة عدد السكان وحسب الامتلاك التاريخي، ولكن هناك ما يثبت ذلك قانونا، في الوقت الذي يذكر فيه الجانب القبرصي اليوناني أن ما احتل من الأرض يساوي ٤٠٪ من كامل الأراضي القبرصية وأن المناطق التي احتلت هي من أهم الأراضي زراعيا وسياحيا وصناعيا (وهذه هي الواقع الحقيقة، أعني الأهمية الزراعية والصناعية والسياحية) أما الحق التاريخي فإن كل طرف يمكنه أن يدّعي كيفما شاء ويمكن أن تقرر حقيقة أي طرف المحاكم والإجراءات القانونية الدولية.

وبإتمام مرحلة الغزو الثانية احتل الأتراك ما كانوا يريدونه دون خسائر أو عقبات كبيرة ولم يكن هناك من يقاوم في تلك المرحلة، فيما عدا مقاومة قليلة بأسلحة عادية خفيفة في الأيام الأولى من الغزو وواقع الحال أنه لم يكن ممكنا مقاومة ذلك الغزو الكبير إلا لمن يريد الانتحار وقبرص دولة تعتمد على الزراعة والسياحة وليست دولة محاربة إضافة إلى أنها حديثة العهد بتكوين الدولة وربما مقارنة سريعة في الإمكانيات والقدرات العسكرية للبلدان الثلاثة (تركيا واليونان وقبرص) تلقي ضوءا على الكيفية التي كانت عليها القوات مع الوضع في الاعتبار البعد الجغرافي بالنسبة لتركيا واليونان عن قبرص (أي مسرح العمليات) لأن ذلك عامل مهم في حالة الحرب

القدرات العسكرية القبرصية :

١ – حرس وطني حديث التدريب عدد أفراده بين عشرة إلى ثمانية آلاف جندي يقوده ضباط معارون من اليونان

٢ – اعتمادات التسليح المالية لا تزيد على ثلاثين مليون دولار أمريكي في ذلك الوقت.

٣ – كتيبتان للاستكشاف – مشاة ميكانيكية

٤ – ١٦ وحدة مدفعية

٥ – ٢٠ كتيبة مشاة

٦ – ٢٥ دبابة متوسطة وعدد من حاملات الجنود غير المدرعة.

٧ – ٣ سرية مصفحة متنوعة، ٨٨ – ١٢٠ مدفعًا من عيار ١٠٠ وعيار ١٠٥ ، و٢٥ مدفعًا هاوتزر عيار ٧٠ و ٤٠ مدفعًا مضادًا للجو

٨ – ٢ زورق دوريات بحرية

٩ – احتياطي الحرس الوطني من المجندين حوالي عشرين ألفا مع ملاحظة أن هؤلاء جميعا لم يحدث أن دخلوا حربا.

(مصدر: المركز الدولي للوثائق والدراسات باريس)

قدرات اليونان العسكرية

١ – نفقات الدفاع قرابة بليوني دولار

٢ – عدد أفراد الجيش ١٥٠ ألف جندي منهم ١٢٢ ألف إلزامي.

٣ – فرقة مدرعات

٤ – ١ فرقة مشاة (بعضها ميكانيكي)

٥ – لواء مدرع

٦ – لواء قوات مظلية خاصة

٧ – لواء مشاة مدرب على الخدمة في البر والبحر

٨ – بطاريتان مزودتان بثمانية صواريخ أرض أرض نوع هونست جون.

٩ – بطاريات صواريخ سام مزودة بعدد ١٢ صاروخ هوك محسنة.

١٠ – ٣٠٠ دبابة أم ٤٧ و ٥٢٠ ناقلة جنود مصفحة أ – أ. م أكس ٣٠ منها متوسطة و ١٧٠ أ م ٢٤ خفيفة

١١ – ٤٦٠ ناقلة جنود مصفحة أ م ٥٩ و ٥٢٠ ناقلة جنود مصفحة أ. م ١١٣ .

١٢ – ١٠٠ مدفع هاوتزر عيار ٧٠ ملم و٨٠ مدفع هاوتزر عيار ١٠٥ ملم و ٢٤٠ مدفع هاوتزر عيار ١٥٥ ملم ومدافع هاوتزر ذاتية الحركة من مختلف العيارات.

١٣ – ٥٥٠ مدفعًا عديم الارتداد عيار ١٠٦ ملم.

١٤ – صواريخ موجهة مضادة للدبابات طراز اس – اس ١١ ونوع كوبرا وتاو وميلان

١٥ – مدافع مضادة للجو عيارات ٤٠ – ٧٥ – ٩٠ ملم.

١٦ – طائرات سوبر كبج

١٧ – طائرات ايرو كوماندر

١٨ – ٢٠ طائرة نوع ال ١٧ .

١٩ – ١٥ طائرة نوع ال ١٢ .

٢٠ – ٥ طائرات هليوكوبتر نوع بل ٤٧ ج

٢١ – ٢٠ طائرة هليوكوبتر أ . ب ٢٠٤ – ٢٠٥ .

٢٢ – ١٠٠ دبابة أ م أكس ٣٠ متوسطة وعربات قتال مشاة ميكانيكية أ م أكس ١٠ ب

٢٣ – احتياطي الجيش ١٥ ألف جندي

٢٤ – ١٨٠ عربة مصفحة أ م ٨

معدات الاسطول البحري

١ - ٧ غواصات أمريكية نوع جوبي دوبلاو.

٢ - ١٢ مدمرة أمريكية نوع جيرنج فيلتشري وكركلامن.

٣ - ٤ فرقاطات نوع كانون.

٤ - ١٠ زوارق دوريات سريعة مزودة بالصواريخ موجهة نوع ٨ كومباتنت واكسوريب

٥ - ١٦ زورق طوربيد سريع.

٦ - ٢ زارعة ألغام ساحلية.

٧ - ٥ زوارق دورية ساحلية

٨ - ١٣ كاسحة ألغام.

٩ - ١٦ سفينة إنزال

١٠ - ٦ سفن إنزال معدات.

١١ - سرب طائرات تضم ٤ هيليكوبتر نوع اكويت ٣.

١٢ - ٤ غواصات فئة ٢٠٩ و ٦ زوارق سريعة مزودة بالصواريخ

١٣ - احتياطي الأسطول البحري ٢٠ ألف جندي.

القوات الجوية ٢٢٦٠٠ جندي (منهم ١٥ ألف جندي إلزامي) ومعداتهم :

١ - ٢٥٧ طائرة قتالية.

٢ - ٦ أسراب مقاتلات هجوم

٣ - ٥ أسراب مقاتلات اعتراضية.

٤ - ١ سرب طائرات استكشاف

٥ - ١ سرب طائرات استكشاف بحري

٦ - ٢ سرب طائرات نقل

٧ - ٣ أسراب طائرات هليوكوبتر

٨ - صواريخ جو جو أنواع (سبارو - سايدويندر - فالكون)

٩ - بطاريات صواريخ أرض أرض نوع هيروكلير

١٠ - احتياطي القوات الجوية ٢٠ ألف جندي. (نفس المصدر)

القوات المسلحة التركية، الجيش ٣٩٠ ألف جندي (٣٠٠ ألف جندي إلزامي) ومعداتهم.

١ - فرقة مدرعة

٢ - فرقتان مشاة ميكانيكية.

٣ - ١٤ فرقة مشاة

٤ - ٥ ألوية مدرعة.

٥ - لواء مظلات

٦ - ٤ بطاريات صواريخ أرض أرض

٧ - لواء قوات خاصة

٨ - ٢٨٠ دبابة أنواع إم ٤٧ - إم ٤٨ .

٩ - ١٦٥ ناقلة جنود مصفحة

١٠ - ١٥٠ مدفع هاوتزر من مختلف العيارات

١١ - ٣٦٥ مدفعًا ذاتي الحركة من مختلف الأنواع

١٢ - ١٧٥٠ مدفع هاون من مختلف العيارات.

١٣ - ١٨ صاروخ أرض أرض نوع هونست جون.

١٤ - ١٢٠٠ مدفع عديم الارتداد عيارات ٥٧ ملم، وعدد ٣٩٠ مدفعًا عديم الارتداد ١٠٦

١٥ – ٨٥ صاروخًا موجهًا ضد الدبابات

١٦ – ٩٠٠ مدفع مضاد لجو عيار ٤٠٠ ملم.

١٧ – طائرات نوع دي هش سي ٢

١٨ – ١٨ طائرة نوع يو ١٧ .

١٩ – ٧ طائرات نوع دي و ١٧ .

٢٠ – ٢٠ طائرة نوع بيتش بارون.

٢١ – ٩ طائرات نوع دي و ٢٨

٢٢ – ١٠٠ طائرة هيلوكوبتر نوع بيل ٤٧ – ج

٢٣ – ٢٠ طائرة هيلوكوبتر نوع أ – ب ٢٠٤ – ٦ ٢

٢٤ – ٤٨ طائرة هليوكوبتر نوع أد يو أتش.

٢٥ – احتياطي الجيش يبلغ (٥٠٠ ألف جندي).

الأسطول البحري، عدد أفراده ٤٥ ألف رجل منهم (٣١ ألف إلزامي) المعدات:

١ – ١١ غواصة فئة جيرمبح وفئة فيتشر

٢ فرقطتان

٣ – ١٢ زورق دورية سريعًا مزودًا بالصواريخ الموجهة

٤ – ٨ زوارق دورية مزودة بصواريخ أرض أرض.

٥ – ٤١ زورق دورية كبيرًا

٦ – ٤ زوارق دورية ساحلية

٧ – ٤ كاسحات ألغام قرب الشاطئ

٨ ٨ سفن زرعة ألغام

٩ ٤ سفن إنزال دبابات

١٠ ٢٥ سفينة إنزال جنود.

١١ ٢٦ سفينة إنزال معدات

١٢ قيلقان مضادان للغواصات مزودة بطائرات هليوكبتر.

١٣ ١ طائرات هليوكوبتر مزودان بصواريخ أرض أرض.

١٤ – احتياطي الجيش البحري (٢٥ ألف جندي)

القوات الجوية ومعداتها، عدد الجنود ٥٠ ألف جندي (٣٠ ألف إلزامي).

١ – ١٣ سرب مقاتلات هجوم أرضي.

٢ – سربان يضمان ٤٩ طائرة إف ٤ أ.

٣ – أربعة أسراب تضم ١٠٠ طائرة إف ٥ أ.

٤ – ١٠ طائرات إف ٥ ب.

٥ – سربان يضمان ٣٢ طائرة إف – ث إف ج.

٦ – سربان يضمان ٣٠ طائرة إف – ١٠٤ س.

٧ – ٣ أسراب تضم ٥٠ طائرة إف – ١٠٠ س د – إف

٨ – سرب طائرات اعتراضية يضم ٣٠ طائرة إف – ١٠٤

٩ ٢ طائرات إف ٢ ١ أ

١٠ – سربا استكشاف يضمان ٣١ طائرة أر – إف ٨٥ .

١١ – ٤ طائرات إف ٥ – بي.

١٢ – ٤ أسراب تضم ٧ طائرات س ١٣٠ .

١٣ – ٢٠ طائرة نوع درانزال

١٤ - عدد من طائرات التدريب من مختلف الأنواع.

(نفس المصدر، المركز الدولي للوثائق والدراسات - باريس).

وفيما يتعلق بعدد السكان والدخل القومي للبلدان الثلاثة يقول التقرير:

١ - قبرص:

- عدد السكان ٦٢٥ ألف نسمة

- الدخل القومي الإجمالي ١٥٤ مليون دولار سنة ١٩٧٧ م.

٢ - اليونان:

- عدد السكان ٩،٢٨٠،٠٠٠ تسعة ملايين ومائتان وثمانون ألف نسمة.

- الناتج الإجمالي تقديريا ٢٣،٣ بليون دولار أمريكي سنة ١٩٧٧ م.

٣ - تركيا

- عدد السكان ٤٢،١١٠،٠٠٠ اثنان وأربعون مليونًا ومائة وعشرة آلاف نسمة.

- الناتج القومي الإجمالي ٦٤،٦ بليون دولار أمريكي سنة ١٩٧٧ م.

وبنظرة سريعة ندرك الفوارق الكبيرة في عدد السكان والناتج القومي والمقدرات العسكرية عددًا وسلاحًا، فإذا أضفنا إلى كل هذه المقومات الخبرة في الحرب والسياسة عرفنا نتيجة الحرب أو المواجهة بين الدولتين الأكبر (تركيا واليونان) ولهذا فقد عرفت تركيا واحتلت ما كانت تريد احتلاله، والذي دفع الثمن هو الشعب القبرصي التركي واليوناني دفعه اقتصادًا وأمنًا واجتماعًا، خسر الشعب القبرصي بشكل خاص في هذه الحرب وذلك الانقلاب المشئوم اللذين لا ناقة له فيهما ولا جمل الكثير والكثير فقد خسر المناطق السياحية والصناعية والأثرية وصار يواجه مشكلة اللاجئين ففقد كل شيء وأضافه إلى خيرة رجاله وشبابه بين قتيل ومفقود وعادة فإن الحرب عندما تنتهي أو تقف يبدأ الكل بحساب مقادير الخسارة والربح، ويحدث أن المهزوم هو الذي يقدم التنازل ولو لسنوات ليحافظ على ما بقي

من كرامة وثروة وهي عادة ما تكون قليلة وضئيلة. وربما يمكن القول إن الشعب اليوناني قد كسب جولة الديمقراطية حيث سقط أولئك العسكر الذين جاء بهم انقلاب مأجور، وربما أيضا كسبت تركيا جولة في حرب لم ينتج عنها إلا الكراهية والكثير من التعقيدات وما يمكن أن يتعلل به السياسيون الأتراك وهو الحفاظ على أرواح وممتلكات القبارصة الأتراك التي واجهت الخطر بسبب الانقلاب اليوناني ذاك، وإن كان الشعب القبرصي بجهد وحكمة الرئيس مكاريوس آنذاك قد كسب عطف العالم سياسيًا ولكنه لم يحدث أن أصدر مجلس الأمن الدولي ذلك العدد الكبير من القرارات في أي قضية أخرى غير القضية القبرصية بعد الانقلاب والحرب (لقد أصدر مجلس الأمن واحدًا وعشرين قرارًا أغلبها خلال عشر سنة الأحداث وإن كان بعضها بشأن التجديد لقوات الأمم المتحدة هناك).

بدأت المفاوضات في جولات متعددة ومتعاقبة، وكان على السيد (كلاريدس) أن يواجه السيد (دنكتاش) حيث إن كليهما كان يتحدث باسم طائفته بعد أن كان الكلام بين تركيا واليونان نيابة عنهما وطائفتيهما، وقبل الحديث عن جولات المحادثات تلك ربما يكون مفيدًا أن نعرج على بعض المقترحات الدولية المتعلقة بالطائفتين وقضية قبرص والتي كانت قبل الانقلاب والغزو قائمة ومثارة ومن الغريب أن المناقشات فيها كانت كثيرة وفي كل مرة كان الذي يرفض هو إما تركيا أو اليونان ثم يأتي الموقف الذي تتخذه تبعًا لذلك الطائفة التابعة لهذه أو تلك وهو أمر محير ولابد أنه يعود إلى الثقة المفقودة بين الطائفتين صاحبتي الحق في البلاد (قبرص) ولأن كلتيهما تطلب الحماية من إحدى الدولتين عند الحصر فإن الأمر قد تحول إلى تلكما الدولتين اللتين سلبتا الطائفتين حق القول أو التصرف ولا نقول حق القبول أو الرفض أو التقرير!

يقول مؤلف كتاب (الخلافات الدولية) السيد (دوبيلا) ومعاونه السيد (فريمه) في هذا الشأن ما يلي:

(بعد القتال العنيف الذي حدث بين الطائفتين في ٦ أغسطس سنة ١٩٦٤م

في (كوكينا) قامت تركيا بتوجيه نداء إلى مجلس الأمن في يوم ٧ أغسطس وفي نفس الوقت أرسلت طائرة مقاتلة لإطلاق النار كتحذير، وفي ٨ أغسطس هاجمت تلك الطائرة القوات القبرصية اليونانية وهنا توجه مكاريوس إلى مجلس الأمن بنداء للتدخل في الوضع وفي ٩ أغسطس اعتمد مجلس الأمن مشروع قرار تقدمت به بريطانيا يدعو إلى إيقاف القتال وفي ١٥ أغسطس التقى ممثلون عن الجاليتين ليبحثوا مع ممثل الأمين العام للأمم المتحدة السيد (قالو بلازا) وهو من الإكوادور، وكان هذا ممثلاً للأمين العام منذ شهر مايو وصار وسيطاً منذ شهر سبتمبر وفي تقريره الذي قدمه يوم ٣٠ مارس ١٩٦٥ م نصح قائلاً (إن اتفاق لندن والوحدة مع اليونان أو التقسيم أو الفيدرالية كلها ثبت عدم جدواها وأن أفضل سبيل للطائفتين في الجزيرة أن تستمر في التفاوض إلى أن تجدا حلاً مقبولاً للمشكلة بدلاً من التباحث بنيابة عنهم. ولقد رد مكاريوس وكذلك الحكومة اليونانية بالموافقة في حين أن الحكومة التركية وكذلك الطائفة التركية رفضتا هذه الفكرة وإن كانتا في هذا الوقت قد اعترفتا أن دستور سنة ١٩٦٠ لم يعد صالحاً ويفضل بدلاً منه نوع من الفيدرالية ولكن وفوق كل شيء أصرتا على اتفاق لندن الخاص بالضمان الثلاثي وحق تركيا في التدخل لمصالح الطائفة التركية وأخيراً استقال ممثل الأمين العام السيد (قالو بلازا) وفي مايو سنة ١٩٦٦ م قدم الأمين العام للأمم المتحدة السيد يوثانت بتقديم فكرة إنهاء اتفاقية لندن واستبدال الضمان الثلاثي بضمان من مجلس الأمن لاستقلال قبرص وحماية الطائفة التركية ومع ذلك فإن هذه الفكرة لم تؤد إلى أي نتيجة نظراً للمعارضة العامة لها وخصوصاً من طرف اليونان. وفي مباحثات تركية يونانية جديدة خلال ذلك الشهر لم يحدث أي تقدم، وهكذا كان كل طرف يتمسك بما يراه مناسب له ويرفض غير المناسب من وجهة نظره، وعلى نفس الأساس فشلت جهود ممثل الأمين العام السيد (ساكاري توموجا) وهو من فنلندا عندما عقد اجتماعات مع الأتراك واليونانيين في جنيف، وفشلت جهود وسيط رئيس الولايات المتحدة في ذلك الوقت السيد (ليندون جونسون) عندما أرسل وزير

خارجيته السيد (دين أتشيسون) لأن مكاريوس أدان المشروع الذي تقدم به وزير الخارجية ذاك) انتهى.

ولقد نجح الانقلاب العسكري القبرصي اليوناني في البداية وفشل سريعاً حيث نجح الغزو التركي في تحقيق أغراض تركيا وتعيين كفة الطائفة القبرصية التركية وقبله خرج مكاريوس على إثر الانقلاب من الجزيرة بطائرة بريطانية، وعندما لم يتمكن الحكم العسكري في اليونان من مواجهة تركيا وحماية الجزيرة التي يعتبرها جزءاً من اليونان سقط وجاء بعده السيد (كارامنليس) وهو سياسي كبير ومن أعمدة الديمقراطية في بلد الديمقراطية وفي المقابل تألق نجم رئيس وزراء تركيا آنذاك وإلى حين السيد (بولنت اجاويد) في تركيا وفي الجزء الشمالي من قبرص على إثر نصر عسكري هو الأول من نوعه بالنسبة للجيش التركي في العصر الحديث.

وهكذا انتهى حكم العسكر في اليونان وجاء حكم مدني ديمقراطي وبقيت القواعد العسكرية الأمريكية في اليونان (بمعنى أن ما جاء في تلك المذكرة من الكونجرس قد تحقق وهو ضرورة إنهاء الحكم العسكري من أجل المصالح الأمريكية في شمال البحر الأبيض المتوسط) وبعد الغزو التركي بدعم الحكم المدني في تركيا حيث اعتبر الأتراك السيد (اجاويد) زعيم الحزب الحاكم بطلاً (أي اتاتورك جديد) أو ربما يكون أتاتورك الثاني (ذلك أن الأتراك بطبيعتهم يعشقون الحروب وخصوصاً إذا انتصروا فيها وربما راجع ذلك إلى تراثهم في عهد الإمبراطورية العثمانية) ثم وأخيراً عاد الرئيس مكاريوس رئيساً لجمهورية قبرص رغماً وعنياً وعنلياً ولابد أنه صار يحمل الكثير من الآلام ضد البلد الذي كان يظن عنه أنه (الأم) لكنه مع الأسف لم يعش طويلاً.

بقيت القواعد العسكرية الأمريكية في كل من تركيا واليونان عملاً بنصيحة لجنة تقصي الحقائق في شمال البحر الأبيض المتوسط وشرقه تلك اللجنة التي كان الكونجرس الأمريكي قد كلفها بتلك الدراسة، وراحت أمريكا بعد هذه الأحداث

والتطورات الدولية والداخلية تلعب دور الوسيط بين الجاليتين القبرصيتين حيث قام السيد (فانس) وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بزيارة الشرق الأوسط خلال شهر فبراير ١٩٧٧م ثم جاء بعده المبعوث الأمريكي السيد (كليفورد) الذي زار قبرص في ٢٣ فبراير ١٩٧٧م كما زارها قبل المبعوث الأمريكي السيد (فالدهايم) الأمين العام للأمم المتحدة في ١٢ فبراير ١٩٧٧م ومن هنا نرى أن الوساطات قد بدأت كما بدأت المباحثات، وساطات من أجل الحفاظ على المصالح ومباحثات من أجل الوصول إلى حل أو حلول ربما ترضي هذه الأطراف التي لم ترض عن أي شيء قبل هذه المأساة، مأساة شعب يدفع ثمن التعنت والتعصب والأخطاء أو ربما يمكن القول إنه ليس التعنت فقط وإنما الاستجابة لرغبات أطراف دولية متعددة وأهمها طرفان رئيسيان لهما مصالح ووجود وأعوان هما (الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية) فالولايات المتحدة الأمريكية ترى أن صيانة مصالحها لابد من رعايتها ولو بالدم (ربما في أي مكان من العالم وخصوصا تلك المناطق ذات الأهمية) بينما الاتحاد السوفيتي يرى أن الصراع في هذا البلد (وأيضا لو على حساب البشر) يحقق شرخا وتوترا بين شريكين في حلف غربي يرى أنه يهدد مصالحه ووجوده في العالم (حلف شمال الأطلسي) ومن أثر هذه المتغيرات حلت بالشعب القبرصي محنة (تنطالوس)[1]، على الرغم من أنه شعب منتج وأرضه خصبة معطاءة، وما كان يعانيه الشعب القبرصي نتيجة أخطاء السياسيين وتعصب بعض القوميين وتعنت أكثر العسكريين لم ينته بعد عودة الرئيس مكاريوس، هذا الرجل الذي مارس السياسة والدين وجمع بين الدولة والكنيسة وقد حظي بحب وتأييد القطاع الأكبر من مواطنيه ربما بشكل لم يحدث قبله ولا حدث في مكان آخر لرجل يجمع بين الدين والسياسة، وأذكر أنه في أحاديثه الخاصة كان لا يميز ولا يفرق بين القبرصي اليوناني

١) محنة تنطالوس في أوديسة هوميروس تقول:
وقع تنطالوس في محنة شديدة إذ كان واقفا في حوض يقترب ماؤه عند ذقنه ولكنه إذا ما اشتد به العطش وأراد أن يشرب لم يتمكن من ذلك لأن الماء كان يختفي كلما انحنى ليشرب وتظهر الأرض تحت رجليه وكانت تتدلى فوق رأسه أشجار شهية الثمر مثل الكمثرى والرمان والتفاح بهيجة للناظرين وكذلك التين الحلو والزيتون ولكنها كانت كلما مد يده نحوها تحملها الرياح بعيدا حتى أنها كانت تصل بها إلى السماء.

والقبرصي التركي، ومما أذكره في هذا الشأن أن الحكومة الليبية قد قررت ذات مرة إقامة مركز ثقافي إسلامي وتوابعه في أرض تشتريها السفارة الليبية آنذاك في الجانب التركي وعندما شرع في البناء بدأت الضجة والمظاهرات والتهجم والاتهام، كتابات صحفية وتعليقات إعلامية وغير ذلك فكان أن طلبت مقابلته لأشرح له الغرض من إقامة ذلك المركز الإسلامي في المنطقة التركية أي (بالجانب التركي من مدينة نيقوسيا) وما سمعت منه إلا القول (إن هذا شعبي وذاك كذلك ولا فرق بينهما) ثم علق ضاحكا بالقول (من طبيعتك أنك إذا أعطيت القبرصي اليوناني ٩٩٪ وأعطيت القبرصي التركي ١٪ فإن القبرصي اليوناني ينسى الـ ٩٩٪ ويحتج على الـ ١٪) وكرر القول (بالنسبة لي فإن الكل قبارصة) ولقد كانت لي علاقة جد حميمية مع الرئيس مكاريوس وكنت ألتقيه كلما رغبت ذلك وأشهد له بالكثير من المواقف النبيلة تجاه قضيتنا العربية (القضية الفلسطينية) وكانت له دائما أحاديث وذكريات جميلة عن الرئيس جمال عبد الناصر وأياديه البيضاء (رحمهما الله) وقد يأتي الظرف المناسب للحديث عن تلك الأمور بتفصيل لأن بعضه ما زال من أسرار الوظيفة.

كان الرئيس مكاريوس رجل دين ودولة يدرك كبر وأهمية رسالته لدى الشعب القبرصي لكنه في الواقع لم يستفد من ذلك الرصيد الكبير بحيث يعلن على الملأ (أن لا وحدة وإنما نعم للاستقلال) ذلك أن قبرص لن تكون إلا للقبارصة أتراكا ويونانيين وربما لم يساعده أيضا أولئك الساسة الأتراك في الجانب الآخر الذين كانوا يظهرون الكثير من الغطرسة ربما لأنهم لا يريدون حلا للمشكلة التي يستفيدون منها ليلا ونهارا أو ربما سيطرت عليهم عقد الماضي والخوف من تكرر المآسي. لم يقل الرئيس مكاريوس ذلك في نفس أبدا رغم إيمانه به (ربما) لأنه كان يخشى القوى المعارضة أمثال بعض أعضاء منظمة إيوكا، وكان المتطرفون يرفضون رفع العلم القبرصي وبدلا منه يرفعون العلم اليوناني على المباني الحكومية وحتى على مقدمة سيارة الرئاسة وفي المناسبات والأعياد كانوا يرفعون أعلاما يونانية كبيرة على بيوتهم ومحالهم، وهذا الشيء دفع بالقبارصة الأتراك إلى رفع العلم

الشركي (ذلك أن التحدي يقابل عادة بالتحدي) والمثل العربي يقول: (العناد يولد الكفر) ولقد كان الرئيس مكاريوس يدرك تماما الخطر الذي يمثله التدخل اليوناني في بلاده ومصيرها وكان كذلك يعرف أن منظمة (أيوكا - ب) أي الثانية والتي ظهرت بعد الاستقلال مدعومة من النظام العسكري في أثينا كما كان ينتظر الفرصة المناسبة للتخلص من الضباط اليونانيين العاملين في الحرس الوطني القبرصي والقضاء على تلك المنظمة ولكن كما يقال (تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن) ولقد كانت الرياح كلها ضد رغبته، الرياح الآتية من أثينا والأخرى المنبعثة من أنقرة والزوابع التي تثار من الداخل (في قبرص) نتيجة لتلك الرياح الآتية من كل جانب وهي عاتية (ومكاريوس بطبيعته كرجل دين يتحرك ببطء ولا يتخذ أي إجراء إلا بعد تأن ودراسة وهذه أحيانا تكون مضرة) وهذا ما نجده في تلك الرسالة الهامة والبليغة التي وجهها إلى الجنرال (جيزيكس) الرئيس اليوناني آنذاك والحاكم العسكري والتي نورد جزءا منها هنا تأكيدا لما نقول وكانت قبل الانقلاب مباشرة وعندما توفرت لديه المعلومات المخابراتية، تقول الرسالة

(نيقوسيا في ٢ يوليو ١٩٧٤م)

السيد الرئيس إنه مع عميق الأسف أن أجد نفسي مضطرا لإبلاغكم عن أسباب وحقائق غير مقبولة والتي أرى أن الحكومة اليونانية مسئولة عنها، ذلك أنه منذ وصول الجنرال (قريفاس) السري إلى قبرص خلال شهر سبتمبر ١٩٧١م تواترت شائعات وهناك عدة مؤشرات تؤكد أن مجيئه إلى قبرص كان بتشجيع من بعض الدوائر في أثينا منها أنه منذ الأيام الأولى لمجيئه إلى قبرص كان على اتصال مع ضباط يونانيين يعملون في الحرس الوطني وهم الذين يقدمون له المساعدة والمساندة في محاولاته من أجل تكوين منظمة غير شرعية بادعاء النضال من أجل الوحدة ولقد تكونت منظمة إجرامية (أيوكا - ب) وهي التي كانت سببا ومصدرا للعديد من الأمراض لقبرص وإن نشاطات هذه المنظمة التي كانت تحت ادعاء الوطنية وشعارات الوحدة قد ارتكبت اغتيالات سياسية والكثير من الجرائم الأخرى

المعروفة لديها جيدا ولقد كان الحرس الوطني الذي يقوده ويشرف عليه ضباط يونانيون منذ البداية المورد الأساسي (لأيوكا ب) بالرجال ولقد نت هذه المنظمة التي يقوم أعضاؤها بأعمال مشينة ويسمون أنفسهم وطنيين ومجاهدين للوحدة وفي كثير من المناسبات كنت أفكر في سؤال يقول (ما فائدة منظمة غير شرعية مجرمة تحت الانقسام والتوتر الداخلي وتجعل الجبهة الداخلية تختنق وتدفع القبارصة اليونانيين إلى الحرب الأهلية في قبرص؟) الشيء الذي يجد التأييد من طرف الضباط اليونانيين العاملين في الحرس الوطني وتساءلت في كثير من الحالات كما فكرت فيما إذا كان هذا العمل موافق عليه من جانب الحكومة اليونانية وتجول في ذهني أفكار ووقائع ومؤشرات تدفعني إلى الاقتناع بوجود جواب منطقي لشكوكي وتساؤلاتي، ومن الطبيعي أنه لا يمكن أن يقوم أي جواب مدعوم بأسس منطقية إلا على أساس تأييد ومساندة الضباط اليونانيين لمنظمة غير شرعية هي (أيوكا - ب) وهذا يكون في الواقع حقيقة لا يمكن إنكارها كذلك فإن معسكرات الحرس الوطني والمناطق القريبة منها ترتفع شعارات مؤيدة لقريفاس ومنظمة أيوكا ب، وهي ضد الحكومة القبرصية وبشكل خاص ضد شخصي في حين أن الضباط اليونانيين يقومون بالدعاية داخل معسكرات الحرس بشكل علني، كذلك فإنه من المعروف والمعلن ولا يمكن إنكاره كون الصحافة المعارضة التي تؤيد (أيوكا ب) ونشاطاتها تمول من طرف أثينا وهي توجه وتحصل على معلوماتها من أشخاص منتسبين في المكتب وهيئة الأركان ومكتب المعلومات الرئيسي اليوناني في قبرص، والواقع أنني كلما أرسلت شكوى إلى الحكومة اليونانية عن اتجاهات ومواقف وتصرف بعض الضباط اليونانيين أتلقى الرد الذي يقول إنني لا يجب أن أتردد في الإبلاغ عن أسماء ذلك النوع من الضباط مع إيضاح الاتهامات ضدهم بحيث يمكن إعادتهم من قبرص ولقد قمت بذلك خلال مناسبة واحدة رغم أن ذلك لا يسعدني لأن الشر لا يمكن التعامل معه بتلك الطريقة والمهم معرفة ذلك الشر وعمقه وكيفية التعامل معه ومنه، وبكل بساطة يؤسفني أن أقول للسيد الرئيس، إن جذور الشر عميقة جدا وهي تمتد إلى أثينا ومن هناك تتغذى ومن

هناك تنمو كشجرة شر وهي التي يحرق ثمارها أمره المعارضة اليونانيون اليوم. ومن أجل أن أكون أكثر وضوحا وتحديدا، لابد من أذكر أن عناصر من النظام العسكري اليوناني يؤيدون ويوجهون الأنشطة الإرهابية لمنظمة (أيوكا ب) وهذا يبينه اشتراك الضباط اليونانيين في تلك العمليات غير الشرعية و المؤامرات والأوضاع غير المقبولة. إن الأدلة الدامغة لهذا الدور النظام العسكري توجد بالوثائق التي ضبطت في حيازة أشخاص قياديين في منظمة (أيوكا ب)، إن الأموال الكثيرة التي ترسل من المركز الوطني لتمويل احتياجات هذه المنظمة معروفة. ولقد حدث أنه بعد وفاة قريفاس واستدعاء المرتد (كاراسوس) الذي كان قد جاء معه صدرت الأوامر بشأن قيادة المنظمة، وعموما فإن كل الأنشطة تأتي من أثينا وليس من الممكن الشك في صحة هذه الوثائق ذلك أن في طياتها بعض التصحيحات بخط اليد وكتابة الذي أصدرها معروفة جيدا (أرفق إليكم كمثال على ذلك واحدة من هذه الوثائق. انتهى الجزء الأول من الرسالة)

وكانت فرصة الرئيس مكاريوس التي استخدمها بشكل مثير ومؤثر قد جاءت مباشرة عندما يخرج إلى الأمم المتحدة بعد الانقلاب عليه فألقى خطابا ملمح بكل ما كان يمور في وجدانه من مرارة وألم وبطر، لطول الخطاب فإننا نلخص منه بعض الفقرات (ويجده القارئ الكريم في ملاحق الكتاب)

مجلس الأمن الدولي، نيويورك، ذلك كان المسرح.

بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٧٤م كان الزمان و الحدث يظهران ممثلين في ملامح وجه الرئيس مكاريوس الرجل الذي كان يشوشا ثم الابتسام سماحة وتسامح رجل الدين يحكمان تصرفه وحتى حركة يديه وتلك الصلبان المتدلية على صدره، يتحدث رئيس مجلس الأمن في تلك الدورة فيقول إن مجلس الأمن سوف يستمر في النظر للبند الذي على جدول أعماله و ما لأن أتشرف بأن أعطي الكلمة إلى صاحب الغبطة الأسقف مكاريوس رئيس جمهورية قبرص.

الرئيس مكاريوس: إنني أعرب عن شكري لأعضاء مجلس الأمن على اهتمامهم البالغ الذي أظهروه في الظروف العصيبة التي طرأت في قبرص بعد

الانقلاب الذي نظمه الحكم العسكري اليوناني ونفذه الضباط اليونانيون العاملون في قيادة الحرس الوطني القبرصي (أستعمل تعبير عصابة العسكر في اليونان) وأنا ممتن جدا إذ وافق مجلس الأمن بشكل خاص على تأجيل اجتماعه حتى أحضر إلى هنا ليتيح لي فرصة التحدث عن المأساة و تحدث المدوى الذي حل بقبرص حاليا، وما حل في قبرص منذ صباح يوم الاثنين الماضي إنما هو كارثة حقيقية ذلك أن الحكم العسكري في اليونان قد انتهك بشكل فاضح استقلال الجمهورية القبرصية، والحقيقة أنه منذ بعض الوقت كان توجههم واضحا. ولقد قام الحكم العسكري في اليونان بتوسيع دكتاتوريته إلى قبرص وكان الشعب القبرصي يدرك منذ مدة أن الانقلاب الذي يعد من طرف الحكم العسكري في اليونان صار يصنع وهذا الشعور صار يتعمق خلال الأسابيع الماضية عندما حدث وحددت المنظمة الإرهابية (أيوكا ب) التي تستقر جذورها غير الشرعية في أثينا وتحصل على تمويلها من هناك وكنت على بينة أن الضباط اليونانيين الذين يعملون في الحرس الوطني القبرصي كانوا يجندون أعضاء لهذه المنظمة وكانوا يساعدونها ويوفرون لها السلاح والعتاد من مخازن الحرس الوطني، وكانوا في معسكرات الحرس الوطني يقومون بالدعاية علنا لصالح المنظمة غير الشرعية وقد حولوا الحرس الوطني من أداة مسئولة إلى أداة للتمرد، وعندما كنت بين وقت وآخر أشكو هذه التصرفات إلى أثينا التصرفات التي يقوم بها الضباط اليونانيون بين أفراد الحرس الوطني - كان الرد يجيء دائما إنه إذا توفر لدى البرهان المؤكد فإن أولئك الضباط الذين يثبت أنهم مذنبون سوف ينقلون وكنت من خلال كل تصرفاتهم أصل إلى الموقف الذي لا خطأ فيه وهو القائل إن أولئك الضباط أبرياء (هذا من طرف أثينا) ومنذ أيام وصل إلى سلطات الأمن القبرصي عديد من الوثائق تدل على أن منظمة (أيوكا ب) هي دليل للنظام العسكري في أثينا ذلك أن أموالا كانت تحول من أثينا لأعمال هذه المنظمة وأن تعليمات محددة من أجل عملياتها كانت تعطى لها. ومن هنا رأيت أن أوجه رسالة إلى رئيس النظام العسكري اليوناني الجنرال (جيزيكس) طالبا منه أن يصدر تعليماته لإيقاف الشغب وإراقة الدماء التي تحدث بعمل منظمة أيوكا هذه وطلبت

منه أن يستدعي الضباط اليونانيين العاملين في الحرس الوطني القبرصي مضيفا إلى ذلك رغبتي في تعيين عدد هذه القوة وجعلها أداة للدولة القبرصية، وكان طبيعي أن النظام العسكري اليوناني لا يرغب في تخفيض تلك القوات ناهيك عن سحب الضباط اليونانيين وقد طلب السفير اليوناني في قبرص مقابلتي ليشرح أن تقليل من القوات أو سحب الضباط اليونانيين سوف يضعف القدرة الدفاعية لقبرص في حالة الخطر من طرف تركيا وكان هذا الأمر على الرغم من وجاهته غير مقنع لأنني كنت أعرف أن وراءه أغراضاً خفية وقد رددت عليه أنه بناء على تصورات فإنني أرى أن الخطر من تركيا أقل بدرجات من خطر هؤلاء الضباط ولقد تأكد أن مخاوفي كانت حقيقية، ففي ١٢ يوليو عقد مؤتمر برئاسة الجنرال (جيزيكس) في أثينا استمر لعدة ساعات وحضره رئيس أركان القوات المسلحة اليونانية والسفير اليوناني في قبرص وقائد الحرس الوطني القبرصي وعدد آخر من الرسميين وكان الغرض من ذلك هو البحث في الرد على رسالتي وكما اتضح من بيان بهذه المناسبة صدر في نهاية المؤتمر أن مؤتمراً آخر سينعقد في يوم ١٥ يوليو، ولقد كانت الإشارة عن عقد المؤتمر مرة أخرى خادعة. وبينما كنت أنتظر رداً على رسالتي يوم الإثنين ١٥ يوليو جاء ذلك الرد وكان انقلاباً عسكرياً، وفي ذلك اليوم رجعت من بيتي الصيفي في جبال ترودوس حيث كنت أقضي عطلة نهاية الأسبوع وكنت عند الساعة الثامنة صباحاً في مكتبي بالقصر الرئاسي وبعد ذلك بفترة نصف ساعة كنت أستقبل مجموعة من الشباب و شابات أعضاء الجالية الأرثوذكسية في القاهرة الذين جاءوا إلى قبرص في ضيافتي لعدة أيام وبينما كنت أرحب بهم بدأت تسمع أولى القذائف ثم تتابع القصف وأبلغني الحرس الرئاسي عن عربات مصفحة ودبابات قد دخلت ساحة القصر الذي كان يهتز من جراء القصف وسرعان ما تعقد الموقف وقد حاولت أن أتصل بالإذاعة لعرض إصدار بيان فاكتشفت أن خطوط الهاتف قد قطعت. انتهى.

ويستمر الرئيس مكاريوس في سرد قصة الانقلاب وكيف استطاع الإفلات حيث غادر القصر الرئاسي من طريق قال إنه سري خلف القصر وكيف وصل إلى

مدينة (بافوس) وهي مسقط رأسه ومقر مؤيديه وأنصاره من القبارصة اليونانيين، ونظراً إلى أن الخطاب طويل فإننا نكتفي بعدة ملاحظات على ما جاء فيه ويجد القارئ الكريم نصه مترجماً ضمن ملاحق الكتاب والملاحظات هي:

١- أن الرئيس مكاريوس اتهم علناً وبوضوح الحكم العسكري اليوناني لدى وصفه بالدكتاتورية بتدبير الانقلاب عليه وردد ذلك عدة مرات في خطابه ذاك

٢- يصف منظمة (إيوكا ب) بالإرهاب علماً بأن (إيوكا ١) قد ناضلت من أجل الاستقلال التام لقبرص وكان مكاريوس مرشدها الروحي بينما كان قائدها العسكري الضابط المتقاعد (قريفاس) والذي صار يوصف بلقب (الجنرال) كما ورد سابقاً فمكاريوس يصف هذه المنظمة التي ظهرت بعد الاستقلال واتسمت بذلك الاسم على اعتبار أنها نسخة ثانية من إيوكا الأولى على أنها إرهابية وغير شرعية (وهي فعلاً كذلك) ولقد كانت هي وقائدها ضد مكاريوس وضد الاستقلال، ولذلك فإن مكاريوس يتهمها بإثارة الشغب والإرهاب ويقول إنها ذيل للحكم الدكتاتوري في أثينا

٣- يقول في واحدة من فقرات الخطاب ما نصه: (قد يقال إن حكومة قبرص هي التي استدعت الضباط اليونانيين ليقودوا الحرس الوطني القبرصي وإنه ليؤسفني أن أقول إنه كان خطأ مني أن وضعت فيهم الكثير من الثقة وتوقع الصداقة. وقد أساءوا استغلال تلك الثقة والأمانة فبدلاً من أن يساعدوا في الدفاع عن استقلال الجزيرة وسيادتها ووحدة أراضيها أصبحوا هم أنفسهم المعتدين وأنا مجبر على القول إن سياسة النظام العسكري في أثينا تجاه قبرص وخصوصاً القبارصة اليونانيين لم تكن صادقة وإنها كانت سياسة مخادعة (ونلاحظ هنا مرارة التعبير).

وشدد مكاريوس في ذلك الخطاب على كلمة (الاستقلال) استقلال قبرص ووحدة أراضيها مما يعني أنه كان على قناعة بأنه لا حل لمشكلة قبرص إلا بالاستقلال، أي أنه صار ضد الوحدة وهو بالتأكيد ما كان يضمره أي أنه أصلاً لم يكن يرى إمكانية تحقيق مطلب تلك الوحدة وإن لم يعلن ذلك لأسباب كثيرة وربما

كان ينتظر الوقت المناسب (والمقصود هنا بالوحدة هي وحدة قبرص مع اليونان) وهو ايضا بالتأكيد كان يدرك ان ثمة شيء لا يقبل بها لأنه ليس يونانيا أو لا يقبل ان يكون يونانيا وإن قبل بأن يكون قبرصيا

وبعد انتهاء مكاريوس من خطابه امام أعضاء مجلس الأمن الدولي اعطيت الكلمة لممثل اليونان الذي كان عليه أن يرد مدافعا عن موقف حكومته ولكنه بدلا من الرد اندفع يتهم الرئيس مكاريوس بالدكتاتورية وحكم الفرد وقتل الخصوم والتآمر (الشيء الذي كان مضحكا ومبكيا في نفس الوقت لأنه بذلك كما لو كان يصف نظام حكم بلاده وليس مكاريوس) وهذا مقتطف من الكلام الذي ورد في خطابه والذي لم يقابل إلا بالامتعاض من المستمعين (قال ممثل اليونان ويدعى بانوتاكوس سيدي الرئيس إنني أولا أود أن أشكركم على جعل حديثي ممكنا بحضوري اليوم أمام هذه الجلسة إنه في الحقيقة صدفة ذلك أننا في انتظار ممثل اليونان الدائم الجديد، وأنا أشعر مع ذلك بسعادة أن أكون مرة أخرى بين أصدقاء ورفاق قدامى، على الرغم من حقيقة أن هذا الحضور جاء في وقت مؤلم وخبرتي في ذلك كسفير سابق في قبرص تمكنني من أن أقدم حقائق مؤكدة أدت إلى الحالة الراهنة في هذه الجزيرة .. انتهى المقتطف من خطاب المندوب اليوناني..

ولقد حاول هذا المندوب الدفاع عن موقف بلاده إلا أنه كان عصبيا وقد صب جام غضبه على مكاريوس متهما إياه بالقتل والغدر ونكران الجميل بينما كان مكاريوس يجلس هادئا دون أن يظهر عليه أي تأثر او قلق مما يسمع لأنه ربما كان يعرف تماما أثر حديثه على أعضاء مجلس الأمن الدولي وبعد أن انتهى مندوب اليونان من الخطاب تحدث أعضاء المجلس كل حسب وجهة نظر بلاده، وانتهى المجلس إلى إصدار قرار كان نصه كما يلي :

قرار مجلس الأمن رقم ٣٥٣ لسنة ١٩٧٤م..

عقد مجلس الأمن في اجتماعه رقم ١٧٧٩ الذي عقد بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٧٤م القرار التالي ورقم ٣٥٣

مجلس الأمن، تدارس تقرير الأمين العام في جلسته رقم ١٧٧٩ عن التطورات الحالية في قبرص، وقد استمع إلى خطاب الرئيس مكاريوس وكلمات ممثلي كل من قبرص وتركيا واليونان وبلدان أعضاء أخرى، وتدارس في اجتماعه الحالي تطورات أخرى في الجزيرة وحزن بعمق على انفجار الصراع واستمرار سفك الدماء ويهمه كثيرا بشأن الوضع الذي أدى إلى تهديد حقيقي للسلام والأمن الدوليين والذي خلق وضعا متفجرا جدا في كل منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط ويهتم بالمثل بضرورة إعادة الوضع الدستوري في جمهورية قبرص الذي أقيم وضمن باتفاقيات دولية مذكرا بقرار مجلس الأمن رقم (١٨٤ / ١٩٦٤م) المؤرخ في ٤ مارس ١٩٦٤م وقرارات مجلس الأمن المماثلة في هذه المسألة والمسئولية الأساسية في حفظ السلام والأمن الدوليين طبقا للمادة ٢٤ من ميثاق الأمم المتحدة..

١ - يطلب من كل الدول احترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي قبرص

٢- يطلب من كل الأطراف في القتال الجاري حاليا كخطوة أولى إيقاف كل قتال ويطلب من كل الدول أن تمارس أكبر قدر من المسئولية وأن تمتنع عن أي عمل قد يؤدي إلى زيادة تعقيد الوضع.

٣- يطلب نهاية فورية للتدخل أي تدخل أجنبي في جمهورية قبرص مما يخالف نص الفقرة (١).

٤ - يطلب الانسحاب بدون إبطاء لكل العسكريين الأجانب من قبرص من غير أولئك الذين نص عليهم في اتفاقيات دولية بما في ذلك أولئك الذين طلب سحبهم الرئيس مكاريوس رئيس جمهورية قبرص بموجب رسالته في ٢ يوليو ١٩٧٤ م

٥- يطلب من اليونان وتركيا والمملكة المتحدة العظمى أن يدخلوا في مفاوضات بدون إبطاء من أجل إعادة السلام في المنطقة والحكومة الدستورية لقبرص على أن يجعلوا السكرتير العام على علم.

٦ - يطلب من كل الاطراف التعاون الكامل مع قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة لتمكينها من القيام بالواجب الذي فوضت به

٧- قرر أن يبقى الوضع تحت المراقبة والملاحظة الدائمة ويطلب من الأمين العام أن يبلغ عن وجهات النظر في الوقت المناسب بحيث يمكن اتخاذ إجراء لتأمين الظروف السلمية الكامنة والحفاظ عليها. انتهى.

كان ذلك قرار مجلس الأمن الدولي الذي صدر بعد الانقلاب على نظام الرئيس مكاريوس و القرار صدر بعد أسبوع فقط من تاريخ الانقلاب والواقع أن المجلس قد استجاب لمطلب الرئيس مكاريوس وتعاطف مع الوضع الذي يعيشه الشعب القبرصي ومن الملاحظ أن المندوب التركي كان أكثر المؤيدين والمتحمسين لموقف الرئيس مكاريوس، وبذلك بطبيعة الحال أسباب معروفة وهي تنسجم مع الموقف التركي في ذلك الظرف، إذ إن الهجوم على اليونان من طرف الرئيس مكاريوس يقوي الموقف التركي من القضية ككل ويباعد بين الطرفين (اليوناني والقبرصي اليوناني) ويجعل مطلب الوحدة مع اليونان موضع شك و يتعامل مع الحكومة اليونانية موضع ريبة ليس في مجلس الأمن فقط ولا كذلك مكاريوس وحده وإنما أغلب فئات الشعب القبرصي ولابد أن اليونان ستقف موقف العداء من الرئيس مكاريوس وذلك ما فعله بكل عداء المندوب اليوناني لدى الأمم المتحدة الذي هاجم الرئيس مكاريوس بدلا من أن يتحدث عن قبرص وشعبها وما يمكن أن يصيبه نوع من المعاناة أو حتى عن فكرة الوحدة إذا أمكن تحقيقها سلميا مع أنه كان يمكن الاعتراف بخطأ القيام بمثل ذلك الانقلاب المبين بحيث ربما يكسب بعض التعاطف، لكنه لم يفعل وهكذا كان موضع حرج، كذلك أسعد الوفد التركي ذلك الهجوم الشديد الذي قام به الرئيس مكاريوس على منظمة (يوكا ب) على اعتبار أن ذلك يؤكد اتهام تركيا للجانب اليوناني وتلك المنظمة التي تعتبرها تركيا سبب معاناة القبارصة الأتراك ومشاكلهم بل إنها سبب التقاتل الذي حدث بين الطائفتين منذ ما بعد الاستقلال مباشرة، ونجد السيد (غلافكوس كلاريدس) الرئيس الحالي لقبرص يتحدث عن الوضع في مذكراته التي صدرت أخيرا على النحو التالي :

(تحت عنوان مكاريوس في مجلس الأمن الدولي يوم ١٩ يوليو ١٩٧٤ م يقول:

في الصباح الباكر من يوم السبت ١٩ يوليو أبحر الغزو البحري التركي المسمى (أرمادا)[١]، من تركيا إلى قبرص طبقًا لأوامر صدرت من (أتشافيد)[٢]، من مقر السفارة التركية في لندن في تمام الساعة الحادية عشرة صباحا يوم ١٨ يوليو وبينما كانت قوات الغزو التركي تبحر في اتجاه قبرص كان مجلس الأمن الدولي يجتمع في نيويورك والأسباب ليس للنظر في منع الهجوم التركي على قبرص وإنما لبحث الاتهامات من طرف مكاريوس لليونان والتي كانت تقول إن الحكم العسكري اليوناني قد خرب النظام الدستوري في قبرص المضمون من طرف تركيا واغتصب استقلال قبرص وهذا أيضا مضمون من طرف تركيا ووضع سلامة الطائفة القبرصية التركية في خطر كما مد الدكتاتورية اليونانية إلى قبرص، ولو احتاجت تركيا إلى أي عذر لتبرير حملتها العسكرية ما كان يمكن أن تجد أحسن من هذا الكلام الذي توفر لها أثناء مناقشة مجلس الأمن الدولي، ومكاريوس بالتأكيد لم يعلم أنه في الوقت الذي كان يتحدث فيه أمام مجلس الأمن الدولي أن (الأرمادا) قد أبحرت كما أن الادعاء بأن الغزو قد أمر به بعد مناقشة مجلس الأمن الدولي كان صحيحا أو أنه حدث بعد أن شجع عليه ما قاله مكاريوس، وبما أن الأمر للقوات بالتوجه إلى قبرص كان قد أعطي في الليلة السابقة لبزوغ شمس يوم ١٩ يوليو ومن الناحية الثانية فإن الحكم العسكري في اليونان كان قلقا من الاتجاه و المطالب التركية والمساعدة التي أبدت الولايات المتحدة رغبتها في القيام بها فقد كان (سيسكو)[٣] في أثينا يوم ١٨ يوليو وأوضح للنظام العسكري اليوناني نية تركيا في التدخل العسكري في قبرص وشروط تركيا كيلا تتدخل كما أبدى رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في المساعدة لحل الأزمة، وكان يمكن للنظام العسكري اليوناني أن يوافق على استدعاء الضباط الذين قاموا بالانقلاب بأمر (سمبسون)[٤] بالاستقالة ويسمح بعودة مكاريوس، وكان يمكنه أن يقول (نعم) للمباحثات مع تركيا، وهكذا كان

(١) الاسم الكودي الذي أعطي للحملة البحرية
(٢) بولنت أتشافيد (أجاويد) رئيس وزراء تركيا وقتئذ .
(٣) جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت
(٤) سمبسون هو نيكوس سامبسون الذي عينه الانقلابيون رئيسا لقبرص

يمكنه أن يجنب قبرص الغزو ويوقف بذلك البواخر التي كانت تمخر عباب البحر إلى قبرص ويبقيها في المياه التركية خصوصا أن النظام العسكري اليوناني لم يكن قادرا على منع الغزو ولا كان جاهزا للمقاومة، ولو كان ذلك قد حدث فإن قبرص كانت قد تفادت الغزو ونتيجة الاحتلال، ولسوء الحظ فإن واحدة من معطلات الجنس اليوناني أنه كان هنالك صراع داخلي وبرغم فإن كراهية عظيمة تتولد وبوجه بواسطة الأطراف المتقاتلة بعضها نحو البعض الآخر إلى حد أن كل الأخطار الخارجية أو هذه جميعها تفقد كل التفكير المنطقي. ولسوء الحظ أن التعصب الأعريقي المدمر للنفس والكراهية لم يكونا غائبين يوم ١٩ يوليو ١٩٧٤م ولم يتوقف أي طرف يفكر بهدوء ومنطق ولو فعلوا حتى بدون توفر المعلومات، وهي على أي حال كانت متوفرة كان يمكن أن يصلوا إلى نتيجة أن الغزو التركي قد تقرر ولم تبذل أي محاولة لا من طرف صريح (مكاريوس) ولا لفطن (النظام اليوناني) ليوقفوا بكمائهم فقد استمر مكاريوس في انتقاداته ضد الحكومة بشأن التدخل اليوناني في قبرص وتأثيره على النظام الدستوري واستقلال قبرص وسلامة الطائفة القبرصية التركية كما استمر هجوم ممثل اليونان السيد (بابابوناكوس) على مكاريوس بكلام متهما إياه بأنه حكم مطلق ونظام فاسد سيئ السمعة يستخدم التعذيب لقهر معارضيه السياسيين، ولقد عماهم التعصب ضد بعضهم حتى أن الوفد القبرصي والوفد اليوناني اشتبكا في معركة بالأيدي وظهروا بالكامل غافلين عن الخطر القاتل الذي تواجهه قبرص بل إنهم فشلوا في أن يدركوا الموقف الحقيقي من خلال اتجاه الوفد التركي الذي أبدى استمرار الوفد معتمدا لدى الأمم المتحدة والذي كان قد ألقى خطابه (سسميسوي) وقد أيد كذلك المندوب التركي حق مكاريوس في التحدث إلى مجلس الأمن وعموما فإن تأييد الوفد التركي لموقف قبرص كان إلى الحد الذي جعل السيد (زينون روسيدس) المندوب القبرصي يعرب عن شكره للممثل التركي الدائم على كفاءته وهو السيد (؟وكاي) و لدي من المؤكد أنه كان يفعل ذلك بتعليمات من أنقرة و حقيقة أن تركيا قد أعطت الحبل لتشنق به أنفسنا لأننا فقدنا الرؤية بالكامل في غضب المعركة اليونانية الخاصة (انتهى) كان هذا ما ذكره السيد

فلافكوس كلاريدس عندما تحدث عن تلك المرحلة في مذكراته وهو في الواقع محق فيما ذهب إليه لأن الانقلاب على الرئيس مكاريوس كان بفعل الحكومة اليونانية والضباط اليونانيين سواء كانوا حاكمين في نيقوسيا أو أولئك الذين كانوا يقومون بقيادة وتدريب الحرس الوطني القبرصي، وكان محقا كل الحق في اتهامه النظام العسكري في اليونان وأولئك الضباط كان السيد كليريدس (وهو السياسي المخضرم) على صواب عندما قال إن النظام العسكري اليوناني لو قبل بالوساطة الأمريكية ووافق على المطالب التركية لكان جنب قبرص الغزو والاحتلال وذلك حقيقة ولكن الحقيقة الأكبر أن أولئك العسكر هي أنهم كانوا جزءا من اللعبة الدولية التي تقرر أن تكون قبرص ضحيتها، كذلك ربما لم يكن السيد كليريدس يعلم أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد قررت التخلص من أولئك العسكر المتطرفين الذين جعلوا الوجود الأمريكي غير مرغوب فيه والمصالح الأمريكية في منطقة البحر الأبيض المتوسط مهددة وفي خطر (وذلك ما جاء في تقرير لجنة تقصي الحقائق التي كلفها الكونجرس الأمريكي بذلك العمل وأشرت إلى ذلك فيما سبق) وعلى هذا الأساس فإن إمكانية سحب الضباط اليونانيين من الحرس الوطني غير واردة وكذلك إعادة الرئيس مكاريوس أو قبول الشروط التركية، وهذا مما يؤكد تورط الحكم العسكري اليوناني في المؤامرة دون أن يدرك أولئك الضباط أن المقصود هو نظامهم وليس غيره وبعد أن لقاءات ومشاورات قبل الغزو مباشرة وبعد الانقلاب بيوم واحد قد جرت ولم يكن الرئيس مكاريوس قد تمكن من الخروج بعد ومن خلال تلك المشاورات نفهم أن تركيا كانت مصممة في شخص رئيس وزرائها السيد (أجاويد) على التدخل لحماية الطائفة التركية القبرصية وإعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل الانقلاب ومنع الاحتلال بالتوازن القائم في قبرص سياسيا وعسكريا وهذا الموقف التركي تكرر وحدث عدة مرات لأنه من المعروف والمعلوم أن تركيا لن تسمح بالوحدة مع اليونان أو السيطرة اليونانية على الجزيرة وبعد أن نجحت صار لها أن تفرض شروط المنتصر وحتى بعد سقوط الحكم العسكري وعودة الشرعية في قبرص وبعد سنوات من ذلك الانقلاب والغزو وتطور

لأحداث نرى أن أزمة جديدة وحادة تظهر مجددا وفي هذا الوقت الذي يعد فيه هذا الكتاب أي (١٣/ ١/ ١٩٩٧م) هذه الأزمة تمثلت في إعلان الحكومة القبرصية أنها قد وقعت اتفاقا مع روسيا لشراء صواريخ مضادة للجو بعيدة المدى، وبعد الإعلان قد هددت تركيا بالتدخل العسكري لمنع نصب هذه الصواريخ في قبرص لأنها كما قالت ترى أنها تخل بالتوازن العسكري القائم وهو الأمر الذي لا يمكن أن تسمح به، وبنفس الطريقة أبدت الولايات المتحدة الأمريكية استعدادها للتوسط وأرسلت مبعوثا لبحث الوضع حيث زار كلا من اليونان وقبرص ولا نشك مطلقا في أن تركيا ستفعل ما تعتقد أنه رادا إذا لم تتراجع الحكومة القبرصية عن شراء تلك الصواريخ وإن كنا نعتقد أن الصفقة أساسا ربما تمت فقط من أجل تحريك القضية إذ لا أحد يمكن أن يشك ولو لحظة واحدة أن تركيا يمكن أن تسكت على ذلك. على أن الأمر حتى لو كان من أجل تحريك القضية فهو بالتأكيد خطأ في التقدير لأن آثاره ستكون شديدة على قبرص وخصوصا من الناحية السياسية..

وربما يكون مفيدا أن نعود قليلا إلى موقف الولايات المتحدة وتركيا والانقلاب من خلال مذكرات السيد (كليريدس) مع العلم بأن مذكراته صدرت قبل أن يصل إلى مقعد الرئاسة في بلاده.. يقول

في ١٦ يوليو أرسل وزير خارجية تركيا برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية طالبا التشاور بين القوتين الضامنتين كما تقرر في معاهدة الضمان وكانت هذه خطوة لازمة قبل ممارسة حق العمل المنفرد بواسطة أي طرف من الأطراف الضامنة الثلاثة، وفي ١٧ يوليو ردت الحكومة البريطانية على الحكومة التركية بشأن التشاور وقد قبلت الطلب ولكنها عمدا لم تحدد تاريخا لذلك، و أجاويد الذي كان قد قرر إرسال قوات إلى قبرص وكان قد أصدر التعليمات للجيش التركي بأن يكون جاهزا لغزو قبرص غادر على الفور إلى لندن حيث وصل مساء نفس اليوم (السابع عشر من يوليو) وقبيل المغادرة إلى لندن عرف أجاويد أن الأغلبية من وزرائه وبعض زعماء المعارضة كانوا ضد التدخل العسكري ومع العمل الدبلوماسي وقد ظهر الموقف الحذر خصوصا من طرف كل من (ديميريل وبيهان أرسم) اللذين كان ربما

موقفهما الحذر بسبب موقف (كيسنجر) المعارض وأثناء محادثات أجاويد وويلسون ظهر الموقف التركي على الشكل التالي

١ - أن الانقلاب خطط بواسطة الحكومة اليونانية ونفذ بواسطة الضباط اليونانيين في قبرص والقوات اليونانية هناك

٢ - أن تركيا لن تصبر على حكومة سمبسون وسوف لن تسمح لميزان القوى الذي أقيم في قبرص أن يختل. وتركيا تعتبر سمبسون تهديدا لأمن الطائفة القبرصية التركية

٣ - وتركيا ترغب في إنزال قوات في قبرص عبر القواعد البريطانية من أجل أن تتفادى إراقة الدماء، وأن بريطانيا كضامن عليها أيضا مسئولية التدخل وأن تسمح باستخدام تلك القواعد من أجل حماية الأمن والاستقرار.

٤ - اليونان وقد خططت ونفذت الانقلاب قد رفضت حقوقها كضامن وهكذا فإنه لا حاجة لاجتماع بين الضامنين الثلاثة لأن هذا ليس ممكنا قبل اتخاذ إجراء مضاد يعيد الوضع إلى ما كان عليه من توازن في القوى..

وكان الموقف البريطاني كما تبين خلال اللقاء كما يلي :

١ - أن الحكومة البريطانية قد طلبت من الحكومة اليونانية سحب الضباط الذين نفذوا الانقلاب في قبرص بالإضافة إلى أنها طلبت أيضا استقالة سمبسون وعودة مكاريوس وعقد مباحثات في لندن بين الضامنين الثلاثة.

٢ - أن عملية عسكرية من طرف واحد وخصوصا تركيا ستؤدي إلى حرب تركية يونانية وبذلك ستؤدي إلى تدمير الجناح الشرقي لحلف شمال الأطلسي والتي ستكون ذات فائدة كبيرة للاتحاد السوفيتي الذي ينتظر مثل هذه الفرصة.

٣ - أن معاهدة الضمان لا تسمح بعملية عسكرية وقد أعلن وزير الخارجية (جيمس كالاهان) بيانا بهذا المعنى في البرلمان البريطاني.

٤ - وأن وضع القواعد البريطانية قد حدد بوضوح في معاهدة التأسيس والتي لا تسمح باستخدامها في الإنزال العسكري التركي

وفي هذا اللقاء التركي البريطاني أبلغ وزير الخارجية البريطاني جيمس كالاهان الذي كان يحضر المباحثات، أجاويد أنه قد استلم تلغرافاً برقية من وزارة الخارجية الأمريكية تؤكد أن السيد سيسكو في الطريق إلى لندن. وبعد انتهى الاجتماع بينما أكد أجاويد وردد القول إن تركيا قد أعدت للتدخل العسكري وأعرب عن أمله لرفض بريطانيا السماح باستخدام قواعدها العسكرية التي لو سمح باستخدامها لقلل ذلك من سفك الدماء في العملية العسكرية المزمع القيام بها. وبعد وصول السيد سيسكو عقد اجتماعاً بينه وبين السيد أجاويد أورده (كابريدس) على الوجه التالي:

(في منتصف يوم ١٨ يوليو ١٩٧٤م اجتمع السيد أجاويد والسيد سيسكو بمقر السفارة التركية بلندن وكان سيسكو مصحوباً بعدد من المستشارين العسكريين والمدنيين، وقد ذكر السيد أجاويد المواضيع التالية:

١ - أن تركيا لن تقبل نظام سمبسون.

٢ - وأنها ستتخذ إجراءات عسكرية لإسقاط هذا النظام وإعادة توازن القوى في الجزيرة القبرصية وحماية الطائفة القبرصية التركية.

وكان السيد سيسكو قد أحضر رسالة من السيد وزير الخارجية الأمريكي الدكتور (هنري كيسنجر) تقول إن الولايات المتحدة الأمريكية تعارض أي تدخل عسكري ذلك أن أي عملية عسكرية سوف تؤدي إلى حرب بين تركيا واليونان العضوين في حلف (الناتو) وذلك سيعطي فرصة للاتحاد السوفيتي. وذكر سيسكو لأجاويد أن مثل تلك العملية العسكرية ستؤدي إلى تدهور في العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية واقترح إجراء مباحثات بين تركيا واليونان بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية وفي نفس الوقت ذكر أنه إذا ما قبلت تركيا المشاورات والمساعدة الأمريكية فإن الولايات المتحدة ستكون مستعدة لأن تفرج عن شحنات من الأسلحة التي كانت مخصصة لها والتي حظر تصديرها بسبب الاستمرار في إنتاج نبات الحشيش في تركيا. وقد انتهى الاجتماع بأن ردد سيسكو بأن أي عملية عسكرية تركية في قبرص ستؤدي إلى حرب مع اليونان وتدخل سوفيتي في المنطقة وقال

أجاويد إن تركيا لن تعلن الحرب على اليونان وأنه لا يعتقد أن أي رد فعل مضاد من الاتحاد السوفيتي سيكون ممكناً ضد التدخل العسكري التركي في قبرص).

وهكذا يتضح من كل المحاولات أن تركيا كانت قد قررت واستعدت للتدخل العسكري من أجل إفشال الانقلاب الذي حدث في قبرص وهي بذلك تنفذ أهم بنود معاهدة الضمان وما زيارة رئيس وزرائها للندن إلا إلزام بخصوص تلك المعاهدة ولابد أن سيسكو قد أدرك أن تركيا لا يمكنها التراجع عن القيام بذلك العمل العسكري ما لم تقابل مطالبها بالقبول ولهذا قرر زيارة اليونان للتباحث مع العسكريين الذين يحكمون ذلك البلد وقد أبلغهم بتلك المطالب التركية وهي:

١ - رغبة تركيا في أن يكون لها وجود عسكري في قبرص تعترف به اليونان وتأكيد سلامة الطائفة التركية في قبرص.

٢ - استقالة سمبسون فوراً.

٣ - سحب الضباط اليونانيين الذين قاموا بالانقلاب.

٤ - تخصيص منطقة للقبارصة الأتراك تكون متصلة بالبحر.

٥ - سلطة ونظام يتفق عليهما من أجل السيطرة على الشواطئ من وإلى الجزيرة.

وعلى ضوء تحقيق هذه النقاط وعد أجاويد سيسكو بأن ينتظر الرد اليوناني حتى منتصف ليل يوم ١٨ يوليو ١٩٧٤م وخلال ساعة واحدة قبيل منتصف الليل اتصل أجاويد هاتفياً بحكومته في أنقرة ليبلغ أن المحادثات قد فشلت وأن الموقف الأمريكي قد اتضح، كذلك أجرى مكالمة هاتفية أخرى مع قيادة الجيش ليقول إن القوات التركية يمكنها أن تبحر إلى قبرص خلال يوم الأحد ١٩ يوليو في تمام الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ما لم تصدر تعليمات أخرى من جانبه».

ولقد حدث التدخل العسكري التركي بحراً وجواً وسقط نظام أو حكم سمبسون كما أرادت تركيا دون أن تتمكن اليونان من عمل أي شيء في مواجهة تركيا ولا حدثت حرب، كما أن الاتحاد السوفيتي لم يتدخل في المنطقة كما توقع أجاويد ولا بمجرد

الجناح الشرقي لحلف شمال الأطلسي (ولذلك يمكن القول إن الولايات المتحدة قد أبلغت الاتحاد السوفيتي بما سيحدث وأصرت أن ذلك أمر داخلي لا يجوز لأحد التدخل فيه ولابد من الإشارة ولو من طرف خفي إلى معاهدة الضمان الثلاثية باعتبار أن أصحاب الحق في التدخل هم ثلاثة أطراف فقط) والذي حدث هو أن قبرص كانت هي الضحية وأن واقعا جديدا كان قد فرض، وعلى من يريد السلام أن يتعامل مع الواقع الجديد. ومع القول أن ما يريده الكبار لا يمكن أن يمنعه الصغار، على أن الأهم من كل ذلك سقوط النظام العسكري في اليونان وعودة الديمقراطية وإن كانت ديمقراطية اليونان كان ثمنها دماء القبارصة وتدمير بلادهم.

وقد ذكرت أن كثيرين كانوا قد نبهوا الرئيس مكاريوس إلى احتمالات حدوث انقلاب على نظامه من سلطة الضباط اليونانيين الذين يقودون الحرس الوطني القبرصي، وكنت أحد أولئك الذين تمكنوا من الحديث مع غبطته في هذا الشأن، ولقد شاءت الصدفة قبل هذا الحديث أن ألتقي الجنرال (جيزيكس) رئيس النظام العسكري اليوناني أوائل شهر يوليو ١٩٧٤م وقد رتب لهذا اللقاء في أثينا مدير المراسم القبرصي الذي كان مقربا من الرئيس مكاريوس ويدعى (جورج بالاياس) وسبب قيامه بتلك المبادرة أنه كان شريكا لشقيقة ذلك الجنرال في شركة أدوية وكانا (أي مدير المراسم القبرصي وشقيقة الجنرال) يطلبان مساعدتي لدخول السوق الليبي من أجل توريد الأدوية ومن جانبي كنت أسعى للقاء ذلك الجنرال رغبة في فهم موقفه من بلادي التي كانت قبل نظامه دائما تتمتع بعلاقات طيبة مع اليونان بسبب الجوار والعلاقات التاريخية القديمة، وعندما التقيته رغب أن نتحدث على انفراد (ذكرت فحوى حديث ذلك اللقاء في كتابي - ثورة الأدغال الذي صدر سنة ١٩٧٨م) وكان أن سألني قائلا لماذا تساعدون الرئيس مكاريوس ؟ قلت: لأنه صديقنا ولأن سياسته حيادية فقال: مكاريوس يتدخل في شئون اليونان الداخلية وهو على اتصال بالملك اليوناني السابق والمقيم في لندن وكذلك رئيس الوزراء السابق كارامنليس المقيم أيضا في لندن ونحن لن نترك ذلك يمر بلا عقاب، قلت:

ما أسمعه أن مكاريوس هو الذي يتهم اليونان بالتدخل في شئون بلاده، فرد بغضب قائلا: إن قبرص كان من المفروض ألا يكون لها رئيس لأنها جزء من اليونان. وبعد أن توقف قليلا قال: سوف تعود قبرص جزءا من اليونان. ولقد ذكرت هذا الذي حدث للرئيس مكاريوس بعدئذ مباشرة لكنه كان لا يصدق أن أحدا يمكن أن يقوم بانقلاب عليه في قبرص، أما عن ليبيا فقد قال ذلك الجنرال المسمى (جيزيكس) إنه لا يريد التعامل مع القذافي، قلت إن ليبيا واليونان كانا بلدين صديقين بحكم الجوار والعلاقات التاريخية القديمة وهناك الكثير من شواهد التاريخ الإغريقي في بلادنا ونحن نحمل الكثير من التقدير للحضارة اليونانية. وعلى أي حال يمكننا أن نتعاون الآن ويمكن أن يكون مهما لليونان أن تستورد النفط الليبي لقرب الموانئ الليبية من اليونان كما أن الأسواق الليبية لابد أنها مهمة بالنسبة لرجال الأعمال اليونانيين، قال وهو يلوح بيده اليمنى في اتجاه الشمال الشرقي: سوف يكون لنا بترولنا في منطقة بحر (إيجا). قلت: وماذا عن تركيا التي ربما لن تسمح باستغلال تلك المناطق من جانب اليونان؟ نظر إليّ كما لو أنني قد ارتكبت خطيئة فاحشة وقال: جيشنا يضمن ذلك وهو كفيل بكسر غطرسة تركيا والأتراك. خرجت من لدنه وقد أدركت أن الرجل يتكلم من خلال فوهة البندقية وتلك طبيعة العسكر الذين يعتقدون أن السياسة كالجزمة العسكرية يضعونها في أقدامهم متى شاءوا وهم بذلك التفكير يفرضون أنفسهم على مجالات السياسة ويدفعون بلادهم إلى الهلاك.

ونجد الآن رواية مشابهة يذكرها الرئيس القبرصي الحالي السيد (غلافكوس كليريدس) في مذكراته التي صدرت بعد ذلك الحدث بأكثر من ربع قرن من الزمان يقول:

(في اجتماع مجلس الوزراء برئاسة مكاريوس في نيقوسيا كنت قد دعيت لحضوره وقد عقد يوم ٧ يونيو ١٩٧٤م وكان الغرض من اجتماع مجلس الوزراء ذاك الاستماع إلى مقترحات وزير الخارجية عن الكيفية التي يمكن أن تعدّل بها الوضع

استمجر. وقد اضطررت بعد انتهاء الاجتماع لأجلس مع مكاريوس على انفراد وكان الموضوع الذي تحدثنا فيه هو خطورة القيام بعمل عسكري من طرف القوات اليونانية في قبرص للإطاحة به، وقد حذرت مكاريوس قائلا إنني أتوقع انقلابا تقوم به القوات اليونانية وذلك يمكن أن يحدث في أي وقت إلا أن مكاريوس كان لديه الاعتقاد بأن ذلك الخطر دائما موجود إلا أن مثل تلك العملية لا يمكن القيام بها في ذلك الوقت وكان يبني تقديراته على الآتي

أن الحكم العسكري في اليونان لابد أن يكون حذرا من أن ذلك الانقلاب قد يعطي تركيا مبررا تريده لغزو قبرص.

٢- أن الحكم العسكري في اليونان كما أثبتت أحداث كوفينو لا يريد أن يجد نفسه في حرب مع تركيا.

٣- أن الانقلاب يمكن القيام به فقط بدون مخاطر حرب بين تركيا واليونان إذا تم الوصول إلى اتفاق بين تركيا واليونان من أجل تقسيم الجزيرة وما إذا كانت المناطق التي ستلحق باليونان وتركيا قد اتفق عليها وطالما أن مثل ذلك الاتفاق لم يحدث حتى الآن فإنه لا يتوقع حدوث انقلاب في هذا الوقت.

٤- أن حلفاء اليونان وتركيا لن يرغبوا في حدوث حرب يونانية تركية وسوف لا يشجعون انقلابا قبل الاتفاق بين تركيا واليونان بشأن مشكلة قبرص.

واعترف أن تقديرات مكاريوس كانت منطقية إلا أنني ذكرت له أنه يقدر العسكريين بتفكير سياسي منطقي ووجهة نظري أنه لا يجب أن يقدر العسكريين بتلك الصورة وأنا أعتقد أن رسالته إليهم ثم نشر تلك الرسالة في وسائل الإعلام قد وضعت النظام العسكري اليوناني في وضع يعتبرونه إهانة لهم وكنتيجة لذلك فإنهم سوف يتصرفون عاطفيا لا منطقيا وعصبيا وأن هؤلاء العسكر كانوا يعدون للانقلاب منذ بعض الوقت وسوف لن يستدعوا الضباط اليونانيين ويتراجعوا خطوة إلى الوراء وأعربت عن رأيي بالقول إنهم سوف يتقدمون خطوة إلى الأمام بالانقلاب متوقعين من حلفائهم أن يضغطوا على تركيا بحيث لا تقوم بالغزو وإنما

لتقبل بالمفاوضات المباشرة مع اليونان بشأن مستقبل قبرص وبذلك تكون المشكلة القبرصية قد وضعت من خلال الحلفاء في حيز حلف شمال الأطلسي ولقد نصحت مكاريوس باتخاذ الاحتياطات اللازمة. ولو عمل بتلك النصيحة لكان أمكن الحيلولة دون الانقلاب لكن مكاريوس لم يوافق على ما اقترحت ولا على تقديراتي للوضع بل إنه اعتقد أن تلك الإجراءات ليست فقط غير ضرورية وإنما سوف يعتبرها النظام العسكري اليوناني أكثر حدة واستفزازية من رسالته إلى الجنرال (جيزيكس)

هذا ما ذكره الرئيس الحالي لقبرص (غلافكوس كليريدس) في مذكراته حول الظروف التي كانت تمر بها بلاده قبل الانقلاب العسكري اليوناني وكيف أن مكاريوس لم يكن يعتقد أن انقلابا يمكن أن يحدث ضده في ذلك الوقت، والواقع أن هذا هو موقف مكاريوس الذي لم يتغير إلى أن حدث الانقلاب ووجد نفسه مهددا بالقتل لولا القدرة الخارقة التي أنقذته كما ذكر فيما بعد، وإن كان كثيرون يتساءلون (ولهم الحق في ذلك) عن الكيفية التي خرج بها من القصر وكيف وصل إلى بافوس؟ ومن أولئك الذين تساءلوا السيد غلافكوس كليريدس نفسه عندما قال (أليس من المعروف كيف أن الانقلابيين لم يطوقوا القصر من الخلف بحيث أمكن لمكاريوس أن يخرج ؟) وربما تظهر معلومات أخرى تجيب عن كثير من التساؤلات وتضع حدا للشائعات خصوصا عندما يحين الوقت الذي تفرج فيه بريطانيا عن الوثائق حسب قوانينها

عودة مكاريوس إلى قبرص منتصرا

عندما رجع مكاريوس إلى قبرص استقبله الشعب القبرصي استقبالا رائعا وجرى له احتفال كبير في الميدان الرئيسي بنيقوسيا (العاصمة) أمام الكاتدرائية الرئيسية وهناك كان العلم اليوناني كبير الحجم يرفرف (ويا للعجب) بينما كان يجب أن يرفع العلم القبرصي على الأقل لأن قبرص دولة ولها علم خاص بها وهي عضو في المجتمع الدولي ومعترف بها عضو في هيئة الأمم المتحدة وتحدث مكاريوس حديثا عاطفيا مشوبا بالألم ووعد بالإصلاح والتغيير (ولم يشر بشيء إلى علم

اليوناني) ووعده بالإصلاح و التغيير لم يحدث لأن الأيام لم تمهله فقد مات بعد ذلك الوقت بفترة قليلة، ووفاته كانت فرصة للسيد (كبريانو) لدى كان يرأس الحزب الذي تم تأسيسه بشكل جديد بعد عودة مكاريوس، هذا الحزب الذي صار حزبا لمكاريوس كان لابد أن يفوز في الانتخابات التي تجرى وهكذا حدث لأن الشعب القبرصي لابد أن يؤيد كل ما يمكن أن ينسب لمكاريوس خصوصا بعد تلك الأزمات التي مرت بها البلاد، ولأن الحزب قد فاز في الانتخابات بأغلبية كبيرة فقد كانت رئاسة البرلمان من نصيبه وكان عدد الاعضاء في ذلك الوقت خمسة و ثلاثين عضوا وينص الدستور القبرصي على أن رئيس البرلمان يخلف رئيس الجمهورية في حالة وفاته أو حدوث ما يمنعه من أداء مهام الرئاسة. وكان كبريانو رئيسا للبرلمان لأن مكاريوس كان قد اختاره لذلك (وليس من المعروف سبب ذلك الاختيار لحاكم مغمور) وعندما مات مكاريوس أصبح رئيس البرلمان رئيسا للجمهورية القبرصية لمدة (٤٠ يوم) حسب نص الدستور وبذلك أصبح رئيسا لقبرص بقدرة قادر وربما دون أن يخطر في باله ذلك في أي يوم من الأيام. أو كما يقول الشاعر العربي:

سبحانه موزع الحظوظ بلا عتاب ولا ملامة

أعمى وأعشى وذو بصر وزرقاء اليمامة

ولقد اختلف الصراع في قبرص خلال المراحل الثلاث ذلك أنه في الأولى كان ضد قوى خارجية أي ضد الاستعمار البريطاني بمعنى أنه ثورة وطنية ضد الوجود الأجنبي. وهذا كانت غاياته وأهدافه وحدوده معروفة وواضحة (القواعد الأجنبية و الجنود والتجهيزات) أما الثانية فقد كانت أكثر خطورة وحدة وكان تأثيرها نفسيا أكثر وكذلك اجتماعيا وإن كان إلى حد ما محصورا في نطاق البلاد أي أنه كان بين فئتين وشيعتين هما (القبارصة الأتراك، والقبارصة اليونانيين) ورغم كانت هناك قوى خارجية متمثلة في الضامنين للاستقلال وهما (تركيا و اليونان) حسب اتفاقية زيورخ التي تحدد فيها مصير ومستقبل قبرص (الاستقلال) ثم جاءت المرحلة الثالثة (ونرجو أن تكون الأخيرة في هذا البلد الذي أصيب بكثير من النكبات) وكانت بين

المنتين القبرصيتين ووراء كل منهما دولة أوصلت ذلك الخلاف إلى حافة الحرب ولكل من هاتين الدولتين ارتباطات خارجية وحسابات محلية ووطنية وإن كانتا عضوين في حلف واحد تابع للولايات المتحدة الأمريكية هو حلف (الناتو) أي حلف شمال الأطلسي ولقد حدث هذا الخلاف الأخير في فترة قلقة في العلاقات الدولية إذ كانت الحرب الباردة على أشدها بين الغرب والشرق وكان من المهم للشرق متمثلا في الاتحاد السوفيتي أن يستمر الخلاف الذي سيؤدي بالضرورة والحتم إلى شرخ وتصدع في الجناح الشرقي للحلف إذا ما تعقدت الأمور أكثر بين تركيا واليونان وتحاربتا. كذلك كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على إبعاد النفوذ السوفيتي عن قبرص ومنعها إن وجد بها، وأمريكا من خلال قيادتها لهذا التحالف وإن كانت في الواقع لا تريد حلا نهائيا بينهما لا في علاقاتهما ولا في مشكلة قبرص بحيث تكون دائما هي الوسيط صاحب اليد الطولى بين هذه الأطراف. أما رئيس الدولة الجديد الذي لم يُعرف دوليا ودولته تحيط بها الأخطار والمشاكل من كل جانب فقد كان يأمل أن يقود سفينته إلى بر الأمان من خلال حركة عدم الانحياز التي كان سلفه يلعب فيها دورا بارزا وله رصيده في العلاقات الدولية، ومن الجانب الآخر نرى بريطانيا صاحبة القواعد العسكرية الضخمة في الجزيرة (علما بأن تلك القواعد قد نص عليها دستورها بأنها جزء من التاج البريطاني، أي أنها تعتبر ملكا لبريطانيا العظمى) وهي الضامنة الثالثة للاستقلال طبقا لنص اتفاقية ذلك الاستقلال فقد كانت تقنع عينا وتغمض الأخرى فهي تعرف تماما اللعبة الدولية وتدرك أن أمريكا لا تريد لها أن تقوم بأي دور مستقل، ولم يغب عن سياسييها ما حدث في السويس سنة ١٩٥٦م وكيف كان الموقف الأمريكي بداية ونهاية. وما من شك أن الأسد العجوز قد أدرك أنه عاجز أمام النمر الأمريكي المتحفز والمتربص، ومن هنا يمكن إرجاع الأحداث الثلاثة إلى أسبابها وهي كما يلي:

أولا: إن صعود ونمو التعصب التركي لدى الطائفة القبرصية التركية في قبرص (وهي بالضرورة قبرصية) كان سببه التطرف القبرصي اليوناني بشأن الوحدة مع اليونان وتحديدا موقف منظمة (أيوكا - أ) وبعدها (أيوكا - ب)

والقائد العسكري الجنرال (قريفاس) فإذا كانت الطائفة القبرصية اليونانية آنئذ تسعى للوحدة مع اليونان فكيف يكون موقف الطائفة القبرصية التركية ؟

ثانيا: كان الصراع الطبيعي بين الأتراك واليونانيين من عمل بريطانيا ونتيجة طبيعية لما جاء في اتفاقية زيورخ التي ميزت بين الطائفتين في تقسيم الوظائف عند الاستقلال وظهور الدولة الجديدة وأعطت نائب الرئيس حق (الفيتو) على أنه يجب أن نؤكد أن فكرة الوحدة اليونانية فكرة قديمة لدى القبارصة اليونانيين.

ثالثا: كان الانتقال بين أمن قبرص والذي أحرج الوضع من محليته الموقف الأمريكي من حكم العسكر في اليونان فقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية أن نقطة الضعف بالنسبة لها هي النظام الذي تريد التخلص منه بعد أن جاءت به في فترة سابقة على قبرص بحيث يتم إسقاطه من تلقاء نفسه، ومن المعروف أن الحكم العسكري في اليونان كان قد مر في مرحلتين، عرفت الأولى بحكم العقداء وكان يقودهم عقيد يدعى (بابادوبلس) ولكن الأمريكيين ربما اعتقدوا أن تغيير نظام عسكري بنظام عسكري آخر يكون مفيدا فحركوا هذه المرة جنرالات وكان يقودهم (جيزيكس) إلا أنه اتضح أن العسكريين لا يتعلمون من أخطاء غيرهم ولذلك قررت أمريكا إعادة الحكم المدني لليونان ولم يكن ممكنا إحداث انقلاب ثالث في اليونان فكانت قبرص هي الضحية التي يجب أن تذبح من أجل مصالح تلك الدولة العظمى!!

وفي قبرص هذه حدث أنه بعد الاستقلال وقع الخلاف بين قيادات الطائفتين بشأن القوانين الخاصة بالضرائب وبشأن نسبة عدد الأتراك في الحرس الوطني والوظائف الحكومية وفي انتخابات البلديات. ثم حدث الخلاف بشأن كل بنود اتفاقية زيورخ وعددها ٢٧ بندا أو مادة، وبعد ذلك حدث الخلاف حول الدستور (أي أن نقاط التفجر كانت موجودة منذ البداية) ومن هنا فُقدت الثقة تماما بين الرئيس ونائبه وبين كورو ... والنواب وقد لجأوا إلى السلاح بعد الكلام وصار كل طرف يبحث عن مصدر أو تاجر يورد السلاح استعدادا للمتوقع القريب، ولقد بدأت الحوادث

الصغيرة ثم كبرت، هجوم من هذا الطرف على مركز شرطة أو اعتداء على فرد ثم حدث تبادل الاحتجاج والحلف وكان وزير الداخلية قبرصي يوناني متهم من طرف القبارصة الأتراك بالتعاون مع منظمة أيوكا وتشجيع الشرطة القبرصية اليونانية في اعتداءاتها على القبارصة الأتراك وخصوصا في حادث نيقوسيا الذي قتل فيه عدد من القبارصة الأتراك واحتجز حوالي ٧٠٠ شخص بين امرأة وطفل وشيخ (كما ذكر الجانب التركي) وعلى إثر هذا الحادث تحركت القوات التركية المرابطة في قبرص بموجب اتفاقية لندن حيث عسكرت في قبرص (ارتاكاي - حيليلي) كما قامت طائرات حربية جاءت من الأراضي التركية بالطيران المنخفض على بعض المناطق في قبرص على هيئة استعراض للقوة وربما للتحذير. ولقد أدان مكاريوس حادث نيقوسيا ووافق على قيام دوريات مشتركة من البريطانيين وضباط الارتباط الأتراك واليونانيين في قبرص تحت قيادة الجنرال البريطاني (يونج) وفي شهر ديسمبر من نفس السنة وضع خطا فاصلا بين الطرفين (الطائفتين) عرف فيما بعد بالخط الأخضر ومنذ ذلك الوقت ظل باقيا حتى الآن لا يتجاوزه إلا من يطلب الموت.

وبعد تلك التطورات أعلن الرئيس مكاريوس رغبته في إلغاء اتفاقية لندن وذلك في شهر يناير ١٩٦٤م وعلى ذلك رد وزير خارجية تركيا في إعلان مقتضب قائلا: إن قبرص يجب أن تكون دولة فيدرالية. في حين طالبت بريطانيا بإشراك قوات حلف شمال الأطلسي في القوة المكلفة بالمحافظة على الأمن في قبرص الشيء الذي رفضه مكاريوس فورا. والواقع أن الخط الأخضر الذي كانت ترابط فيه القوات البريطانية كان الغرض منه تطمين تركيا على جانبها. لكن القبارصة اليونانيين اعتبروا ذلك الخط محاولة للفصل بين الطائفتين وترسيخ الأمر الواقع ولهذا أخذوا يطالبون بإزالته ومن هنا بدأت مرحلة شغب وتقاتل في مختلف المناطق وخصوصا في مدينة (ليماسول) ولقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمحاولة في شكل مبادرة طلبت بموجبها توسيع صلاحيات قوة حفظ السلام بحيث تشترك فيها دول عربية وحلف الناتو لكن الرئيس مكاريوس رفض الطلب والمبادرة. ثم جاءت مبادرة أخرى من طرف بريطانيا وتركيا تقترح قوة دولية بإشراف الأمم المتحدة وتقدمت

بالاقتراح في مجلس الأمن الذي وافق بالإجماع على المقترح وتكونت قوة حفظ السلام وتلك كانت المرة الأولى ومهمة تلك القوة منع أي نزاع بين الطائفتين وتهديد أمن البلاد. كذلك طالب القرار مجلس الأمن الدولي الدول الأخرى وضرورة الامتناع عن التدخل في شئون قبرص وتعريض السلام الدولي للخطر، وبوصول القوات المكلفة من الأمم المتحدة كانت الأسلحة قد توزعت في الجزيرة وكان القبارصة الأتراك نتيجة للأحداث السابقة قد شكلوا قوة خاصة بهم. كذلك فإن الرئيس مكاريوس كان قد ألغى الاتفاقية بالكامل وشكك في إمكانية نجاح مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة في قبرص وبهذا فإنه أثناء قيام ذلك المبعوث ببعض الاتصالات كبداية مهمته حدثت مصادمات مسلحة أدانها الأمين العام وقال في إدانته إن تلك العمليات هي عمليات مخططة من أطراف ترغب في إفشال جهود الأمم المتحدة. ولم يذكر بالاسم تلك الأطراف، وكانت هناك أعمال عنف ومصادمات حدثت قبل الانقلاب الذي وقع سنة ١٩٧٤م وهي أيضا مخططة كما أوردت بعض المصادر، وتقول مؤلفة كتاب (ثورة قبرص) السيدة (نانسي كروشاو) ما يلي :

(بعد إعادة انتخابه كرئيس في ٢٥ فبراير سنة ١٩٦٨م بنسبة ٩٥% لصالحه مع بعض الأصوات الممتنعة. اعتبر أن ذلك يعني قبولا عاما لسياسته الجديدة، أما الأتراك مع ذلك فلم يكونوا مقتنعين إذ إن المنافس الوحيد له كان الدكتور (أفدوكاس) وكان قد قاد حملته الانتخابية على أساس شعار الوحدة مع اليونان وكان الأسقف قد أعلن أن هزيمة خصمه لا تعني هزيمة مطلب الوحدة، وهكذا فإنه بتأكيد شكوك الأتراك يكون أي شيء يعنيه القبارصة اليونانيون هدفه البعيد دائما الوحدة مع اليونان.. انتهى)

وفي ٧ مارس ألغى مكاريوس آخر حظر على الأتراك وكان هذا العمل قد لقي غضبا من طرف الأمين العام للأمم المتحدة الذي انتقد زعيم القبارصة الأتراك حيث إنه ما زال يرفض دخول القبارصة اليونانيين إلى مناطق القبارصة الأتراك (الشيء الذي تغير منذئذ وحتى الآن) وكان الأتراك القبارصة كأقلية دائما على حذر من أن

أي تنازلات قد تؤدي إلى إضعاف دفاعاتهم أو موقعهم التفاوضي بشأن الحل النهائي الذي لا يرون له مستقبلا. وبهذا فقد كانوا في حاجة لمن يقنعهم بأن محاولة السلام صادقة وإن كانت تلك المصداقية المطلوبة سرعان ما تفسد، ومما أفسدها قيام الجانب اليوناني بهدم بيوت الأتراك في منطقة (أموروفيا) وصادر استعرضوا الأسلحة التشيكية في احتفال يوم أيوكا ولا أحد يعرف ما إذا كان الرئيس مكاريوس موافقًا على ذلك أم أنه كان لابد له أن يجاري بعض الجهات ؟ وهكذا فإنه نتيجة لهذا التطور زاد التوتر الداخلي خلال شهر مايو حيث قامت الشرطة القبرصية اليونانية باعتراض ومحاولة تفتيش سيارة تركية كانت تحمل سبع رشاشات وبعد ذلك مباشرة حدث أن قتل اثنان من القبارصة الأتراك، هذه الأحداث جميعها تثير الريبة إذ تساءل المراقبون عن (لماذا وكيف و.. و.. ؟).

وكان مكاريوس بعد الاستقلال قد اكتسب شهرة سياسية كبيرة ولذلك فقد كان أمر تلك الأحداث والأخطاء البشرية في نظر المهتمين بشئون السلام مريبا، على الرغم من أن مواقفه بعد تلك الفترة قد أظهرت بعض الإجراءات التي ضاعفت من المخاطر حيث قرر التجنيد الإجباري وسمح لعدد كبير من الضباط اليونانيين بالإقامة في قبرص وفسر غرضه من ذلك بشيئين، الأول هو الدفاع ضد تركيا والثاني هو رغبة السيطرة على المجموعات غير النظامية التي تحمل السلاح بحيث تكون تحت تصرف ومسئولية الدولة، والحقيقة رغم ذلك هي أن قبرص لا يمكنها عمل أي شيء لمنع غزو من طرف دولة جارة قوية كتركيا إلا بالامتناع عن مثل تلك الأعمال التي تثير الشك والريبة وتعطي انطباعا بالرغبة في الحرب وتوتير الوضع الداخلي، ولهذا فإن ما قام به الرئيس مكاريوس بشأن التجنيد الإجباري أعطى سلاحا لأعدائه ومؤيديه في وقت واحد بينما كانت السيطرة على الجماعات المسلحة ناجحة جزئيا فقط إذ إن قوات الحرس الوطني وقوات الاحتياط التكتيكي لم تفعل شيئا غير توفير التدريب لأولئك المعارضين من خلال تجنيدهم وهي فرصة أعطاها لهم قرار الأسقف مكاريوس ذاته.

ولقد كانت منظمة أيوكا عند انتهاء السيطرة البريطانية منظمة صغيرة مقسمة بين مؤيدين لمكاريوس الذي كان يدافع عن الاستقلال وبين متطرفين من جماعة الجنرال قريفاس الذي يعتبرونه بطل الوحدة وهؤلاء يفهمون كل شيء على أساس الوحدة مع اليونان. وهؤلاء المتطرفون على الرغم من أنهم قادرون على القيام ببعض الشغب و الهجمات المسلحة أحيانا في هذا المكان أو ذاك إلا أنهم لا يستطيعون تنظيم انقلاب على الحكومة الشرعية التي يقودها مكاريوس. ولقد صارت قبرص بعد سنة ١٩٦٤م ترسانة كبيرة للأسلحة من كل نوع ولذلك تجمع قوات كبيرة في الصراع القديم بين الطرفين أي بين أنصار مكاريوس وأعوان قريفاس أو ربما يمكن القول إن الصراع القائم بين أنصار الوحدة مع اليونان وأنصار الاستقلال التام، ولأن بريطانيا من عادتها أن تخلق الصراعات وتثير الشكوك وتزرع الفتن لموقفه عندما تقرر الخروج من أي مكان وحدثٌ أنه من المؤكد أن تأجيج الصراعات وتوزيع الأسلحة وربما حتى تخطيط العمليات كان من نتاجه وتفكير قادتها على أن أوضاع الجزيرة كانت في الواقع تحت رحمة السياسات غير المستقرة في البلد الذي يسميه أنصار الوحدة باسم (البلد الأم) وكذلك عبث أو طموحات الدكتاتورية العسكرية المتمثلة في أمجاد خيالية قد تحققها المغامرات. ولم يكن الضباط اليونانيون في قبرص ذوي اتجاهات سياسية معروفة إلا أنه من الواضح ونظرا للطبيعة التقاليد العسكرية فإن هؤلاء الضباط المبعدين أو (المنفيين) عن بلادهم سوف يبشرون بمزايا الوحدة بين قبرص واليونان ولذلك فإن الأسقف مكاريوس وهو رئيس الدولة قد وضع أمنه الشخصي في خطر وكذلك سياسته الاستقلالية (وإن كانت غير معلنة) دون أن تكون هناك بدائل أو ضمانات فيما يتعلق بالأمن الوطني، على أن هذا لم يظهر ويتضح إلا في بداية سنة ١٩٦٩م عندما ظهرت وتمت عمليات الإرهاب في الجانب اليوناني مع ظهور الجبهة الوطنية. ولقد ترعرعت مشاعر التمرد بسبب السكوت على انقسام جهاز الأمن إلى فئات سياسية مختلفة منذ بداية نشاط منظمة أيوكا وكذلك تعيين أعضاء من تلك المنظمة في مواقع قوة ثم استيراد كميات كبيرة من الأسلحة مع توزيعها دون

تمييز أو تدقيق، وهذا كله خلق جوا من فرص التمرد والعصيان المسلح، ولقد تشكلت الجبهة الوطنية بواسطة منظمة أيوكا وقامت هذه بعمليات مسلحة ضد مؤيدين للرئيس مكاريوس، وعندما اتضح ارتباطها بالضباط اليونانيين كان مكاريوس بطيئا في اتخاذ الإجراءات اللازمة ضدها أو ضد أولئك الضباط (نتيجة لشدة حذره المعروف) وكذلك فقد عزز ظهور ونشاط هذه المنظمة موقف مكاريوس من تركيا حيث قيل إنه قدم للأتراك الكثير من التنازلات و ما فعله كان مفيدا (رغم خطره) في موازنة الثقل أمام أحزاب تشكلت حديثا وصارت تمثل أول تهديد لمكاريوس في القبض على كل السلطات أو ما أسموه (احتكار السلطة) وهكذا فإن تلك الجبهة التي شكلتها منظمة أيوكا لم تتعرض لأي إجراءات حتى حلول شهر أغسطس سنة ١٩٦٩م (ربما لأن مكاريوس كانت لديه أولويات في التصرف ضد المعارضين وله كذلك تقديرات للأخطار التي يمثلها هذا الجانب أو ذاك) وفي يناير اللاحق كانت بعض الإجراءات قد اقترحت لتتخذ ضد المشبوهين وتتضمن جواز إيقاف أي مشبوه منهم لمدة ثلاثة شهور وبينما كانت هذه الإجراءات تناقش في البرلمان إذ كان من الضروري في دولة ديمقراطية أن يقر البرلمان أي إجراءات استثنائية كهذه، وفي تلك الأثناء أعلنت الجبهة الوطنية إيقافا مؤقتا لنشاطاتها وقابلت الحكومة ذلك الإعلان بأن رأت أن الإجراءات التي قد يقرها البرلمان سوف تتخذ فقط إذا ما عادت الجبهة الوطنية إلى القيام بعمليات ضد الحكومة مرة أخرى. وكان الشيوعيون المحليون كما هي العادة على علم تام بارتباطاتهم ولقربهم أحيانا من الرئيس مكاريوس في بعض مواقفه ولكن لم تكن لديهم فرص الحصول على السلاح مثل الجناح اليميني (أو ربما هم لا يريدون الاتجاه إلى ذلك الخيار الخطر) وبالتالي فإن أي مواجهة في هذا الميدان لابد أن تكون خاسرة بالنسبة لهم، وفي هذه المرة كانت هناك أخبار على إثر تعثر المباحثات الداخلية بأن تركيا واليونان قد تفرضان حلا وكان الوقت مناسبا لتدخل الاتحاد السوفيتي في حين كان الرئيس مكاريوس الذي يتبع سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز يستغل التوازن الحساس بين الشرق والغرب ولقد قام الحزب الشيوعي القبرصي (أكيل) باتصالات مع الاتحاد السوفيتي

بناء على موافقة مكاريوس، وفي ١٧ فبراير اتهمت وكالة الأنباء الرسمية السوفيتية (تاس) القوى الإمبريالية بالتآمر ضد استقلال قبرص وذكرت أن الجبهة الوطنية والقوى الرجعية بالتعاون مع الضباط اليونانيين تقوم بالدعاية للوحدة مع اليونان من أجل تحويل قبرص إلى قاعدة لحلف شمال الأطلسي وبين نظام دكتاتوري عسكري. وفي ٨ مارس هاجم مسلح طائرة مكاريوس المروحية بينما كان هذا يستعد لحضور احتفال تأبيني تقيمه منظمة أيوكا. يلاحظ هنا أن أعمال أيوكا في الفترة ما قبل الاستقلال كانت شرعية وقتلاها يعتبرون مناضلين شهداء ولهذا السبب حضر مكاريوس الحفل) ولقد أنكرت الجبهة الوطنية مسئوليتها عن ذلك الحادث رغم اتهامها في البداية وقد برأها مكاريوس فيما بعد..

وهكذا استمر الوضع متوترا واستأنفت الجبهة الوطنية عملياتها في مهاجمة نقاط ومراكز الشرطة والاستيلاء على الأسلحة لتمرير عملياتها المستقبلية. وكان القبارصة الأتراك مقتنعين بأن اليونانيين جميعا يعملون من أجل الوحدة بين قبرص واليونان وأن المسألة فقط هي مسألة وقت، ولو أن الحديث عن الوحدة لم يتوقف ولم يكن بين المتحمسين لها فقط وإنما تعداهم إلى المسئولين إذ كان الجنرال (بيراكيس) قائد الحرس الوطني القبرصي قد ألقى خطابا في مدينة بافوس شدَّد فيه على مطلب الوحدة مع اليونان وتحدث بعض الوزراء في نفس الاتجاه إضافة إلى الرئيس مكاريوس نفسه الذي ذكر في حديث له قائلا إن أي حلول لا تأتي بالوحدة هي حلول مؤقتة ولذلك فإن مبادراته التي كان يقوم بها أحيانا وحتى إعلانه بأن الحكومة ستقيم بيوتا للقبارصة الأتراك على حسابها قد ضاع هباء

وفي يناير ١٩٧٣م تعقدت الأمور أكثر عندما نشرت صحيفة يونانية في أثينا خبرا تقول فيه إن الحكومة القبرصية تستورد سرا المزيد من الأسلحة التشيكية، وفي نوفمبر من نفس السنة ظهرت من جديد منظمة (أيوكا ب) أي أنها منظمة أيوكا الثانية وهي منظمة يمينية أقامها في المرتين الأولى والثانية الضابط اليوناني قريفاس الذي يعرف باسم الجنرال ديغينيس قريفاس وهو في الحقيقة قبرصي

الأصل وليس يونانيا إلا بالدراسة والإقامة. وفي نفس الشهر قبض على أربعة رجال بتهمة التخطيط لاغتيال الرئيس مكاريوس، ومع كل ذلك كان مكاريوس مقتنعا بأن الحكومة يمكنها السيطرة على الجماعات غير القانونية هذه، وفي سنة ١٩٧٣م كانت المواجهة الحاسمة بين الرئيس مكاريوس والأساقفة المتعاطفين مع اليونان ووصلت قمتها عندما طالبوا باستقالته، وهنا قام مكاريوس بإدانة الشيء الذي كان يجب أن يفعله منذ عشرين سنة مضت وهكذا جاءت إدانته متأخرة كما هي إجراءاته. وكما هي العادة كان مكاريوس قادرا على اللعب حسب الظروف السياسية ذلك أن أولئك الأساقفة الذين طالبوا باستقالته لم يستطع أي منهم فعل أي شيء لعدة أسباب منها أنه أكثر منهم شعبية في قبرص خصوصا بعد خلافه مع العسكريين في أثينا كذلك فهو يحظى باحترام كبير في الخارج وخصوصا من جانب الاتحاد السوفيتي الذي كان يرى في مواقفه ما يمنع بشكل قاطع توسع حلف الناتو ليشمل قبرص وربما غيرها.

وفي يناير ١٩٧٤م أطيح بالنظام العسكري في اليونان بواسطة انقلاب عسكري آخر (ذكرنا شيئا عن ذلك فيما تقدم. فالأول كان بقيادة عقداء والثاني جاء بقيادة جنرالات ولا فرق!) ولم تتغير السياسة الخارجية ولا الداخلية اليونانية بوصول العسكر الجدد إلى السلطة في أثينا وهم يقودون نظاما شموليا مثل أو أسوأ من الذي كان قبلهم، فهؤلاء عسكر وأولئك عسكر ولا فرق إلا في الرتب وتغيير المقاعد والحراسات وربما الشعارات والهتافات. وفي يناير من نفس السنة انتقد اثنان من الحكومة القبرصية عمل (الجنرال قريفاس) وهما (فلافكوس كليريدس وتاسوس بابادوبلس) حيث قالا إن قريفاس يسبب الكثير من الإحراج للحكومة القبرصية هذه الحكومة التي لا تريد القبض عليه بحيث تعطيه الفرصة أن يكون شهيدا (ولعلها المرة الأولى التي ينتقد فيها هذا الرجل من طرف مسئولين قبارصة علنا) والواقع أن قريفاس كان قد أصيب بمرض عضال ولابد أن موته سينهي هذه المشكلة، ولقد مات فعلا هذا الضابط المحارب في ٢٧ يناير سنة ١٩٧٤م وبعد موته أعلنت منظمة أيوكا وقف عملياتها العسكرية وفي نفس الوقت أعلن مكاريوس عفو

عامة ولكن المبادرة لم تكن ناضجة إذ انفجر الوضع من جديد وبذلك تأكد أن قريفاس لم يكن المحرك الوحيد لهذه المنظمة كما كان لسابقتها كما اتضح أن ضباط الحرس الوطني القبرصي هم الذين يسيطرون على (أيوكا ب) ولذلك صدر قرار بحرّم ويجرّم المنظمة وكل أعمالها و ي نشاط من طرف أعضائها وقد طلب منهم تسليم أنفسهم خلال ٤٨ ساعة من تاريخ صدور القرار.

ولقد دفعت كل هذه الأحداث الرئيس مكاريوس إلى أن يطلب تخفيض عدد الضباط اليونانيين العاملين في صفوف الحرس الوطني القبرصي أو سحبهم جميعا وكتب في ٢ يوليو إلى الرئيس اليوناني الجنرال (جيزيكس) قائلا :

(لقد توقفت في أكثر من مرة وأحسست في أكثر من مناسبة أن أيادي غير مرئية تمتد من أثينا للقضاء على وجودي البشري) وهكذا يكون مكاريوس قد اتهم اليونان بالتآمر كذلك اتهم الحكومة اليونانية بأنها وراء عودة قريفاس إلى قبرص وعمليات الاغتيال السياسي التي حدثت باسم أيوكا وأكد أن الصحافة المؤيدة للإرهاب تموّل من طرف أثينا وأسلحة منظمات الإرهاب تأتي أيضا من أثينا ومن ضباط الحرس الوطني القبرصي اليونانيين وهؤلاء كما قال كانوا مركز التآمر ضد ...ومة ويمكن لأثينا أن تضع حدا لهذه الأعمال وكذلك الإرهاب الذي تمارسه منظمة أيوكا وفي نهاية رسالته طلب مكاريوس استبدال جميع الضباط الذين يعملون في الحرس الوطني القبرصي بعدد مائة ضابط يوناني آخر فقط لتنظيم وتدريب الحرس الوطني، وذكر في الرسالة أن العلاقات مع الرئيس اليوناني جيزيكس منذ مدة لم تكن طيبة وأنه سوف يعلن فحوى رسالته وأسبابها الأخرى في أقرب وقت ممكن، كذلك فإن الحرس الوطني القبرصي سوف يكون تحت قيادة قبرصية أي ضباط قبارصة، وفي لقاء مع الصحفيين نفى احتمال حدوث انقلاب عليه وقال حتى إذا حدث انقلاب فسوف لن يكون له نصيب من النجاح، وكان النظام العسكري الجديد في أثينا كسابق يرى في وجود مكاريوس عقبة في طريق الوحدة بين البلدين (قبرص واليونان) إضافة إلى كراهية ذلك النظام الباطش في

أثينا للعلاقة الودية القائمة بين مكاريوس والاتحاد السوفيتي ذلك أن أولئك الضباط في اليونان كانوا لا يخفون علاقتهم بالولايات المتحدة الأمريكية ومخابراتها على أمل أن ذلك سوف يبقيهم في الحكم مدة أطول وبينما كان النظام العسكري السابق في اليونان حذرا بعد أحداث (كوفينو) فإن الدكتاتورية العسكرية الجديدة هناك متعصبة وقد أصابها العمى فيما يتصل برد الفعل التركي ولم تدرك كيف يمكن أن تتحرك تركيا إزاء ما سيتهدد القبارصة الأتراك.

ولقد كان تحدي الرئيس مكاريوس للنظام العسكري في أثينا مناورة خطرة وربما كانت رسالته عنصرا مهما في توقيت الانقلاب عليه ففي ١٥ يوليو قام الحرس الوطني بقيادة الضباط اليونانيين بانقلاب عسكري أسقط الحكومة في نيقوسيا وقد احتل الانقلابيون الإذاعة المحلية عند الصبح وقصفوا القصر الجمهوري بالمدافع حيث أحدثوا به أضرارا بالغة وفي نفس اليوم أعلنوا عن تعيين نيكوس سامبسون وهو عضو بارز سابق في منظمة أيوكا ومحكوم عليه بالإعدام من طرف السلطات البريطانية، عين رئيسا للجمهورية، كما تم الإعلان عن وفاة الرئيس مكاريوس إلا أنه اتضح فيما بعد أنه هرب إلى بافوس عن طريق جبال ترودوس وبناء على طلبه نقلته طائرة مروحية من بريطانية إلى قاعدة (أكروتيري) العسكرية البريطانية، وفي يوم ١٦ يوليو نقلته السلطات العسكرية ذاتها إلى لندن جوا، وطار يوم ١٧ يوليو السيد (بولنت أجاويد) رئيس وزراء تركيا إلى العاصمة البريطانية لندن طالبا التعاون البريطاني التعهد لاتفاقية الضمان إلا أن الحكومة البريطانية لم تكن مستعدة لمشاركة جهودها في شئون قبرص بالغرض الذي تنص عليه الاتفاقية و لدى جاء من أجله أجاويد كما ذكرت تلك السلطات آنذ (وبطبيعة الحال فإنه كان في إمكان بريطانيا أن تحرك ما تشاء من قوات وحتى طائرات من قواعدها في الجزيرة نفسها دونما عناء أو حاجة إلى إرسال قوات أو حتى جندي واحد من بعيد)

وفي يوم ٢٠ يوليو قامت القوات المسلحة التركية بهجوم جوي وبحري على الجزيرة وقد استولت على منطقة (كيرينيا) وأنزلت مظليين قرب قرية (قونيلي)

الواقعة على الطريق بين كايرينيا ونيقوسيا العاصمة، وفي نفس مساء ذلك اليوم أصدر مجلس الأمن قرارا رقم (٣٥٣) يبدي فيه قلقه بشأن الأمن والسلام الدولي والوضع المتفجر في شرقي البحر الابيض المتوسط وطلب من جميع الدول احترام سيادة قبرص وإيقاف القتال وإنهاء التدخل العسكري الأجنبي وطلب من الدولتين (تركيا واليونان) البدء فورا في مباحثات من أجل صيانة السلام والأمن والحفاظ على النظام الدستوري (نص القرار ضمن وثائق الكتاب) وعلى إثر الانقلاب والغزو التركي كانت لا تزال هناك إلى حد ما مدن وقرى مختلطة تسكنها الطائفتان، وقد تقاتل هؤلاء وسيطر القبارصة اليونانيون على أغلب المناطق باستثناء العاصمة نيقوسيا ولتمنع القوات التركية أي تدخل يوناني فقد احتلت فورا مطار نيقوسيا الدولي وعطلت المهابط والممرات، وكان العسكريون في اليونان قد أعلنوا التعبئة العامة لكنهم كانوا أعجز من أن يفعلوا شيئا أمام تلك الضحالة التركية ويرجع ذلك ربما إلى عدم إدراكهم الموقف الإقليمي والدولي وعدم معرفة النوايا التركية أو التفكير التركي بشكل خاص ولا يمكن تفسير ذلك إلا بالغباء والغطرسة والمبالغة في الأشياء دون تحسب وتدقيق علميين صحيحين.

وفي يوم ٣٠ يوليو تقدم الأتراك فاحتلوا بلدتي (لابيسوس وكارمانس) في منطقة الساحل الشمالي وكانت هنالك مناطق تركية سيطر عليها جنود الحرس الوطني القبرصي لكن الحكومة اليونانية أمرت بإخلائها والإفراج عن الأتراك المحتجزين، حدث ذلك في يوم ١١ أغسطس وقبل ذلك كانت الجولة الثانية من المفاوضات قد بدأت في جنيف أي يوم ٩ أغسطس (وليس من المعروف ما إذا كان قرار الحكومة اليونانية يمثل نوعا من التنازل ومقابل ماذا؟) وفي تلك المفاوضات قدم كل طرف مطالبه وكان الأتراك قد أظهروا مرونة فقط لأنهم كانوا يعدون للمرحلة الثانية من العمل العسكري، حيث استأنفوا العمليات العسكرية يوم ١٥ أغسطس وقبل انتهاء ذلك اليوم كانوا قد احتلوا منطقة (فاماغوستا) وبذلك يكونون

( ) كتاب ثورة قبرص تأليف ناسي كراوسه

قد احتلوا شمال الجزيرة كله بما فيه الشمال الشرقي أي حوالي ٤٠٪ من كامل أرض الجزيرة. ومن المعتقد أن ذلك كان مقررا منذ قبل بداية الغزو (أي أنه خطة عسكرية كاملة ومدروسة بشكل جيد) وكان سكان قبرص اليونانيون يحتلون يوم ١٦ أغسطس في تلك المناطق إما قتلى أو بلا مأوى، وكانت منظمة (أيوكا ب) قد جمدت عملياتها وقام رجالها باغتيالات وتفجير قنابل دون أن يحققوا شيئا غير المزيد من المآسي والآلام، وكان الانقلاب الذي قام به الضباط اليونانيون قد حطم الحكومة الشرعية القبرصية قد سقطت بينما الرئيس الجديد المحكوم عليه بالإعدام قد تولى السلطة بدلا من الرئيس الدستوري الذي كان قد هرّب أو هرَب، ولم يفعل ذلك الانقلاب غير تهيئة الفرصة في الوقت المناسب جدا لتركيا كي تقوم بالغزو والاحتلال وهو بذلك أضاف مآسي أخرى على أكتاف القبارصة وقيودا على رقابهم بينما سقط الحكم العسكري الدكتاتوري في أثينا وربما المكسب الوحيد الذي تحقق للشعب اليوناني هو عودة الديمقراطية وإن بدماء ودموع القبارصة اليونانيين وانتهت عمليا اتفاقية زيورخ..

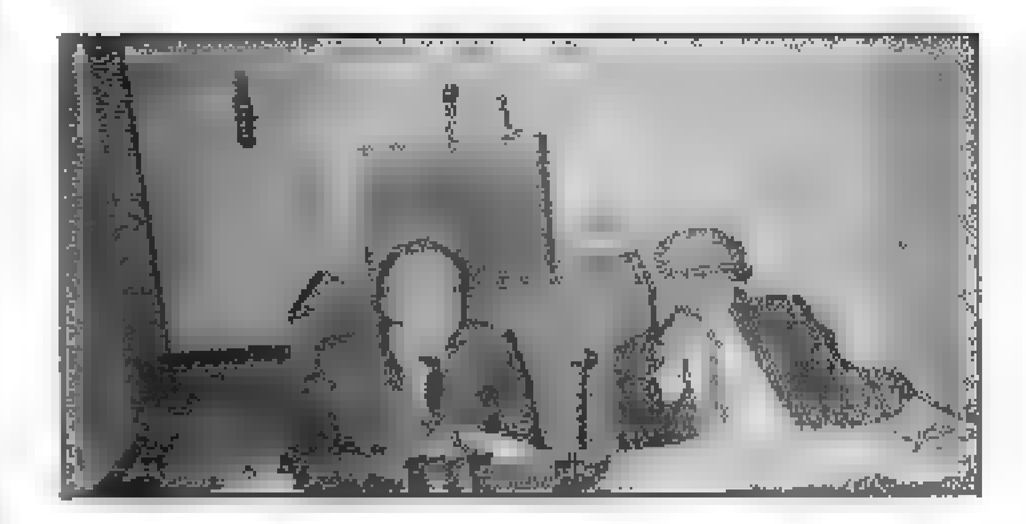
ولقد كانت هذه الأحداث كارثة بكل معاني كلمة الكارثة على قبرص وعلى القبارصة يونانيين وأتراكا (حرب سنة ١٩٦٣م والانقلاب سنة ١٩٧٤م والغزو الذي جاء بعده وعلى إثره) كلها آلام وخسائر مع كانت خلافاتهم الداخلية سببا فيها جميعا، ومع شهر يناير سنة ١٩٧٥م دخلت القضية القبرصية مرحلة جديدة ذلك أن أمن واستراتيجية كل بلد صارت ذات أولوية، فتركيا دخلت ولا يمكنها أن تخرج إلا بعد ترتيبات نهائية لأمنها واستراتيجيتها وكذلك إيجاد حل نهائي لوضع القبارصة الأتراك. أما اليونان وقد اتضح لها أنها خسرت المعركة بعد أن انقشع الغبار فلابد لها أيضا ولساستها الجدد أن يعودوا إلى التاريخ القريب والبعيد الذي يبث بعلاقة اليونان بتركيا وأن يتذكروا جيدا الحكم التركي. والواقع أنه لم يبق لهم إلا الشعار الذي لن يكون ذا معنى بأي حال، وقبرص التي خسرت باسم الوحدة كل شيء وقد انقسمت على نفسها ولديها الآن مشكلة إنسانية حادة ومعقدة هي مشكلة اللاجئين

ومفقودين، مشكلة عائلات فقدت عائلها الوحيد وهي لا تعلم ما إذا كان حيا أو ميتا وليس لها من معين، وقبرص بعد هذه الأحداث على ساستها أن يفكروا جيدا وأن يعملوا معا (أتراكا ويونانيين) على حل مشاكلهم وأن يعملوا بقدر ما يمكن ما حدث لكي يعيشوا معا ولكي لا تتكرر المآسي والأحزان وحلف شمال الأطلسي الذي يفكر قادته دائما في موقف الدب الروسي الذي قد يتحرك ليهز العالم لابد أنهم ضحوا كثيرا بالشعوب ومصالحها من أجل إبعاد ذلك الدب وهو نائم الآن وربما جائع فإنهم يجب أن يساعدوا البلدان التي ضحوا بها فيما مضى، أما الطائفة القبرصية التركية التي ربما آلمها ما حدث في الماضي وهي لتجرعه وتصبر الكثير من الألم وربما البعض لم تعتقد أنه ظلم وقع عليها خلال عقد أو أكثر من الزمان فقد أرادت أن تثأر وبالتالي فقد استولت على كل ما يخص أي قبرصي يوناني في المناطق التي احتلت إما بالاستيلاء، أو بالحرق والتدمير إضافة إلى ما دمرته الحرب فإنهم لا يجب أن يستمروا في ارتكاب الأخطاء، وهذه الطائفة تمثل نسبة (١٨ إلى ٢٠٪) من عدد السكان حسب الإحصائيات القبرصية اليونانية (وقد تزيد أو تقل) وإذا كان القبارصة الأتراك قد لجأوا بعد أحداث سنة ١٩٦٣م إلى الشمال حيث توجد الأغلبية التركية وحيث يتوقعون دائما المساعدة من تركيا فإنهم قد اعتبروا أن ذلك الانتقال نهائي لأنه على الأقل يوفر الأمن بينما الحال بالنسبة للقبارصة اليونانيين بعد أحداث سنة ١٩٧٤م فإن أمرهم يختلف إذ اعتبروا أن حكومتهم التي كانت تركز دعايتها الإعلامية على العودة والاستقرار قادرة على أن تحقق ذلك الأمل وفعلت هيئات الأمم المتحدة نفس الشيء إذ هي أيضا ركزت على أمل العودة بالمهجرين أو الهاربين إلى قراهم ومدنهم، وعدد هؤلاء قرابة ثلث عدد السكان أي حوالي (مائتي ألف مواطن) ومن هنا يتضح أن الوضع في غاية التعقيد ويزيده تعقيدا فقدان الرجل الذي كان ربما قادرا (بعد هذه الدروس) على اتخاذ القرار الصعب، إنه فقدان ذلك الرجل الحكيم رجل الدين والدولة مكاريوس صديق جمال عبد الناصر.

وصديقنا الشاعر الرسام السياسي الخطيب البارع رئيس الحزب الاشتراكي القبرصي الدكتور (فاسوس ليساريدس)

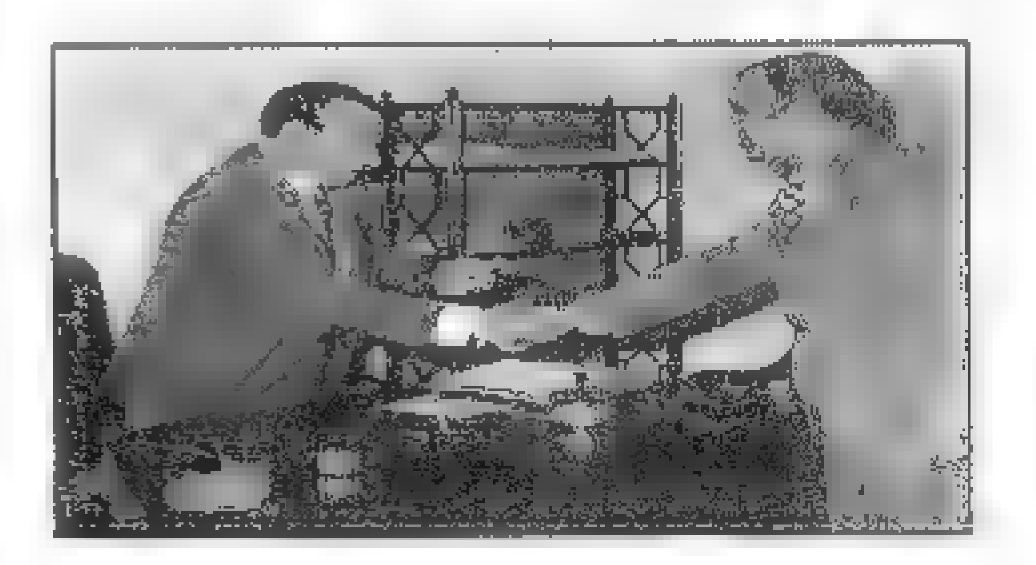


هذا الرجل الذي كرّس حياته للدفاع عن حق بلاده أولا في الحرية والتقدم والاشتراكية الحقّة والذي ظل مدافعا صامدا رغم كل الضغوط والمغريات عن الحق العربي وعدالة القضية الفلسطينية، هذا الرجل الذي كان هدف أول محاولة اغتيال بعد الانقلاب العسكري سنة ١٩٧٤م وقامت به منظمة (أيوكا ب) ولقد نجاه الله من الموت بأعجوبة في حين قتل سائقه في تلك المحاولة الآثمة وهو الرجل الذي لم يكن سلاحه إلا الكلمة الصادقة الأمينة، الدكتور الطبيب (فاسوس ليساريدس).



مع السياسي المخضرم السيد (غلافكوس كليريدس) رئيس البرلمان في ذلك الوقت وهو في نفس الوقت زعيم أكبر حزب سياسي يميني في البلاد وقد انتُخب رئيساً للجمهورية فيما بعد. كليريدس أحد الزعماء البارزين والذي ينحدر من بيت سياسي عريق. ألقت مذكراته التي صدرت في عدة أجزاء باللغتين اليونانية والإنجليزية الكثير من الضوء على أحداث قبرص والعالم.

السيد غلافكوس كليريدس.



الفصل الخامس

قبرص بعد مكاريوس رئيس الدولة رئيس الكنيسة

« إن السلطان بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها فإذا كان برًا أتوه ببرهم وإن كان فاجرًا أتوه بفجورهم »

وهذه حقيقة لم تتغير مع الزمن قالها خليفة المسلمين الخامس «عمر بن العزيز رحمه الله رحمة واسعة»

لقد صدق الفرزدق حين قال :

ترى الدهر لا يبقى كريماً لأهله ... ولا تحرز الأزمان منه المهارب

أرى كل حي سوف يفقد وإن ... عاش دهراً لم تلمه النوائب

هكذا بالضبط ومن المؤكد أن مكاريوس قد مات عمليا يوم حدث الانقلاب عليه لعدة أسباب منها

أولا انه لم يكن ليصدق أن أحدا يمكن أن ينقلب عليه ويهاجم قصره بالدبابات وانه سيهرب متخفيا حافيا بعد أن كان رافع الرأس معتزا بما قدم لشعبه،

وثانيا انه كان يعتقد أن الشعب القبرصي اليوناني سوف يهبّ في اندفاعة واحدة هائلة للدفاع عنه وانه لا يمكن أن يتعاون مع أعدائه وخصوصا إذا كانوا من غير القبارصة وبشكل أخص إذا كانوا عسكريين..

وثالثا أن البلد (الأم) لا يمكنها أن تتخلى عنه، ولقد حدث الانقلاب ودكّ قصره بالمدافع والدبابات وإن الشعب كان أعجز من أن يعمل شيئا رغم الحب وأن البلد الأم (اليونان) لم تكن سيدة نفسها وأن هناك قوى أكبر تسيّر وتقرر مصائر البلدان والأشخاص وكان هذا بعض الشبه الذي حدث مع جمال عبد الناصر في ٥ يونيو ١٩٦٧م بهزيمة قوته المسلحة التي اعتقد أنها لن تهزم، ومات مكاريوس يوم ١٥ يوليو ١٩٧٤م بالانقلاب على نظام حكمه وكلاهما كان عظيما وكان صادقا مع نفسه وبلده. ولقد وقف جمال عبد الناصر مع مكاريوس في نضاله من أجل تحرير بلده رغم أن عبد الناصر كان مسلما ومكاريوس كان مسيحيا أرثوذكسيا وتماست قضاياهما معا كلما بدأ الغدر في تلك الحقبة، فأزمة قناة السويس والعدوان

الثلاثي على مصر جاءت قبل نفي مكاريوس إلى جزيرة (سيشل) أي في ٩ مارس سنة ١٩٥٥م وما يؤكد ذلك جاء في حديث السيد (ماكملان) رئيس وزراء بريطانيا الأسبق في مذكراته عن نفي مكاريوس وأحداث قناة السويس، ففي الجزء الثاني من تلك المذكرات وهو بعنوان (ركوب العاصفة) قال:

(بعد محاولتي إيجاد حل لمشكلة قبرص بعقد مؤتمر لندن وبعد أن نقلت من وزارة الخارجية إلى وزارة الخزانة في ديسمبر سنة ١٩٥٥م كان لي القليل من الاتصال بقضية قبرص سواء مباشرة أو غير مباشرة وكنت أعرف أن الحاكم الجديد بقبرص المارشال (جون هاردنج) كان قد قرر إيجاد حل للقضية القبرصية إذا كان ذلك ممكنا على أي حال، وعندما تركت وزارة الخارجية كانت المفاوضات جارية وقد استمرت خلال شهري يناير وفبراير سنة ١٩٥٦م ولكن مع الأسف كانت هذه المفاوضات قد ترافقت مع أعمال عنف وخروج على القانون، وكنت مستعدا أن أرى بعض التعديلات إذا كان ذلك يساعد الأسقف مكاريوس وكانت الفكرة قد رحبت بها تركيا، وكتبت في مفكرتي أنه (إن المباحثات الآن ستبدأ من جديد وسوف نرى ما إذا كان الأسقف حقيقة مستعدا لأن يخاطر بالوصول إلى اتفاق معنا وأنا أشعر بأن الأسلوب ليس بعض أهمية الحقيقة وإن عددا كبيرا من مجموعات الشيوعيين والمتعصبين سوف يقفون ضد الأسقف كيفما يكون أسلوب أي اتفاق، وهذه القوى ثورية ولا يمكن إرضاؤها) وكان كذلك السيد (إيدن) قلقا من أجل الوصول إلى تسوية وقد فكر في أن يشارك هو نفسه في المباحثات ولكن كان واضحا أن ذلك سيؤدي إلى أن يطلب الأسقف زيادة في الثمن، وعند بداية شهر مارس ١٩٥٦م حدث أنه بالنسبة لأي وضع فإن المباحثات لابد أن تفشل ذلك أنه كلما تم الاتفاق على نقطة تظهر أخرى ولم يتحقق أي تقدم رغم المساعدة التي قدمها أسقف (تشيستر) إضافة إلى أن رأي حاكم قبرص الذي كان قد اقتنع أن الأسقف مكاريوس وأسقف كايرينيا كانا مشتركين في نشاطات إرهابية ولهذا فقد تم القبض على الاثنين ورحلا إلى جزيرة (سيشل) في يوم ٩ مارس، ومع ذلك فقد كنت مقتنعا وأعرف من خلال تاريخ مثل هذه الحركات وخصوصا في أيرلنده أن العنف لا يمكن

أن يكون الحل أو الجواب، والاضطراب في أيرلنده كان قد أدى إلى التقسيم ولكن قبرص صغيرة والأرض التي يحتلها الأتراك أو اليونانيون بأي شكل لا تمثل أي تجانس ومع ذلك فإن التقسيم قد يثبت أنه الحل الوحيد، وبعد هذه المشاكل فإننا الآن نواجه مشكلة كبيرة حول مستقبل قناة السويس ذلك أنه في ١٨ مارس ذكر المصريون أن العوائد يجب أن تدفع مقدما إلى السلطات المصرية في القناة وقد عرضت الحكومتان البريطانية والفرنسية بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية أن تدفع عوائد قناة السويس إلى الأمم المتحدة أو البنك الدولي وتبعا لذلك قد تمت المفاوضات بين ناصر وهامرشولد، وفي ٢٩ مارس قدم ناصر شروطه كلها إلى الأمم المتحدة في الوقت الذي أكد فيه أن مصر سوف تلتزم باتفاقية السويس لسنة ١٨٨٨م وضمان حرية الملاحة وأصر على أن تدفع العوائد لسلطات قناة السويس ... انتهى)

ويستمر السيد ماكملان في سرد قضية قناة السويس في الوقت الذي كان يتحدث فيه عن قضية قبرص واعتقال مكاريوس، ونفهم من ذلك أن هنالك ربطا بين تطورات الأوضاع في البلدين (مصر وقبرص) إذا عرفنا أن عبد الناصر كان يؤيد علنا قضية قبرص ونضال شعبها في ذلك الوقت وعرفنا فيما بعد أن العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م لم يكن فقط بشأن تأميم قناة السويس فإذا كانت بريطانيا لم تعلن رسميا أنها تريد إسقاط جمال عبد الناصر لأنه يؤيد قضية قبرص فإن رئيس وزراء فرنسا آنذاك السيد (جي موليه) قد أعلن على الملأ أنه يريد إنهاء ثورة الجزائر بضرب عبد الناصر في القاهرة، ولهذا فإننا لا نستبعد أن يكون الحديث عن مكاريوس وقضية قبرص مع الحديث عن قناة السويس في مذكرات السيد ماكملان يعني أن بريطانيا أيضا كانت تريد إنهاء قضية قبرص بضرب ناصر في مصر، فهذا محتمل وهو غير مستبعد وينسجم مع سير الأحداث في ذلك الزمن. أما مؤلفة كتاب (ثورة قبرص) السيدة نانسي كراوشاو فقد قالت عن تلك الفترة وهي الخبيرة بالأحداث التي حدثت في الشرق الأوسط[1]

(١) كتاب ثورة قبرص، السيدة نانسي ص ٢٧١

(لقد كانت اتصالات الأسقف بناصر والاتحاد السوفيتي مزعجة للولايات المتحدة الأمريكية وهي التي ترغب في وضع قبرص تحت مظلة حلف شمال الأطلسي بشكل من أشكال الوحدة، وفي خلال شهر يوليو التقى ممثلون عن اليونان وتركيا على انفراد بالسيد (دين اتشيسون) وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية لمناقشة مبادرته وهي فكرة تقوم على مبدأ وحدة قبرص مع اليونان وتخصيص قاعدة عسكرية تحت السيادة العسكرية التركية وشيء من الكانتونات للقبارصة الأتراك تتمتع بنوع من الحكم الذاتي، وقد رفض اليونانيون الخطة بينما أرادت تركيا كانتونا أكبر ليستوعب الطائفة القبرصية التركية الكبيرة في قبرص دون اختلاط انتهى)

وفكرة الوحدة (فيما يبدو) التي قدمها وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية كان دافعها الخوف من اتصالات مكاريوس مع جمال عبد الناصر والاتحاد السوفيتي ورغبة في وضع قبرص تحت مظلة حلف شمال الأطلسي كما أشير في أكثر من حديث ومناسبة ولم تتوقف المحاولات الرامية إلى إبعاد مكاريوس عن أصدقائه حتى لو أدى الأمر إلى محرقة بجزيرة وهي صغيرة كما كانوا يقولون، وعلى الرغم من تأكيد الساسة الإنجليز وهم خبثاء كما قال (نابليون بونابرت) ذات مرة وما أورده السيد ماكميلان في مذكراته إلا أنهم رأوا منذ ذلك الوقت أن الحل يكمن في التقسيم. وهذا أيضا قد أكده السيد ماكميلان عدة مرات، وقد حدث فعلا سنة ١٩٨٣م عندما أعلن القبارصة الأتراك جمهوريتهم الشمالية التركية (حدث فعلا التقسيم) وسوف نتحدث عن ذلك الوضع في مكانه..

وقد جرت أولى جولات المفاوضات أثناء وجود مكاريوس رئيسا للدولة وكانت قد بدأت في يوم ٢٨ ابريل سنة ١٩٧٥م أي أنها جاءت بعد الغزو التركي وهي الجولة التي قدم فيها الجانب التركي شروطه ورغبة في عدم افشال الجولة الأولى من التفاوض قبل الجانبان تشكيل لجنة لبحث ما تقدم به الجانب التركي وخصوصا ما يتعلق بالمطار الدولي في نيقوسيا الذي كانت القوات التركية قد احتلته أثناء حملة

الغزو ولأنه كان في ذلك الوقت المنفذ الوحيد للبلاد وصلتها بالعالم الخارجي وكانت الشروط التركية كما يلي

أولا: أن يكون للمطار مدير محايد ويجب أن يتم تعيينه من طرف الأمم المتحدة

ثانيا: أن يكون لمدير المطار نائبان أحدهما قبرصي تركي والآخر قبرصي يوناني.

ثالثا: أن يكون عدد الموظفين والفنيين القبارصة الأتراك في المطار مساويا لعدد القبارصة اليونانيين.

رابعا: أن تقتسم عائدات المطار المالية بالتساوي بين الطرفين

لكن الجانب القبرصي اليوناني رفض هذه المطالب أو الشروط التركية التعجيزية باعتبارها تخلق بذرة تجزئة بين الطائفتين، وتلافيا للموقف تم الاتفاق بين السيد فلافكوس كليريدس الذي ينوب عن الرئيس مكاريوس والسيد رؤوف دنكتاش الذي يمثل الطائفة القبرصية التركية على إجراء مفاوضات أخرى في جنيف خلال شهر يونيو ١٩٧٥م، وفي هذه الأثناء كان القبارصة الأتراك يمهدون الطريق لإعلان دولتهم المستقلة في الجانب الشمالي من الجزيرة تحت حماية القوات المسلحة التركية التي كانت ومازالت ترابط هناك وكان كل طرف يدبر أمر نفسه كانت الأمور تسير في اتجاهات أخرى مختلفة ومتعددة وفجأة مات الرئيس مكاريوس الرجل الذي كان يمسك بكل الخيوط أو كما يقال (العصا من منتصفها) وكان يجيد المناورة ويستخدم الدين والدولة في تحقيق النفوذ والتأثير داخليا وخارجيا، وجاء بعده ثلاثة رؤساء للجمهورية القبرصية لم يستطع أي منهم أن يغير من الواقع شيئا وبينما أقدم القبارصة الأتراك على إعلان دولتهم (جمهورية) وتسمت باسم (الجمهورية القبرصية الشمالية التركية) وحدث الإعلان في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٨٣م، وكان مكاريوس قد مات في ١٣ أغسطس ١٩٧٧م وبعده انتخب السيد (أسبيروس كبريانو) رئيسا لقبرص بعد مكاريوس.

وكان رصيده في تولي الرئاسة أنه الرجل الذي أتى به مكاريوس بعد عودته إلى الحكم وفشل الانقلاب العسكري، ثم بعد ذلك انتخب السيد (فاسيليو) رجل الأعمال الذي لم يكن له في السياسة القبرصية أو الدولية دور محدد أو معروف ولكن والده كان أحد أبرز المؤسسين للحزب الشيوعي القبرصي (أكيل) ولهذا فإن الحزب الشيوعي هذا قد أتى به رئيسا ربما مكافأة له عن دور والده على الرغم من أنه ليس شيوعيا وربما يكون متعاطفا مع الحزب الشيوعي وانتهز تلك الفرصة التي كان فيها الحزب قويا ومؤثر، ثم انتخب بأغلبية كبيرة (غلافكوس كليريدس) السياسي البارز والذي كان والده أيضا من أبرز سياسيي القبارصة والذي عمل في مجال السياسة طيلة حياته، ومن المعتقد أن كليريدس رغم تقدمه في السن سيبقى رئيسا أطول مدة ممكنة لأنه يحظى بمحبة وكان قد قاد أغلب جولات المفاوضات مع الجانب القبرصي التركي كما أنه يتمتع بعلاقات خاصة مع زعيم القبارصة الأتراك السيد رؤوف دنكتاش (إذ كان هناك من مجال في السياسة للعلاقات الخاصة، الشخصية) ولقد أصبح السيد دنكتاش رئيسا للجمهورية القبرصية الشمالية التركية التي أعلنت من جانب واحد ولم يعترف بها عالميا أحد ماعدا (تركيا) إلى وقت إعداد هذا الكتاب (١٩٩٥م)

ولقد كانت آخر جهود الأسقف مكاريوس قبل وفاته حضور مؤتمر (الكومنولث) في لندن خلال شهر يونيو سنة ١٩٧٧م حيث تحدث بإسهاب عن مأساة بلاده وظروف شعبه المعيشية الصعبة جراء الانقلاب اليوناني والاحتلال التركي وبعد عودته من ذلك المؤتمر تحدث في تجمع شعبي يوم ٢٠ يونيو ١٩٧٧م ذلك التجمع الذي كان محتجا على الانقلاب العسكري اليوناني والغزو التركي، وهذه ربما المرة الأولى التي يظهر فيها تجمع شعبي على إدانة عمل ينسب إلى اليونان وآخر إلى تركيا (رغم أن تركيا في الحقيقة هي المشجب الذي يستخدمه كل السياسيين في ساحة على اعتبار أنها مانع للوحدة مع اليونان، والواقع أن أولئك السياسيين أو على الأقل بعضهم يدركون في قرارة أنفسهم أن ذلك المطلب (الوحدة) غير ممكن التحقيق وغير موضوعي ولا حقيقي ولكن أحدا لم يجرؤ على البوح

بذلك علنا !!) وكما هي الحالة بالنسبة للمواطن القبرصي التركي بعد الانقلاب اليوناني والغزو التركي فقد صار مواطنا من الدرجة الثانية أمام ذلك التركي الوافد أو الذي جيء به من لواء الإسكندرون ليقيم في قبرص (ولهذا الإجراء تأثيرات عميقة الغور بعيدة الهدف) وصار السياسيون القبارصة الأتراك يقنعون بدور تركيا ولا يجرؤون على الحديث عن وضع المواطن القبرصي التركي (ومن الناحية الأمنية فقد وفرتها لهم تركيا فعلا ولكن من الناحية المعيشية فقد كانت تلك الحملة أو الغزوة وبالا عليهم) وكان خطاب مكاريوس في ذلك التجمع مؤثرا وبنبرة (كعادته) ركز فيه على ضرورة الاستمرار في النضال من أجل الاستقلال والحرية والحقوق الوطنية وطالب المواطنين بالمحافظة على حقوقهم وحرياتهم ويبدو أنها كانت بوادر تغير في الخطاب السياسي القبرصي اليوناني، ومن المعتقد أن مكاريوس لو عاش طويلا لكان قد أقدم على ما لم يستطع أحد الإقدام عليه بعده وهو التخلي تماما ورسميا عن مطلب الوحدة مع اليونان وربما يكون بعدئذ قد توصل إلى حل مع القبارصة الأتراك لكنه توفي بعد ثلاثة عشر يوما من تاريخ ذلك الخطاب، لقد مات بالسكتة القلبية كما أعلن رسميا ولعله كان يدرك أنه لن يعيش طويلا ليشهد اليوم الذي كان يتمناه وأن ذلك الخطاب الجماهيري كان توديعا حميما لا يدركه إلا الله.

ومع تولي (أسبيروس كبريانو) مهام رئاسة الجمهورية القبرصية تقدم القبارصة الأتراك خلال شهر أبريل ١٩٧٨م بأول مقترح حول الأرض والدستور وكانت الجولة الخامسة التي جرت في جنيف قبل وفاة الرئيس مكاريوس قد فشلت، وفي المقترح الجديد هذا أكد القبارصة الأتراك على تقسيم البلاد إلى جزءين يكون في كل جزء نظام حكم خاص بواحدة من الطوائف وطالبوا بضرورة الاعتراف بالإدارة التركية القائمة دون الإشارة إلى إعادة أي جزء من الأرض التي احتلت منذ البداية ووضح أنهم يضعون العربة أمام الحصان، ولم ينتج عن الاقتراح أي نتائج ثم في نوفمبر ١٩٧٨م تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بإطار عمل إلى الطرفين (الحكومة القبرصية والإدارة القبرصية التركية) بشأن استئناف المحادثات لحل المشكلة القبرصية على مشروع أمريكي كندي مشترك يقوم على أساس دولة اتحادية ذات

جزءين أحدهما خاص بالقبارصة الأتراك والآخر خاص بالقبارصة اليونانيين على أن تكون هناك حكومة مركزية بسلطات واسعة والمشروع قريب من المقترح الذي كان قد تقدم به الجانب القبرصي التركي إلا أن الحكومة القبرصية كان لها الكثير من التحفظات على المشروع لأنه كما قالت يتعارض مع مبادئ الأمم المتحدة وتوصياتها بشأن عودة اللاجئين إلى بيوتهم وانسحاب جميع القوات الأجنبية من البلاد، وكان المشروع الأمريكي الكندي يشير إلى عودة اللاجئين تدريجيا وحسب الظروف كذلك يذكر المشروع تمركز قوات أجنبية غربية حتى بعد الوصول إلى حل نهائي وهو ما يتفق مع أهداف حلف شمال الأطلسي في المنطقة.

واستمرت جهود الأمين العام للأمم المتحدة لترتيب لقاء مباحثات بين الطرفين، وفي مايو ١٩٧٨م تم لقاء بين خليفة مكاريوس الرئيس كبريانو وزعيم القبارصة الأتراك السيد دنكتاش حيث توصلا إلى اتفاق يتكون من عشر نقاط، كانت كما يلي:

١ – تم الاتفاق على مباشرة المحادثات المحلية في ١٥ يونيو ١٩٧٨م.

٢ – وستكون أسس المحادثات قائمة على ما تم بين مكاريوس ودنكتاش في ١٢ فبراير ١٩٧٧م وعلى قرار الأمم المتحدة المتعلق بقضية قبرص.

٣ – ويجب أن يكون هناك احترام لحقوق الإنسان والحرية الأساسية لكل المواطنين في الجمهورية.

٤ – ويجب أن تعطى الأولوية للوصول إلى اتفاق بشأن تسوية (فاروشا) تحت إشراف الأمم المتحدة بالتزامن مع بداية إعادة النظر في المحادثات الخاصة بالدستور ووضع الأراضي في تسوية عادلة وعندما يتم الاتفاق على (فاروشا) يجب أن يبدأ الاتفاق دون انتظار لنتائج المحادثات في شأن المواضيع المتعلقة بقضية قبرص.

٥ – المحادثات سوف تتعامل مع جميع الأمور الدستورية والأرضية.

٦ – وقد اتفق على الامتناع عن أي عمل يعرض للخطر نتائج المحادثات من أن يعطى اهتمام خاص من الطرفين لقضايا الحساسة وبناء الثقة والعودة إلى الأوضاع العادية.

٧ – وقد نظر إلى إخلاء الجمهورية من القوات العسكرية وسوف تناقش الأمور المتعلقة بذلك.

٨ – وأن استقلال وسيادة ووحدة أراضي الجمهورية القبرصية وعدم انحيازها يجب المحافظة عليها بدقة ضد الوحدة كجزء أو ككل مع أي بلد آخر وضد أي نوع من التجزئة أو الانفصال.

٩ – أن المحادثات المحلية سوف تستمر بشكل مناسب ودون أي إبطاء.

١٠ – سوف تبدأ المحادثات المحلية في نيقوسيا.

كانت هذه هي النقاط التي اتفق عليها في أول لقاء بين الطرفين في الوضع الجديد أي خلال فترة الرئاسة الجديدة بعد غياب مكاريوس. ويلاحظ أن أهم شيء جاء فيها هما التاسع والعاشر إذ قرر أن تكون المحادثات مناسبة وفي نيقوسيا وهذا يعني أن الطرفين ربما أدركا أنهما في حاجة إلى التخلص من الإشراف والضغط الخارجي، كذلك جاء النص في الفقرة (٨) أنهم يرفضون الوحدة أو التجزئة والانفصال، وهذا ما كان في الحقيقة موضع خلاف شديد منذ بدأت الأزمة القبرصية حيث أن القبارصة اليونانيين كانوا يطالبون أو يعملون من أجل الوحدة مع اليونان وهو الشيء الذي يرفضه بالمطلق تماما القبارصة الأتراك وفي المقابل يهددون بالانفصال أو الانضمام إلى تركيا، بمعنى تقسيم الجزيرة، ولو أمكن أن تنفذ هذه النصوص بصدق وإخلاص لكانت المشكلة قد حلت وربما يكون كبريانو ودنكتاش قد دخلا التاريخ بهذا العمل، ولكن مع الأسف لم يتم الاتفاق على شيء وسرعان ما تبخر الأمل (وعادت ريمه إلى عادتها القديمة كما يقول المثل العربي) ولعل تلك البنود التي جاءت في الاتفاق تمثل (صحوة الضمائر) إلا أن التدخلات والتصريحات والمناورات أفسدت ذلك الجو السياسي الذي كان قد ظهر فيه بعض الهدوء والأمل

ثم جاء قرار الأمم المتحدة الذي يطالب مرة أخرى بضرورة استئناف المحادثات في أسرع وقت ممكن وكان ذلك في ٩ نوفمبر ١٩٧٩م وقد شدد القرار على تعهد النقاط العشر التي اتفق عليها بإشراف الأمين العام للأمم المتحدة ولكن الجانب القبرصي التركي رفض القرار وهدد بإعلان دولة مستقلة في الجانب التركي من أرض الجزيرة، وبعد ضغوط ومحاولات اتفق الطرفان على مباشرة المباحثات على أن يكون هناك ما يؤكد ويضمن أمن وسلامة الطائفة القبرصية التركية، وفي هذه المرة أيضا لم ينتج عن المحادثات شيء، وبعد فترة اتفق على إجراء جولة ثامنة من المباحثات في ٩ أغسطس ١٩٨٠ وعلى أساس مشروع الدولة الاتحادية، وفي هذه المرة الثامنة قبل الجانب القبرصي اليوناني أن يبحث في موضوع الدولة الفيدرالية التي تقوم على منطقتين واحدة للقبارصة الأتراك والأخرى للقبارصة اليونانيين دون تحديد فواصل أي (حدود) بين الاثنتين مع وجود حكومة مركزية بصلاحيات واسعة وقوية (وكان القبارصة الأتراك في حالات سابقة يطالبون بأن تكون هناك حكومات محلية بصلاحيات واسعة وحكومة مركزية بصلاحيات محدودة) وهو الأمر الذي يرفضه الجانب القبرصي اليوناني على اعتبار أن الحكومة المركزية ما لم تكن ذات صلاحيات واسعة بحيث تقرر الأمور المتعلقة بالأمن والدفاع والخارجية وأمور الحكومة المحلية فإنها غير مفيدة، وبعد الكثير من الجدل والمحاولات رأت الحكومات القبرصية أن الحل الوحيد هو نقل الموضوع من جديد إلى المجتمع الدولي متمثلا في الجمعية العامة للأمم المتحدة. وهكذا تقدمت بطلب إلى الأمم المتحدة في ١٣ مايو ١٩٨٣م وقد اعتمد مجلس الأمن الدولي قرارا بالإجماع رقمه (٣٧ - ٢٥٣) يرفض فيه فرض الأمر الواقع ويدعو إلى السحب الفوري لكل القوات الأجنبية وحل سريع يرضي جميع الأطراف والمحافظة على سيادة واستقلال ووحدة أرض الجزيرة. وفي هذه الفترة عمل القبارصة الأتراك على اعتماد العملة التركية (الليرة) وإنشاء مصرف مركزي الشيء الذي اعتبره الجانب القبرصي اليوناني عملا انفصاليا وهو كذلك إعداد وترتيب من أجل ضم الجانب الشمالي من جزيرة قبرص إلى تركيا بالإضافة إلى أن المجلس التشريعي في

الجانب التركي قد صوت على إجراء استفتاء شعبي بشأن إعلان جمهورية تركية مستقلة ومن جانب واحد في الأراضي التي تقع تحت الإدارة القبرصية التركية، ومن أجل قطع الطريق على هذا الإجراء قدم الأمين العام للأمم المتحدة السيد (بيريز دي كويلار) في ٩ أغسطس ١٩٨٣م مقترحا في محاولة لتضييق شقة الخلاف بين الجانبين ورد الرئيس القبرصي كبريانو بالموافقة على المقترح بينما أعلن زعيم القبارصة الأتراك السيد دنكتاش أنه يرفض تلك المقترحات، وفي نفس الوقت طالبت الطائفة القبرصية التركية بضرورة الاعتراف بالحكم الذاتي للجانب القبرصي التركي والتخلي عن ادعاء تمثيل قبرص كلها، وبعد ذلك طالب السيد دنكتاش بعقد لقاء قمة مع الرئيس كبريانو للبحث في الأمر دون تحديد لجدول الأعمال أو أي مقترحات، وفي ١ نوفمبر ١٩٨٣م عاد المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة السيد (هوق قويي) من الخارج وبدأ مشاورات مع الأطراف المعنية إعدادا للقاء القمة المقترح بين دنكتاش وكبريانو ولكن في نفس ذلك الوقت أعلن المجلس التشريعي في الجانب القبرصي التركي عن إنشاء الجمهورية القبرصية التركية الشمالية وبعد هذا الإعلان لم تعترف أي دولة في العالم عدا تركيا بهذه الجمهورية وبذلك دخلت القضية القبرصية نفقا مظلما طويلا على الرغم من أن الأمين العام للأمم المتحدة قد حاول في يناير ١٩٨٤م أن يجدد مبادرته ورتب لقاءات على مستوى رفيع نتج عنها إطار عمل عرضه في أبريل سنة ١٩٨٦م قبله السيد دنكتاش زعيم الطائفة القبرصية التركية إلا أن الرئيس القبرصي كبريانو لم يلزم الجانب القبرصي اليوناني بشيء ما لم تتوسع بعض النقاط الهامة التي لم يذكرها إطار العمل لدى تقديمه الأمين العام في ذلك الوقت ولم يحدث بعد ذلك أي تقدم حتى انتهت رئاسة السيد كبريانو وانتخب بدلا منه السيد (جورج فاسيليو) في فبراير سنة ١٩٨٨م وقد تعهد الرئيس الجديد في أول خطاب له بأن يعمل على إيجاد حل لقضية قبرص (ومثل ذلك كان يقوله كل مسئول أو رئيس في أول موقف أو مباشرة عمل على اعتبار أنه مطلب وطني) وجرت ترتيبات حيث وجهت الدعوة من طرف الأمين العام لمباحثات مباشرة رغبة في الوصول إلى حل قبل تاريخ الأول

من يونيو ١٩٨٩م (أي أن الرئيس الجديد كان يعتقد أنه يمكنه أن يصل إلى حل للقضية المزمنة قبل مرور سنة واحدة من رئاسته وكأنه يملك عصا سحرية، والواقع أنه لم يكن قد تعامل مع القضية ولا عرف طريقة مساومات الأتراك) وعلى الرغم من أن بعض التقدم قد حدث إلا أن تسوية لم تتم وكالعادة استمرت المباحثات بين مد وجزر إلى أن انتهت رئاسة السيد فاسيليو الأولى في خضم تلك الظروف وكان يأمل أن يعاد انتخابه على الرغم من أنه لم يحقق ما كان ربما يصبو إليه في شكل معجزة دون أن يدرك أن العصر ليس عصر معجزات، وكان نجاحه في انتخابات الفترة الأولى للرئاسة كما ذكرنا بسبب تأييد الحزب الشيوعي القبرصي له لكن الظروف الدولية هذه المرة قد تغيرت وبدأ دور الاتحاد السوفيتي في التراجع بعد وصول السيد (جورباتشوف) إلى منصب السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي في موسكو وطرح أفكاره التي أدت إلى كارثة فيما بعد لذلك البلد الذي كان عظيما. أفكاره تلك المتمثلة فيما عرف باسم (البيريسترويكا) أي الإصلاح والثانية باسم (قلازنوست) أي الانفتاح في الفكر والواقع أنه لم يصلح شيئا وربما خرب ولم يحدث انفتاح وربما حدث فوضى، وبذلك انهارت الدولة التي كانت تتقاسم النفوذ في العالم مع الولايات المتحدة الأمريكية ومن هنا تخلى الاتحاد السوفيتي عن دوره في العالم وصارت الأحزاب الشيوعية في مهب الريح ولهذا تضاءل دور الحزب الشيوعي القبرصي اليوناني مثله مثل بقية الأحزاب الشيوعية الأخرى في العالم بل إن تلك الأحزاب صارت تتخلص حتى من أسمائها قبل أن تفقد مواقعها ومكانتها في البلدان التي كانت تنشط بها، وعلى الرغم من أن الحزب الشيوعي القبرصي من الأحزاب المنظمة و لديه وتاريخه طويل في العمل السياسي والحزبي التنظيمي، وكان فاسيليو قد رشح نفسه لفترة جديدة دون أن يدرك تلك الحقيقة فسقط سقوطا مروعا ومن ثم عاد يباشر أعماله التجارية. وجاء بعده السيد (قلافكوس كليريدس) السياسي المخضرم ورجل الحرب الذي عاصر الأحداث والمفاوضات في قبرص منذ ما قبل الاستقلال وبذلك يكون الرئيس الثالث لقبرص بعد وفاة مكاريوس وكانت الكنيسة التي تلعب دورا بارزا في الحياة

الاجتماعية والسياسية في قبرص قد انفصلت عن الدولة بعد وفاة مكاريوس الذي كان يمسك بالاثنين معا (أي الدولة والكنيسة) وبفصل الكنيسة عن الدولة حصل الاستقطاب ثنائيا ومن هنا صارت الكنيسة تلعب دورا منفصلا ومهما في قضايا البلاد فإذا وقف الأسقف الجديد مع مرشح ما فمن ورائه يكون كبيرا ودعما والكنيسة بالضرورة ضد الشيوعية والأحزاب التي تعتمد تلك العقيدة في كل وقت وكل زمان منذ ظهرت الشيوعية (فيما عدا عهد مكاريوس الذي كان يستخدم كل الأحزاب في قبرص بما فيها الحزب الشيوعي) والرئيس الجديد سياسي ورئيس حزب كبير يمثل تجمع الوسط في قبرص وقد جاء للرئاسة في زمن مختلف ووضع عالمي ربما يكون مناسبا له وكان والده أيضا من أبرز الساسة القبارصة اليونانيين قبل الاستقلال، وكان الأسقف مكاريوس قد حاول إضعافه بعد عودته إلى الحكم عندما فشل الانقلاب اليوناني (ربما لأنه اعتقد أن بعض تصريحاته عندما كان رئيسا بالوكالة في غياب مكاريوس انتقاص منه أو هي على حسابه ولقد حدث فعلا أن الإذاعة القبرصية اليونانية كانت في البداية عندما تذكر اسمه يقترن بتعبير (الرئيس بالوكالة) لكنها سرعان ما صارت تقول (رئيس الجمهورية) ومن أكثر ما أفسد الإعلام من علاقات بين الناس زعماء وغير زعماء) لكن كليريدس حتى بعد عودة مكاريوس وتغيير حزبه واختيار سكرتير عام آخر للحزب قد استمر في خضم العمل الحزبي والسياسي إلى أن وصل إلى الرئاسة وعلى الرغم من تقدمه في السن حيث كان في حدود السبعين سنة عند انتخابه إلا أنه من المتوقع أن يبقى في سدة رئاسة الجمهورية القبرصية أطول مدة ممكنة، والواقع أن النظام الجمهوري في قبرص نظام رئاسي ديمقراطي بكل ما تحمل كلمة (ديمقراطية) من معنى، فيه للصحافة سلطة قاطعة وهي السلطة الرابعة بالفعل. وربما كانت الديمقراطية التي تمارس هناك منذ بداية الحكم الوطني سببا رئيسيا في عدم نجاح الحكم العسكري في البلاد (الذي قام به ضباط الحرس الوطني القبرصي كما ذكرنا) مع عوامل أخرى بطبيعة الحال تلك التي كانت سببا في إفشال أول انقلاب عسكري ورئيس الجمهورية هو رئيس مجلس الوزراء وهو الذي يختار هؤلاء الوزراء الذين يمثلون

الجهاز التنفيذي وتجري محاسبتهم حسب القانون في مجلس البرلمان ولا يجوز دستوريا لرئيس الجمهورية أن يحل مجلس البرلمان (النواب) إلا مرة واحدة وأذكر أن حادثة خلاف وقعت في عهد الرئيس (أسبيروس كبريانو) وكانت بينه وبين أعضاء البرلمان والتي انتصر فيها البرلمان عندما احتكم الرئيس إلى المحكمة العليا. والتفاصيل في تلك الحادثة كما يلي:

(تردد في البرلمان أن الرئيس بدأ يستخدم الإذاعة والتليفزيون فيما لا يخدم الشعب وأنه أكثر من الظهور في غير المناسبات الرسمية مما يعطي انطباعا أنه يسعى إلى أن يجعل التليفزيون والإذاعة في خدمته الشخصية، وكانت مؤسسة الإذاعة والتليفزيون تتبع وزير شئون الرئاسة حينئذ بمعنى أنه لا يوجد وزير إعلام، فتقدم الحزب الشيوعي (أكيل) بمقترح إلى البرلمان مطالبا بجعل مؤسسة الإذاعة والتليفزيون هذه تحت تصرف البرلمان وليس الرئاسة للحد من استغلالها في غير صالح المواطنين والبلاد، وعندما ناقش البرلمان ذلك الاقتراح وافق عليه وأصدر قرارا بنقل مسئولية مؤسسة الإذاعة والتليفزيون إلى لجنة شئون الإعلام في البرلمان وبذلك لم يعد للرئاسة سيطرة عليها، وما كان من الرئيس إلا أن تقدم بشكوى إلى المحكمة العليا ذاكرا أن البرلمان قد سلب اختصاصه لكن المحكمة العليا بعد البحث والمناقشة أصدرت حكما مؤيدا لقرار البرلمان على اعتبار أن الإعلام في خدمة مصالح الناس وأن البرلمان يمثل هؤلاء الناس وأنه أحق من رئيس الجمهورية برعاية تلك المصالح، وهكذا انتهت القضية لصالح البرلمان وخضع الرئيس لحكم المحكمة وصارت الإذاعة والتليفزيون منذ تلك اللحظة تابعة للجنة الإعلام في البرلمان) أسوق هذه الحادثة للتدليل على عمق وتأصل الإحساس باحترام الدستور ومؤسسات القضاء والقوانين التي تحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبالتالي الديمقراطية الناضجة والحقيقية.

وفي قبرص عدة أحزاب منها أربعة رئيسية، وكل تلك الأحزاب تلعب دورا هاما في السياسة القبرصية كل منها حسب عدد أعضائه في البرلمان (كان عدد

أعضاء البرلمان ٣٥ عضوا ثم زيد عدد الأعضاء فصار ٥٥ عضوا) والأحزاب الهامة أو الكبيرة نسبيا هي:

١ - حزب الوسط الديمقراطي ويعرف اختصارا باسم (إيدك) وهو حزب اشتراكي مؤيد لقضايا التحرر ورئيسه الدكتور (فاسوس ليساريدس) ولهذا الرئيس علاقات دولية كبيرة وعلاقات مع أغلب منظمات النضال الوطني في العالم وهو مؤيد بلا تحفظ للقضايا العربية وعلى رأسها قضية الشعب الفلسطيني، وسياسة الحزب وطنية تحررية اشتراكية معتدلة، والدكتور ليساريدس بالإضافة إلى أنه سياسي كبير وقد لعب دورا بارزا في سياسة بلاده فهو شاعر ورسام وطبيب بشري ممتاز، وظل صديقا لمكاريوس طيلة حياته..

٢ - الحزب المجدد للشعب العامل ويعرف اختصارا باسم (أكيل) وهو الحزب الشيوعي الوحيد في قبرص وربما الحزب الشيوعي الوحيد في العالم الغني ماليا وهو في الواقع غني جدا لذلك كان أقوى الأحزاب القبرصية (قبل انهيار النظام الشيوعي السوفيتي) وكانت له عدة مقاعد في البرلمان تؤهله أحيانا لرئاسة البرلمان لكن قيادته لم تفعل ذلك أبدا وربما كان قادته هؤلاء يمارسون توجيه الأمور السياسية وترتيب وظائف الدولة من وراء الكواليس ويقولون إنهم يتحاشون إثارة القوى اليمينية بمعنى (إثارة الغرب) ومنه بطبيعة الحال البلد الذي يلعب دورا كبيرا دائما أي (اليونان) وعلاقات الحزب بالدول الشيوعية كما هي العادة بالنسبة للأحزاب الشيوعية قوية جدا وخصوصا مع الاتحاد السوفيتي (السابق) ومؤسسات الحزب التجارية تسيطر على ٩٪ من التجارة من وإلى قبرص عبر تلك الدول ولابد أنه سوف يتأثر ماليا وتجاريا وحتى سياسيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وانتهاء الشيوعية في أوروبا الشرقية على أن الحزب لم يفعل مثل بقية الأحزاب الشيوعية في العالم التي بادرت بتغيير أسمائها (ربما لإرضاء أهل النظام العالمي الجديد، أي أمريكا) وربما احتفظ باسمه كما هو وربما سيتمكن من الاحتفاظ بنفوذه في قبرص لمدة أطول ما

يقدم من خدمات اجتماعية للمواطنين في قبرص. وقد كان يتزعم هذا الحزب السياسي الشيوعي المحترم السيد (أزيكياس بابايونو) وعندما توفي تولى زعامة الحزب أحد أعضاء المكتب السياسي وهو السيد (كريستوفيدس).

٣ - الحزب المتحد للجبهة الوطنية ويعرف اختصاراً باسم (أبيون) وهو في الحقيقة يمثل تجمعاً سياسياً من مختلف القوى وقد استطاع زعيمه السيد (فلافكوس كليريدس) رئيس الجمهورية الحالي أن يقوده بحنكة ودراية بحيث يكون منافساً قوياً لكل المرشحين في مختلف مراحل العمل السياسي والحزبي في قبرص وكانت له أغلبية مقاعد البرلمان بحيث أصبح زعيمه رئيساً للبرلمان (حسب اللائحة البرلمانية) وذلك قبل الانقلاب العسكري الذي حدث سنة ١٩٧٤م وكان تبعاً لرئاسته للبرلمان نائباً لرئيس الجمهورية (حسب نص الدستور) وقاد قبرص بعد فشل الانقلاب إلى أن عاد مكاريوس من الخارج، وكليريدس حقق نصراً حاسماً في الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٩٣م وكان في عمله وسياسته موالياً للغرب من مناصري تيار الوحدة مع اليونان (ربما يكون قد غير رأيه الآن في قضية الوحدة بعد الأحداث التي مرت بها البلاد وكذلك تغير التوازن الدولي في العالم)..

٤ - الجبهة التقدمية لاتحاد الفلاحين، وهي حزب وطني أيضاً يمثل تجمعاً يغلب عليه شكل العمال والفلاحين وكان له عدد من النواب في البرلمان باستمرار وإن لم يحصل على أكثر من ربع الأعضاء في أي مرحلة من عمر ذلك البرلمان، ويتزعم هذا الحزب السيد (حجي هيراكليس)..

هذه هي الأحزاب الرئيسية في جانب الدولة القبرصية اليونانية (أي الجانب الذي مازال عضواً في الأمم المتحدة ويعترف به العالم على أنه الجمهورية القبرصية) ولكل حزب من هذه الأحزاب جرائده ومجلاته الخاصة وحتى نواديه الرياضية ومؤسساته الشبابية وهناك أحزاب صغيرة أخرى، كما أن الجانب القبرصي التركي كانت فيه أحزاب سياسية كبيرة قبل الانفصال وبعد أن أعلنت في

ذلك الجانب الجمهورية القبرصية التركية الشمالية استمرت تلك الأحزاب وتكونت أخرى وهناك صحف تابعة لتلك الأحزاب كما نشأت مؤسسات في تلك الجمهورية كالنقابات والاتحادات العمالية وبطبيعة الحال مجلس للوزراء ومجلس للبرلمان ... إلخ

وفي الجانب القبرصي اليوناني وحده هناك خمس عشرة نقابة ومنظمة واتحاداً عمالياً وزراعياً ومهنياً كاتحاد الشباب والعمال والفلاحين والمرأة والطلاب إلخ. وهناك أيضاً العديد من الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية الحزبية والمستقلة والحكومية أيضاً، وتتمتع الصحافة بحرية كاملة وبذلك فهي تلعب دوراً في توجيه الرأي العام وسياسة البلاد وللصحفي ضمانات قانونية كاملة ومحترمة في عمله، وقد بلغ عدد الصحف في مرحلة ما (ستين صحيفة بين يومية وصحف شهرية وأسبوعية وشهرية وأغلبها باللغة اليونانية ما عدا ثلاث صحف تصدر باللغة الإنجليزية) وهناك في الجانب القبرصي التركي صحف تصدر باللغة التركية وأهم تلك الصحف هي (الفجر الجديد - صديق الحرية - الأخبار - النضال - المعركة - بريد قبرص - الوطن - الظهيرة - السلام - البرهان - الشعب الحر - الشجاعة - الجمهور..).

الفصل السادس

عود على بدء

وفي الناس من يستحق القلوب	وذا قد تجاوز حد الصفة
وما كل من كان ذا قوة	يباري الضعيف إذا استضعفه
ويرعى صديقا غالبا من	الذي في مثل ما صرفه
ولو شئت عرّفته من أنا	وإن كان بلا جهدٍ للمعرفة
وفرعون يعرف من ربه	ولكن طغيانه سوّفه
وهل من تعرّض لي بالهجا	ومن عرضه أين خلّفه

شاعر عربي

وقال

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه	يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

لقد استعرضنا باختصار ما نعتقد أنه مفيد من الأحداث والضرورات والأسباب الأمنية والسياسية التي أدت إلى القيام بالفتح العربي لقبرص في عهد الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) وكذلك أحوال العرب خلال تلك الفترة وقبلها وبروز دولتهم ورجالهم الذين حملوا رسالة العدل والإيمان، رسالة النبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك لازماً، ثم مررنا بحالة قبرص قبل الغزو الإسلامي وبعده وما حدث فيها ولها حيث وصلنا إلى آخر غزو إسلامي وإن لم يكن عربياً في العصر الذي نعيشه ونظرنا أيضاً باختصار إلى التفرق بينهم سياسياً وعسكرياً واجتماعياً ومن الطبيعي أنه ليس هناك حادث بلا أسباب ولا تغيير بلا سوابق. ولم يحدث أن ظهرت دولة وكبرت وتوسعت دون حروب وضرورات واحتلال. لم يحدث منذ قابيل وهابيل (رغم عدم وجود ما عرف بالدولة آنئذ) حتى هذا اليوم. ولكن عندما ندرس الأسباب والنتائج تختلف الرؤى وربما يكون من الخاطئ أن نقول إن هناك من صنع التاريخ من لا يقرأ التاريخ ولكن ليس من الممكن ولا من المعقول والمقبول أن يكون الذين يكتبون التاريخ لا يفهمون أحداث التاريخ. ولقد حدث مع الأسف أن بعض المستشرقين الذين كتبوا تاريخ الشرق أو عن أحداث تاريخ الشرق العربي الإسلامي بالذات قد اختلقوا وبحثوا وزوروا، اختلقوا الأحداث وصوروها بحيث أساءوا للقادة والزعماء والمناضلين وحتى الأئمة، وإلا كيف لعاقل أن يقبل ما نسبوه لهارون الرشيد وغيره. فقد صوروه على أنه لا هم ولا عمل له ولا شغل غير الطرب والجواري والحريم ومعاقرة الخمر! في حين أنه قارئ للقرآن الكريم والسنة المحمدية وحافظ للأحاديث وشاعر وحافظ للشعر كما أنه محدّث بارع. كيف يمكن لرجل لا يصحو من السكر أن يحفظ آلاف الأبيات من الشعر وأن يناقش الشعراء ويصححهم

في أشعارهم و المتحدثين في أحاديثهم، وكيف يمكنه أن يستدل بالآيات القرآنية ويهتدي بالأحاديث النبوية الشريفة؟ كيف يمكن أن يكون هذا رجلاً وقائداً عربياً مغموراً؟! ذلك مثال واحد إذ ما فكر فيه أي قارئ متمعن لوجد أن هؤلاء الذين كتبوا قصصهم ونسبوها إلى أحداث تاريخية إنما يقصدون الإساءة والتزوير، ومن هنا نقول إن كتاباتهم عن أحداث تاريخية كانت من خلال وجهات نظر دينية مسيحية تعصبية حاقدة (والمسيح براء من ذلك) كتابات تنطلق من عداء مقيت ومستحكم للإسلام والمسلمين كانت وما زالت تمولها جمعيات ومؤسسات سرية ليست من المسيحية الحقّة ولا علاقة لها بمبادئ السيد المسيح والذين يحتمون الآن بالخارجين على الإسلام ويقدمون لهم الجوائز والمساعدات هم قطعاً من أعضاء تلك الجمعيات السرية اللادينية والتي تستهدف من أعمالها خلق التناقض والعداء بين الدينين السمحين (الإسلام والمسيحية)..

ونعود إلى موضوعنا في هذا الفصل وهو محاولة تصحيح بعض الأخطاء التي وقع فيها الذين كتبوا عن تلك الفترة وخصوصاً من القبارصة اليونانيين لأننا نعتقد أنه لا يوجد عداء بين العرب المسلمين والقبارصة اليونانيين الأرثوذكس ومن الغريب أن يلاحظ قارئ تاريخ قبرص وأحداث ذلك التاريخ القديم جداً والقديم والمعاصر وحتى الحديث وهو جميعه مع استثناء بسيط كتبه مستشرقون أوروبيون وحتى القلة من القبارصة المعاصرين ممن كتبوا في أحداث تاريخ بلادهم يجمعون على تسمية فترة الحكم العربي بتعبير (حملات العرب) بينما يسمون فترات بقية التاريخ بأسمائها كالقول (العهد الهيلينيقي والعهد المصري الفرعوني والفارسي والروماني والبيزنطي والتركي والبريطاني.. الخ) كأنما العرب قد زاروا جزيرة قبرص خلال أيام أو شهور ثم غادروها ولم يتركوا إلا الخراب والدمار أو كأنهم لم يستمروا فيها فاتحين وحاكمين أو متقاسمين الحكم من سنة ٦٤٨ م إلى سنة ٩٦٣م!! كذلك كأن بقية الغزوات مصرية فرعونية وفينيقية وفارسية ورومانية وهيلينية وبيزنطية وتركية وصليبية وإنجليزية كانت برداً وسلاماً على البلاد والعباد ولم يقتصر ذلك على كتب التاريخ وإنما حتى في كتيبات إرشادية وزنامات سنوية

دعائية ومجلات دورية، وذلك جميعاً مغرض ومخالف ومتجن على الإسلام والعروبة ولعله يكون مفيداً أن نشير إلى بعض من تلك الكتابات القبرصية بالذات لأننا نعتقد أن أولئك الكتاب القبارصة المعاصرين وهم على اتصال دائم ببلاد العرب وتاريخ العرب كان يجب أن يكونوا منصفين نسبياً و لا يسيروا في طريق أولئك المتعصبين المغرضين دينياً وسياسياً الذين زوروا تاريخ الشرق كله، وهذه أمثلة على ما نقول:

يتحدث مؤلف كتاب تاريخ قبرص (١) السيد كوستاس كيريس الذي أصدره سنة ١٩٨٥م فيقول: (كانت فترة الحملات العربية (٦٤٩ - ٩٦٣م) فترة صعوبات كثيرة وكبيرة بالنسبة للقبارصة اليونانيين ففي الحملة الأولى تحت قيادة معاوية فإن العاصمة (كونستانتيا) قد نهبت ومبنى (سنت إبيفانيوس) الروماني دمر نهائياً أخذ الآلاف من الذين لجأوا إلى المدينة أسرى أو هم قتلوا ولكن الأسطول البيزنطي وصل فجعل العرب يهربون هكذا بالضبط (يهربون !!) هذا ما قاله الكاتب على الصفحة ١٧٦ من كتابه !! وأذكر أنني ذهبت إليه في بيته بنيقوسيا لمناقشته فيما كتب لكنه تهرب بالقول إن كتاباته باليونانية حاليا ولابد أن الترجمات خاطئة، وإنه ليس ضد العرب لا قديما ولا حديثا قلت إن الأمر ليس فيما إذ كان الكاتب ضد أو مع وإنما هناك أمانة تاريخية على الكاتب أن يراعيها، وقد وعد بأن يبعث إليّ أحد كتبه التي صدرت حديثاً وتتناول تاريخ الشرق لكنه لم يفعل ومن جانبي لم ألقه بعد تلك المرة، كذلك أذكر أنني ناقشت الموضوع مع الدكتور فاسوس ليساريدس بحضور زوجته السيدة باربارا ليساريدس وهي مهتمة بالتاريخ والجغرافيا ولها كتابات عديدة (كنت قد ترجمت كتابها المعنون - ثورة الأدغال) ووعدت بالبحث في هذا الشأن. ومع الأسف فإن الكاتب (السيد كوستاس كيريس) لم يتحدث عن الغزو العربي الذي قام به معاوية ولا الصلح الذي تم بين العرب المسلمين والقبارصة اليونانيين بعد السيطرة على البلاد ولا كيف تعهد القبارصة بالبقاء على الحياد وإبلاغ العرب فيما بعد إذا ما حدث أي نشاط معادٍ لهم كما تعهدوا أنهم لن يسمحوا بأن تستخدم جزيرة قبرص كمركز للعدوان مرة أخرى على

شواطئ الشام وهي قريبة من قبرص وكانت مركز قيادة للأمير معاوية بن أبي سفيان، ولا أن العرب عندما غزوا قبرص لم يكونوا محتلين وإنما كانوا يريدون تأمين حدود دولتهم بحياد البلاد القريبة منها كحالة قبرص. ولقد قفز هذا الكاتب مباشرة إلى أن الأسطول البيزنطي وصل فطرد العرب !! ولابد أن نذكر مرة أخرى ببداية الغزوة تلك وما حدث فيها لكن ذلك يعني هذا الذي قاله المؤلف القبرصي اليوناني.

فقد حدث أن الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) كان قد وافق على القيام بالحملة العربية على قبرص لتأمين أطراف الشام من هجمات الغزاة الأعداء الذين اتخذوا من قبرص قاعدة لأساطيلهم البحرية. ذلك الطلب الذي كان يلح عليه معاوية بن أبي سفيان أثناء عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وكان يرفضه الخليفة في كل مرة، وعندما جهز معاوية أسطولا عربيا أرسل تلك الحملة (كما قلنا بعد موافقة عثمان بن عفان) وساعده في الحملة تلك والي مصر ابن أبي السرح، وعندما احتل الأسطول العربي أغلب أجزاء أراضي قبرص (ولابد أن نقول إن قتالا قد حدث بينهم وبين أهل البلاد ذلك أنه لا يمكن أن يحتل العرب البلاد دون قتال) عندما احتلوها فرضوا الجزية على القبارصة (وهذه قاعدة إسلامية ومبدأ طبق على جميع الشعوب غير المسلمة التي خضعت لهم أو هم أخضعوها) والجزية التي فرضها العرب كانت عادلة بدليل أنهم لم يفرضوا إلا نفس القيمة التي كان يدفعها القبارصة لليونانيين بل إنهم تركوا القبارصة أحرارا فيما يتصل بما يدفع لليونانيين فإن أرادوا أن يدفعوا للطرفين كان لهم ذلك وإن هم توقفوا عن الدفع لليونان فذلك شأنهم والشرط الوحيد الذي اشترطه العرب مقابل الانسحاب من البلاد نهائيا وتركها لأهلها (علما بأنه لم يبق في جزيرة قبرص عربي واحد أثناء الغزو الأول) الشرط الوحيد كان يقول إن قبرص يجب أن تكون محايدة ولا يجوز للقبارصة السماح باستخدام قبرص في العدوان على بلاد العرب. كان ذلك سنة ٦٤٩م ولما خان القبارصة اليونانيون ما تعهدوا به (وإن عنيين أو مجبرين) عاد العرب مرة ثانية بغزو الجزيرة والسيطرة عليها، وفي هذه المرة كان لابد لهم من الإبقاء فيها لأن وجود قوات أجنبية بها يمثل خطرا عليهم وعلى بلادهم. وكان ذلك سنة ٦٥٣م

حيث أبقى العرب بعد الحملة أو الغزوة الثانية تلك على أرض قبرص حامية عسكرية وتحديدا في مدينة (بافوس) وهذه المدينة كما هو معروف تقع في الجانب الغربي من الجزيرة وكان العدو دائما يأتي من الغرب ولهذا فإن العرب بالبقاء هناك يضمنون إبقاء القوات الأجنبية بعيدة عنهم، هذا ما حدث تماما، أي أن العرب انسحبوا بعد فرض ما أرادوه على البلاد التي احتلوها (قبرص) ولم يفروا عندما جاء الأسطول البيزنطي (كما قال السيد كومستاس) وقد استعمل التعبير نفسه (فروا).. ثم نجده يستمر في الحديث عن الغارات العربية قائلا

إن الوضع الذي أنشئ لقبرص وفقًا طبعًا لعدة مصادر، غالبا عربية هو الجهاد أو التنافس بين البيزنطيين والعرب (قتال ضد الإسلام) أي أنه يقصد بين البيزنطيين والإسلام، ذلك الذي أدت محاولته إلى حملة عربية سنة (٦٥٣ – ٦٤٤م) كانت نتيجتها التدمير الكامل لمدينة (كوستانتيا) ومدينة بافوس (وليس لابيثوس كما كان معروفًا إلى وقت قريب نتيجة لفهم خاطئ) وفي بافوس تأسست حامية عربية أما سكان العديد من المدن الساحلية فقد فروا إلى الجبال حاملين بعض ممتلكاتهم حيث أقاموا فيما بعد مدنا هناك. وقد اتبع نفس أسلوب بناء المدن الجديدة في الجبال كحالة لابيثوس وكيروكارباتوس إلا أنه في المراحل الأولى من الغزوات فإنه حتى الهضاب والجبال بكهوفها لم توفر حماية لليونانيين الذين كانوا يختبئون كالخراف طبقا لمصدر سوري، وفي الواقع أن الغزوة العربية الثانية (٦٥٣م) كانت جزءا من مشروع عدواني يستهدف فتح الطريق لاحتلال القسطنطينية وليس هدنة اتفاقية كانت قد وقعت سنة ٦٤٩م وانتهكت سنة ٦٥٣م وإذا كانت هناك اتفاقية قد وقعت وتحوي حكمًا ثنائيًا أو حيادًا في قبرص فتكون في سنة ٦٥٣م أو بعد ذلك التاريخ.. انتهى).

يرى المؤلف هنا يخالف حتى ما كان قد ذكره هو نفسه، فإذا كان العرب احتلوا قبرص سنة (٦٤٨م) وهو ما حدث فعلا فلماذا تركوها وهي جزيرة هامة ومركز استراتيجي عظيم ما لم يكن هناك اتفاق أو معاهدة مع ؟ هذا أولا ثم لماذا

عادوا إليها مرة أخرى بعد ست سنوات ليحتلوها ويبنوا فيها حامية عسكرية وفي مدينة بافوس بالذات وهي أبعد مدينة قبرصية في اتجاه الغرب من أرض الجزيرة ؟ ثم كيف يمكن أن يكون هناك تنسيق مع البيزنطيين على موقع استراتيجي هام وهم في حالة حرب مع العرب ؟ وبداهة فإن العرب وقد احتلوا جزيرة قبرص كان يمكن أن يبقوا بها لو أنهم أرادوا الاستعمار ولا يعقل أن يتركوا لأعدائهم مكانا استراتيجيا هاما كقبرص بعد أن استولوا عليها؟ ربما قال المؤلف إنهم عادوا إلى قبرص سنة ٦٥٣ م لأنهم أرادوا فتح الطريق إلى القسطنطينية هي عدوانهم !! إذن أين البيزنطيون في قبرص الذين صدوا أسطولهم العرب إذ كان هؤلاء العرب يريدون فتح عاصمتهم باحتلالهم لقبرص مرة ثانية وجعلها طريقًا إلى تلك العاصمة ؟ ثم كيف يكون معتديا من كان في حالة حرب مع الطرف الآخر؟ أما التعبير الذي ذكره المؤلف (يسوقونهم كالخراف، وقال إنه من مصدر سوري (لم يذكر اسم المصدر السوري) فإنه لا تعليق لنا عليه لأننا لم نسمع بجندي استعمل عبارات من الحرير مع عدو يحاربه أو أسير اعتقله !!

ونجد مؤلفًا آخر وهو قبرصي أيضا يصدر (كتيبا) بعنوان (مختصر من التاريخ القبرصي من الزمن القديم جدا إلى الوقت المعاصر) يقول فيه عن الغزوات العربية ما يلي :

(الغزو العربي لقبرص (القرن ٧ إلى ١٠ ميلاديا) أضاف إلى تطور الحياة الدينية التي كانت نتيجتها أن عرفت قبرص باسم (جزيرة القديسين) فإن قبرص كمقاطعة بيزنطية تمثل شيئا محددا خلال القرون الأولى ولكنه من الطبيعي جدا أن نص الكليريكي للتطور قد أحدث فعلا تقدما في عهد الظهور خلال القرن الرابع الميلادي، وبعد جاءت هذه الغزوات كنتيجة لانتشار الديانة المحمدية بين العرب، وهناك أجزاء من بقايا هذه الغزوة الأولى على قبرص معروفة جيدا في العهد المحمدي (لم يقل إنه مسجد) قرب (لارنكا) يعرف باسم (أم حرام) حيث دفنت وهي قريبة محمد ويعود هذا إلى تلك الأيام التي جاء فيها الغزو بقيادة معاوية

سنة ٦٤٧م ولقد أجبر المسيحيون من أجل أن يحموا أنفسهم من الغزوات العربية أن يتركوا المدن الساحلية ويلجأوا إلى المواحل في الجزيرة وليس بعيد، عندما اكتشف كهف في منطقة الجبال الشمالية الذي أظهر أن المسيحيين قد لجأوا إليه هروبا من الهجمات العربية، ولقد أحدثت هذه الغزوات دمارا كبيرا خصوصا في مباني الكنائس ولهذا السبب فإنه لا توجد كنيسة واحدة تعود إلى تاريخ تلك السنوات، وعلى أي حال فإن الجزيرة حررها من العرب الجنرال (نيسيتاس شالكوريس) سنة ٩٦٥ الذي كان يعمل تحت قيادة الإمبراطور (نيسيفورس فوكسا) انتهى

هنا أيضا هذا المؤلف لا يشير إلا إلى الكنائس التي يقول إن العرب قد دمروها وإن المسيحيين قد لجأوا إلى الكهوف في الجبال الشمالية من قبرص مقاطعة بيزنطية. وهذا الكلام ورد ويرد حتى في الرزنامات القبرصية السنوية مثل رزنامة سنة ١٩٩٠م التي كانت صادرة تحت عنوان (الدليل الأزرق لقبرص) ورزنامة سنة ١٩٩٢م ونعتقد أنه كان من الواجب على من يكتب التاريخ أن يتحرى الحقيقة وأن يكون منصفا وبشكل أخص أولئك الذين يكتبون في أحداث تاريخهم الوطني مثل (حالة المؤرخين القبارصة اليونانيين) إلا أننا وجدناهم ينقلون حرفيا ما كان قد كتبه المستشرقون الأوروبيون الذين كانت وربما ما زالت تحكمهم عقلية التعصب الصليبي ضد العرب والمسلمين، ومثال على ذلك :

(يقول مؤلف تاريخ قبرص الشهير جورج هيل، لقد كان في سنة ٦٣٢م (إذا أمكننا أن نصدق المؤرخ ليوسامي المستشرق، أن المؤرخين لم يكونوا على علم بشيء من القصة) عندما ظهر العرب المرة لأول مرة في قبرص على عهد الخليفة أبي بكر، ونحن ليس لدينا أي تفاصيل عن تلك الغزوة فيما عدا رواية مشكوكٌ فيها تقول إن ابنة أبي بكر هي ماتت في قبرص وأن قبرها في تكية هالا سلطان قرب لارنكا ومن المحتمل أن ذلك لم يحدث وعلى أي حال فإن الغزو العربي الكامل كان خلال فترة كونستانس الثاني في سنوات (٦٤١ – ٦٦٨م) حيث أقنع معاوية أمير سوريا الخليفة عثمان، وكان نفس الطلب السابق قد رفض في عهد عمر، سمح عثمان

قوميتهم ودينهم وقد اتضح ذلك في المجمع المسكوني الذي شارك فيه القبارصة، وبسمو الدور الاجتماعي والسياسي للكنيسة، وبعمقه. لقد كانت غزوة أبي الأعور ومعاوية سنة ٦٥٢ م المدمرة مجبرة لسكان الساحل على الهجرة برا إلى الكهوف وأماكن اختفاء أخرى في الجبال، وبعد أن حوصرت كوستانتيا لمدة أربعين يوما من طرف أبي الأعور الذي سحب اللاجئين خارج الكهوف كما تسحب الخراف عبث بالمدينة .) انتهى من كتاب كوستاس كيريس.

وهنا نرى الفرق الوحيد بين الكاتب الإنجليزي والكاتب القبرصي حول هذه الهمجية هو في التعبير، فقد قال الأول إن أبا الأعور قد سحب اللاجئين من الكهوف كما يسحب البيض من العش المهجور، بينما قال الثاني إنهم سحبوا كالخراف (!!) ولسنا في حاجة إلى أي تعليق على هذه التعبيرات ولكن الذي نعرفه وتؤكده أحداث التاريخ الحقيقي لتلك الفترة أن الغزوة الأولى انتهت بانسحاب العرب بعد أن سيطروا على الجزيرة بالكامل وبعد أن وقعوا اتفاقا مع أهلها على التعاون معهم وعلى عدم السماح باستخدام جزيرتهم من طرف العدو بمعنى أنها يجب أن تكون محايدة وفرضوا عليهم الجزية دون أن يفرضوا عليهم عدم دفع ما كانوا يدفعونه للبيزنطيين وكان يمكن لهم لو أرادوا أن يمنعوا ذلك أو ربما حتى يقرروا أن تدفع المبالغ بكاملها لهم وليس لغيرهم (وتلك شريعة المنتصر في كل وقت) رغم أنهم لم يفعلوها، ومن الحق والإنصاف القول إنهم لم يطلبوا في تلك الجزية – وهي مقررة على كل الشعوب غير المسلمة مقابل لحمايتهم الإسلام – لم يطلبوا أكثر من المبلغ الذي كان يدفع من طرف القبارصة للبيزنطيين ويحق لنا أن نتساءل عن سبب دفع جزية أو ضريبة من طرف القبارصة لليونانيين ؟ فإذا كانوا – كما زعم مؤلف كتاب تاريخ قبرص السيد (كوستاس كيريس) – يونانيين وليسوا قبارصة فلماذا يدفعون ضريبة أو جزية مفروضة عليهم خلافا لما يحدث لليونانيين الأصلاء ؟ إنه مجرد تساؤل. هو زعم أنه قال عن هؤلاء إنهم يونانيون فمن يقول إنهم قبارصة ... ولنذكر الكاتب القبرصي

(١) عند الكاتب المؤرخ لم يقل عن السكان إنهم [illegible] وإنما قال اليونانيون أي أنه تجاهل حتى اسم سكان الجزيرة. كتاب تاريخ قبرص ص ١٣٦ مؤلفه كوستاس كيريس

بالمدعو (بطرس) في حملته سنة ١٣٦٥ م على الإسكندرية بينما كانت الحملة هدفها تحرير بيت المقدس (كما أعلن البابا في ذلك الوقت) فقد نهب الإسكندرية وقتل الأطفال والنساء والشيوخ ومعه ممثل بابا الفاتيكان وبعد أن فعل كل ذلك عاد إلى قبرص في ١٦ أكتوبر ١٣٦٥ م، والقصة كما يلي حسب ما وردت في كتب التاريخ

(في ٤ أكتوبر ألقى البطريرك بطرس من السفينة الملكية موعظة مثيرة على مسامع الملاحين المتشبثين فهتفوا يعيش يعيش بطرس ملك بيت المقدس وقبرص رغم أنف العرب الكفرة، وأقلع الأسطول في ذلك المساء وما أصبحت جميع السفن في عرض البحر حتى الإعلان أنها تقصد الإسكندرية في مصر، وصل الأسطول قبالة الإسكندرية أثناء مساء يوم ٩ أكتوبر سنة ١٣٦٥ م وقد ظن سكان المدينة أول الأمر أنه لم يكن سوى أسطول تجاري كبير تجهز للخروج من أجل عقد الصفقات التجارية ولم تظهر نوايا الحملة تلك وقيادة الأسطول إلا في صبيحة اليوم التالي حينما دخلت السفن إلى الميناء الغربي وليس الشرقي الذي لا يؤذن للسفن المسيحية أن تلج عبره فبادر نائب الوالي بحشد رجاله على حافة الشاطئ لمنع النزول إلى البر غير أن الفرسان المسيحيين شقوا طريقهم إلى الشاطئ بالرغم مما أظهر بعض العساكر المصرية من البسالة والإقدام، وبسبب تدفق التجار الوطنيين من المدينة مجتازين الأبواب المطلة على البحر اختفى الوالي وراء الأسوار وحشد حاميته الصغيرة للدفاع عن القطاع المواجه لموضع النزول إلى البر، وعزم الملك (بطرس) على التريث في هجومه إذ أراد أن ينزل في تؤدة كل رجاله وفرسانه إلى شبه جزيرة (فاروس) ولكنه لما استشار قادته اكتشف أن كثيرين منهم لم يوافقوا على اختيار الإسكندرية هدفا للحملة إذ أشاروا إلى أن عددهم كان من القلة مما يمنعهم من الاستيلاء على حصون الإسكندرية بالغ الضخامة، أو من الزحف إلى القاهرة، وأعربوا عن رغبتهم في الإقلاع إلى مكان آخر على أنهم لن يمكنهم إلا إذا جرى الاستيلاء عنوة على المدينة على الفور قبل أن يصل السلطان لنجدتها وكان لزاما على بطرس أن يذعن لرغباتهم فبدأ الهجوم على الفور وجرى توجيهه إلى السور الغربي كما توقع الوالي (جنوده) [illegible] لقي المهاجمون مقاومة تحركوا

معاوية (شرط أن يكون الجنود من المتطوعين) ليقوم بتلك الحملة التي كانت الأولى بالنسبة للعرب في البحر وبشكل كبير. وقد أبحر من (عكا) ترافقه زوجته وعبادة بن الصامت وزوجته (أم حرام) ابنة ملحان وهي قريبة النبي. وكان أسطوله يتكون من ١٧٠٠ (١) وكان يقوده عبد الله بن قيس ومن ضمن المقاتلين جنود أرسلهم حاكم مصر عبد الله بن أبي السرح (٢) وقد طلب من القبارصة الاستسلام ودفع الجزية ولكن القبارصة رفضوا متحصنين بمناطقهم. ولقد تردد معاوية في البداية خوفا من النزول على الأرض إلا أن الاسكندرانيين أقنعوه أن يمضي في ذلك وقد حاصر كوستانتيا التي كانت مأهولة بالسكان والتي توجد بها كل ثروات الجزيرة وقد استولى عليها ودمرها منكّلا بالسكان الذين يحتمون بقصر الأسقف ومعبدها الكنيسة (ربما بتحويلها إلى مسجد) وقد استولى على الجزيرة كلها وفرض عليها الجزية وقد اقتسمت الغنائم بين المصريين والسوريين وكان المبلغ الذي يدفع للبيزنطيين يبلغ (٧٢٠٠ قطعة ذهب) فقرر معاوية مبلغًا مساويًا لذلك كجزية ولم يعترض على الاستمرار في الدفع للخزينة البيزنطية معتبرا أن ذلك ليس من شأنه إذ كان القبارصة يرغبون في الاستمرار في الدفع مرتين.

وإذا صح هذا فإنه يعني أن الحملة لم يطلب أن يكون المسيطر الوحيد على قبرص مثلما جرى بعد ٣٠٠ سنة أن القوتين الكبيرتين المتنافستين قد اتفقتا على الحصول على مبلغ مالي متساوٍ من قبرص، وقد كان طبقا لكل الروايات المقبولة أن السيدة المباركة (أم حرام) قد وقعت أثناء تلك الحملة من على ظهر مركوبها فماتت ودفنت في (تكية هالا سلطان) ولقد ترك الجزيرة معاوية عندما سمع أن الأسطول

(١) ما ذكره عن العرب في تلك الحملة غير صحيح ولا نعرف من أين جاء الكاتب اليوناني بهذه الرواية والتي لم يرددها أحد من المؤرخين الموثوقين وقد نقلها عنه السير (جورج هيل) في الجزء الأول من كتابه (تاريخ قبرص) ولم يذكر السير جورج هيل ماذا يعني بالعدد (١٧٠٠) أهم مقاتلون أم سفن، لأن العدد في مصادر تاريخية أخرى ليس كذلك وإن كان المؤرخون العرب قد أكدوا أنها سفن أي أن عدد السفن كان ١٧٠٠ سفينة) وكان الكاتب اليوناني الذي أشرنا إليه هو السيد س سبيريداكس وكتابه صادر سنة ١٩٥٣ م.

(٢) وما ذكره جورج هيل عن الحملة وقيادتها وجنودها صحيح ذلك أن والي مصر في ذلك الوقت كان عبد الله ابن أبي السرح وقد مد الحملة بجنود من عنده ربما إدراكا منه أن جنود مصر أعرف بالبحر واستخدام السفن ... إلخ

الإمبراطوري بقوات كبيرة يتجه إليه، وبموجب الشروط التي فرضت على القبارصة كانوا ملزمين بإبلاغ المسلمين عن أي هجوم متوقع من طرف البيزنطيين وألا يسمحوا بأن تستخدم جزيرتهم وأن تكون مكانا في منتصف الطريق لقوة عدوة وأن يمتنعوا عن تقديم أي مساعدة للعدو.

وفي سنة (٦٥٣ – ٦٥٤م) وعلى أساس أن القبارصة قد أخّروا أو أهملوا دفعها أو بسبب أن البيزنطيين قد أرسلوا قوات إلى قبرص أرسل معاوية حملة جرى قوامها ٥٠٠ سفينة بقيادة (أبي الأعور) ويظهر أنه قبل وصوله هرب السكان إلى الهضاب ولجأوا إلى الكهوف. ومن هذه الكهوف سُحبوا كما يُسحب البيض من عش مهجور. وأما الذين لم يكن في مستطاعهم الهروب عبر البحر فقد لجأوا إلى مدينة (لابيتوس) وقد قضى أبو الأعور قرابة أربعين يوما في كوستانتيا يقتل الناس واحدا واحدا. وهذا يظهر أن هناك أناسًا ما زالوا أحياء بعد التدمير الماضي ... إلخ انتهى ما ذكره السير جورج هيل (١)

وهنا يتساءل المرء إذا كان معاوية قد ترك الجزيرة عندما سمع بقرب الأسطول الإمبراطوري فكيف يمكنه أن يفرض شروطا كالتي ذكرناها؟ وكيف يمكنه أن يحصل الجزية إذا كان هاربا من الأرض التي احتلها؟ وكيف يمكنه بعد فترة طويلة أخرى أن يتقاسم مع قوة أخرى ريع الجزيرة؟ ثم لماذا عاد إليها بقوة أخرى واحتلها لو كانت هناك قوة يخشاها؟ أسئلة كثيرة نرد عليها بالتأكيد بعد كل هذا الذي ذكره مؤلف كتاب تاريخ قبرص وهو الإنجليزي (السيد جورج هيل) وقبله القبرصي السيد سبيريداكس. ويأتي مؤلف كتاب تاريخ قبرص القبرصي السيد (كوستاس بي كيريس) وإن لم يكن كتابه إلا في جزء واحد بينما كان كتاب السيد جورج هيل في أربعة أجزاء كبيرة، فيقول:

(استمرت الغزوات العربية وكان أسوأها تلك الغزوات التي حدثت في سنوات (٧٤٣ – ٧٤٧) و (٧٧٣ – ٧٩٠ – ٨٠٦ م) وكلها انتهت إلى هلاك للسكان البيزنطيين. ومع ذلك فقد زادت معاناتهم وارتباطهم بالبيزنطيين ومحافظتهم على

(١) كتاب تاريخ قبرص الجزء الأول تأليف جورج هيل

إلى القطاع المواجه للمرفأ الشرقي، وفي داخل الأسوار يجتاز الطريق الذي يصل بين القطاعين دار (الديوان) أي الحصن الضخمة وإذ خشي متولي الديوان ما يقع من أعمال اللصوصية أقام متاريس على أبواب الديوان ولم يكن بوسع حصره أن يوجه رجاله في الوقت المناسب لمواجهة الهجوم الجديد وإذ اعتقد المدافعون أن المدينة قد سقطت أخذوا يتخلون عن مواقعهم ويجتازون الشوارع ليلوذوا بالفرار إلى الأبواب الجنوبية التماسا للنجاة، ولم يحل منتصف نهار يوم الجمعة ١٠ أكتوبر حتى استقر الصليبيون بداخل المدينة وظل القتال دائما بالشوارع وحدث أثناء ليلة الجمعة أن شن المسلمون هجوما عنيفا من أحد الأبواب الجنوبية وكان المسيحيون في غمرة سرورهم قد أحرقوه غير أنهم ارتدوا على أعقابهم، وهكذا أضحت الإسكندرية في قبضة الصليبيين ظهر يوم ١١ أكتوبر سنة ١٣٦٥م.

احتفى الصليبيون بانتصارهم بما ارتكبوه من وحشية لا مثيل لها، وما وقع من الحروب المقدسة التي استمرت نحو مائتين وخمسين عاما لم تعلّم الصليبيين شيئا عن الإنسانية عما أجروه من المذابح لم يضارعها سوى تلك التي حدثت في بيت المقدس سنة ١٠٩٩ م وفي القسطنطينية سنة ١٢٠٤ فلم يبلغ المسلمون هذه القسوة والوحشية عند استيلائهم على (أنطاكية وعكا) ومن المعروف أن ثروة الإسكندرية كانت بالغة الشهرة واشتد هوس الظافرين حين شهدوا هذه الغنيمة الزاهرة فلم يبقوا على أحد إذ لم يكن ما قاساه السكان الوطنيون من المسيحيين واليهود لم يقل عما تعرض له المسلمون من القسوة، بل إن التجار الأوروبيين المقيمين بالمدينة شهدوا ما تعرضت له محلاتهم ومستودعاتهم من النهب دون شفقة أو رحمة. وأغار الغزاة على المساجد والمقابر فنهبوا أو دمروا ما بها من حلى، وتعرضت الكنائس أيضا للنهب على الرغم من أن سيدة قبطية مقعدة باسلة سعت لإنقاذ شيء من كنوز مذهبها الديني على حساب تضحيتها بثروتها الخاصة ودخل المغيرون المنازل وكل من لم يبادر من أهله إلى تسليم ما يقتنيه تعرض مع أسرته للقتل، وجرى حمل نحو خمسة آلاف أسير من المسيحيين واليهود فضلا عن المسلمين ليبيعهم رقيقا وما حمله المغيرون من نهب السلب حمله قطار طويل من الأفراس والحمير والإبل

إلى الحصن الرئيسية بالميناء ثم تقرر إعدامها بعد أن انتهت عملها وعبقت كل المدينة بالرائحة الكريهة الصادرة من جثث البشر والحيوان. انتهى (١)

هذا الكلام الذي أوردناه ليس من عندنا وهو كذلك ليس اختلاقا لرواية تتحدث عن إجرام ووحشية ربما لم يشهد لها التاريخ مثيلا، وإنما هو نقل عن مؤرخ كتب عن تلك المآسي وما أردنا به إلا الرد على هذا الكاتب المؤرخ القبرصي وغيره ممن لم يذكروا غزوات العرب على قبرص بخير وإذ كانت الحرب في الغرب تفتقر إلى الليونة والرحمة فإن العرب عندما احتلوا قبرص لم يقتلوا حتى الحيوانات ويتركوا الجثث في كل مكان وكان ملك قبرص في تلك الحملة هدفها إنقاذ بيت المقدس عندما غزا الإسكندرية فماذا حدث يا ترى بعد نهب الإسكندرية ؟

يقول نفس الكاتب (ستيفن رنسيمان) حاول الملك بطرس عبثا أن يعيد الأمن إلى نصابه إذ كان يأمل أن يحتفظ بالمدينة وإذ أحرق الصليبيون أبوابها ودمر الجسر الواقع على القناة الكبيرة الذي يجتازه الطريق المؤدي إلى القاهرة لأن الصليبيين وقتئذ لم يفكروا إلا في أن يحملوا إلى بلادهم كل ما تهيأ لهم مما حصلوا عليه من الغنائم، على أن جيشا كان قادما من القاهرة ولم يود الصليبيون أن يغامروا بالاشتباك معه في معركة، بل إن شقيق الملك بطرس أخبره أنه ليس بوسعهم الاحتفاظ بالمدينة بينما أشار (الفيكونت تيرين) ومعظم الفرسان الإنجليز إلى أنهم لن يبقوا بعد ذلك في المدينة وضاعت سدى احتجاجات بطرس والمندوب البابوي، ولم يحل يوم الخميس ١٦ أكتوبر سنة ١٣٦٥ م حتى لم يبق بالمدينة سوى عدد قليل من العساكر الفارسية بينما عادت بقية الحملة إلى الأسطول استعدادا للرحيل. ولما أصبحت العساكر المصرية على وشك الوصول إلى ضواحي الإسكندرية استقل بطرس سفينته وأصدر الأمر بالجلاء عن المدينة. وبلغ حمولة السفن من الثقل أنه كان لابد من إلقاء مقادير كبيرة من الغنائم من السفينة إلى البحر، وظل الصيادون المصريون شهورا يستخلصون التحف النفيسة من مياه الخليج في أيـ

(١) تاريخ الحروب الصليبية لمؤلفه ستيفن رنسيمان الجزء الثالث

كبير وهي صحلة. وقد اطمأن بطرس والمندوب البابوي إلى ما أودعوه من عالم في قبرص وأوهما الأمل في أن ينهض الصليبيون مرة أخرى لمرافقة بطرس في حملة جديدة غير أنه لم يكد الصليبيون يبقون في ماغوستا حتى شرعوا في إعداد التدابير للرحيل إلى الغرب (إلى أوطانهم) وتجهز المندوب البابوي لاقتفاء أثرهم كيف يظفر بمجندين آخرين يحلوا محلهم غير أنه تعرض للمرض الذي أودى به من قبل أن يغادر جزيرة قبرص، وأقام الملك بطرس قداس شكر عند عودته إلى نيقوسيا (انتهى)

ربما يكون هذا الذي نقلناه كافياً للرد على السيد كوستاس كيريس صاحب كتاب تاريخ قبرص، هذا الكتاب الذي لم يذكر فيه حملة واحدة للعرب عندما غزوا قبرص ولا حتى ذكر حقيقة حملتهم الأولى وكيف أنهم تركوا البلاد بعد اتفاق مع أهلها على الجزية والمعاهدة أي أنهم لم يكونوا محتلين ولا ناهبين وإنما قال إنهم هربوا عندما سمعوا باتجاه الأسطول الإمبراطوري إليهم !

وإذا كان الملك القبرصي (بطرس) قد حاز على النصر والنهب في حملة واحدة وعلى بلد واحد فإن العرب المسلمين قد سيطروا على المنطقة كلها وإلى جبال البرانس على حدود فرنسا غرباً، وإلى جبال (بامير) في آسيا الوسطى شرقاً وقد وحدوا شعوبها وأنشأوا ثقافة وبنوا حضارة عظيمة شامخة لا تزال آثارها باقية حتى الآن في شمال أفريقيا ومصر وأراضي الهلال الخصيب (جنوبي جبال طوروس) وآسيا الوسطى وأراضي فارس وأسبانيا، من كل ذلك لم يجد مؤلف كتاب تاريخ قبرص تعبيراً يصف به العرب وغزوهم (كما أسماها) إلا وصف اللاجئين من الكهوف كالقراصنة ! ومن الغريب أن جهات معينة في قبرص تحرص على ترديد هذا الكلام رغم المصالح والعلاقات الطيبة مع العالم العربي حتى الآن ويكتب في مجلات وصحف لا علاقة لها بالأمور التاريخية أو السياسية (كمجلة الخطوط الجوية القبرصية) التي جاء فيها تحت عنوان (مسح تاريخي) ما يلي

(من القرن ٧ – ١٠ الميلادي أصبحت الغزوات العربية على الجزيرة التي حدثت أثناءها دمارات كبيرة خصوصاً في الكنائس والفن الكليريكي مثل قلاع (ست هيلاريون - بوفافينتو - كانتارا – كيرينيا – بافوس... إلخ) انتهى.

أمور محيرة في الواقع ولا يعرف الإنسان لماذا هذا التزوير في أحداث التاريخ ومن وراء ذلك، فإذا كان السيد كوستاس كيريس قد ادعى أن العرب هربوا عندما سمعوا بأن الأسطول البيزنطي متجه إليهم (وهو شيء تكذبه كل حقائق التاريخ) إلا يجوز لنا أن نقول إن الملك القبرصي ومعه كل تلك الجيوش وقادة الأوروبيين قد هربوا من الإسكندرية عندما علموا بأن الجيوش المصرية متجهة إلى الإسكندرية ؟ نحن نربأ بأنفسنا عن الترهات وكل المؤرخين العرب والمسلمين لم يقولوا مثل ذلك القول بل إنه حتى بالنسبة للحملات الصليبية على المشرق العربي لم يقولوا إنها (صليبية) احتراماً للسيد المسيح بل قالوا إنها حملات (الفرنجة)

وأذكر أنني ناقشت تلك الأمور مع الرئيس مكاريوس قبل فترة الانقلاب وكذلك مع الدكتور فاسوس ليساريدس رئيس الحزب الاشتراكي القبرصي الذي كان مقرباً من الرئيس مكاريوس وصديقاً للعرب وجمال عبد الناصر بشكل خاص، ولكن شيئاً لم يحدث ربما تمسكاً بحرية الكتابة والنشر والرأي ومن هنا كان علينا ونحن نكتب ونتحدث عن تاريخ قبرص وعلاقتها بالعرب وأحداث التاريخ العربي أن نشير إلى تلك الأخطاء على أمل أن يقلع هؤلاء الناس عن هذه الإساءات التي لا مبرر لها وهي مجافية للتاريخ ومجافية للحقيقة بل هي ترقى إلى مستوى الجريمة، ولكن لا يفهم من قولنا هذا إننا لا نقدر أولئك الذين كتبوا الحقيقة وتحدثوا بإنصاف عن دور العرب في مجالات الثقافة والحضارة وقدموا الكثير من الإسهامات في مجالات الأدب والفلسفة والتاريخ والطب والرياضيات وفن العمارة ومختلف العلوم الإنسانية ننهي هذا الفصل بجزء من مقال كتبه الأستاذ الأمريكي (جون ... نادي) وهو أستاذ في جامعة (كولومبيا) بنيويورك وجامعة (جورج تاون) بواشنطن دي سي مقال كان عنوانه (دور العرب في الثقافة الإسلامية) يقول

____

* المقال الكامل ورد في موسوعة عبقرية ... ، الصادرة عن معهد (ماساتشوستس للتكنولوجيا) سنة ١٩٧٨م الولايات المتحدة الأمريكية

في سميع الثقافة الإسلامية العديد من الأنوار وخيوط كثيرة حاكها العرب، وأسماء الأفذاذ منهم وروائع آثارهم تتردد في كل الحقول، من الأدب وعلم الكلام والفلسفة إلى العلوم والجغرافية والهندسة والعمارة. ولكن النصيب العربي في تكوين هذه الثقافة أوسع كثيراً من حدود أدوار العلماء والأدباء فرادى ومن شأو عبقرياتهم بأعيانهم. إن كثيراً من الصيب يحيط بتاريخ تلك المرحلة أحاطته بما نعرف عن تفصيل حياة أعلامها. ولكن الثابت من هذا التاريخ يوحي بجلاء أن كون الفتح عربياً كان عاملاً حاسماً في تحديد معالم التطور الثقافي الذي جاء بعده، وليس علينا إلا أن نتذكر كيف أن الغزوات المغولية وهي في ظاهرها شديدة الشبه بالفتح العربي قد أدت إلى نتائج مختلفة كل الاختلاف. فلئن نشأت عنها إمبراطورية مغولية قصيرة العمر فما من حضارة ذات شأن انبثقت عن هذه الإمبراطورية وحين ارتدت جحافل المغول إلى ديارها في صحراء (غوبي) لم تخلف وراءها سوى الخراب والدمار. أما العرب فإن فتحهم الأقاليم على نقيض الغزو المغولي قد حمل معه إلى هذه الأقاليم قوى نامية من بين عنها قوى هيأت الساحة للحضارة التي ظهرت في نهاية الأمر ورسمت معالمها الرئيسية. وولي تلك القوى كانت بناء صرح الإمبراطورية ذاتها. فقد كان يمكن أن يتوقع من الفاتحين العرب أن يكونوا مجرد غزاة من الصحراء على الطريقة التي كانت تقليداً مألوفاً في الغزوات القبلية التي أقصى مراميها النهب ثم العودة بالأسلاب إلى الصحراء ثم ولكن العرب كانوا يسيرون (فتوحهم) جهاداً في سبيل الله قاصدين بذلك أنها كانت في سبيل نظام اجتماعي جديد أراده الله وجعل من فتوحهم أداة لتحقيقه. وبذلك رأينا هذه الإمبراطورية التي نجمت عن الفتح بصورتها سكوتاً مستقيماً تجتمع له في ذاته مقومات الديمومة لا مجرد مجموعة من الأقاليم المستقلة تفترض في ثباتها ألا يستمر إلا بقدر ما تظل قادرة على [illegible] غزواته ان تصور الإمبراطورية على هذا النحو وبناءها وفقاً لهذا التصور فقد [illegible] بين نظام اجتماعي ثقافي جديد يكون تعبيراً عن هوية [illegible] المحصل اللازم لميلاد هذا النظام. وهكذا رأينا أولئك الذين كانوا من قبل أسبانيين ويونانيين [illegible] وسوريين وفارسيين وكل

فئة منهم مستقلة بتاريخها وتقاليدها ينضوون تحت لواء حكم واحد ذي شخصية جديدة وإن كانت غير محددة الخصائص بعد، ورأينا تكوين دولة عالمية جديدة يشق طريقه بالضرورة إلى ظهور ثقافة عالمية جامعة، ففي إطار الإمبراطورية الجديدة رأينا ثقافات العالم القديم ومجتمعاته، على تنوعها، تتحرر من سماتها المحلية المغلقة على ذاتها وتستقر على تفاعل غني بالثمر لم تعرفه من قبل، ورأينا الفاتحين العرب أنفسهم بمجرد أن تلاشت مرحلة الاستيعاب التي أعقبت الفتح يستجيبون سريعاً للحضارات التي هزموها فيجلسون في احترام التلاميذ طلباً للعلم بين أيدي الأقوام التي دانت لهم، وما كان أقدرهم من تلاميذ على اكتساب العلم كما قال (فيليب حتي) فقبل أن تتحول الأسرة العربية المالكة الأسرة الأولى، أسرة الأمويين كانت آثار القدماء تترجم إلى العربية وكان قد بدأ تشييد المباني الفخمة المستوحاة من التصاميم (الكلاسيكية) وبدأ بالازدهار علي هدي المناهج اليونانية علم العرب في النحو والبيان. وفي الوقت الذي بدأ العرب فيه يفقدون هيمنتهم الغالبة على الحكم كانت عناصر التراث غير العربي قد أصبحت جزءاً من صميم حياة الجماعة الإسلامية وتفكيرها الذاتي.

وفي الوقت ذاته كان كل من الأقوام التابعة المختلفة يشاطر الأقوام الأخرى ثقافته ويستوعب ثقافتها. وقد أزيلت حواجز الانتقال بين مختلف أراضي المشرق وحوض البحر وأخذ أهل الولايات يدفعون أفواجاً إلى قلب الإمبراطورية فيلتقون ويتمازجون في ظل أواصر جديدة بالإضافة إلى أن احتكاكهم بالعرب قد جعل كثيرين منهم يعتنقون دينهم ويتزوجون من بناتهم فكان لا مفر للنظام الإسلامي الوليد من أن يصبح في آن معاً ملتقى الثقافات وأداة مزج بين تلك الثقافات مستقياً من خلاصات التقاليد الموضعة العصبية التي بين يديه ما يخلق به حضارة جديدة وإذا كان هذا التفاعل قد أسفر عن حضارة مثيرة للإعجاب فذة الشخصية فمعظم الفضل في ذلك يعود إلى القوة الثانية التي حمل العرب طاقاتها في فتوحهم، أعني العقيدة الإسلامية، لقد جاء العرب فاتحين ولكنهم يحملون معهم الإسلام، فكان الإسلام عاملاً حاسم الأثر في مسار الإبداع الثقافي والإسلام في جوهره عربي

الميت. وتتجلى لنا هذه الحقيقة حين نتذكر أن الشعوب المقهورة طالما أخضعت غزاتها الأجانب، فكم تعاقب الفاتحون على الصين (كالمغول والمنشوريين مثلا) واحتفظوا بحكمهم ولكنهم في النهاية تحولوا إلى صينيين لغة وثقافة، لا يكاد يستطاع تمييزهم من رعاياهم، وكان ممكنا أن يحدث للفاتحين العرب إلى هذا المصير كان ممكنا وقد جاء العرب غير مسلحين بثقافة متينة عميقة الجذور في تاريخهم ووجدوا أنفسهم إزاء حضارات أكثر تقدما وغنى بمراحل من أية حضارات عرفوها من قبل وكان يمكن أن يتوقع منهم الاستسلام للحضارات التي غزوا أهلها حتى ولو ظلوا يحكمونهم ولو وقع ذلك لأسفر إما عن مزيج عشوائي من الثقافة التي دانت لهم لا يتسم بشخصية مميزة وإما عن تجزؤ المملكة إلى أباديد من المكونات الثقافية لا يجمعها من قاسم مشترك غير الحكم الإمبراطوري المطلق، وهنا يضيف الكاتب مميزات ومظاهر أخرى، يقول :

ولقد وجد العرب في الأراضي المفتوحة أحوالا ومشاكل وعناصر ثقافية لم يكونوا قد عرفوها في حياتهم الفقهية وكانت في كثير من الأحيان في تعارض ظاهر مع تعاليم الدين الحنيف وما يعرضه من واجبات. وفي التعامل والتفاعل بين هذه المتباينات كان لنظرة الإسلامية اليد العليا، صحيح أن المسلمين وهم الذين أُمروا أن (يطلبوا العلم ولو في الصين) لم يحجموا في فهمهم ورغبة عن استيفاء الكثير من عناصر الثقافات اليونانية والبيزنطية والأفلاطونية الجديدة والسريانية والفارسية وهم يبنون حضارتهم الجديدة. ولكن هذا الاستيفاء كان يتم في ظل الإسلام نفسه وكان هدفه وضع تلك العناصر في خدمة مقاصد الإسلام، ولقد يتراءى لبعضهم في نظرة سطحية أن الثقافة الإسلامية نشأت نشأة تلفيقية لأخذ بالتلفيق ولكنها في واقع الأمر وفي جوهرها كانت دقيقة لانتقاء حصيلة التمييز تقتبس تراث الآخرين أو تستبعده على ضوء قدرته على التواؤم مع طبيعة المجتمع الإسلامي وغاياته... انتهى

كان هذا جزءا مقتضبا من مقال طويل كتبه الأستاذ (جون س بادو) وهو كما ذكرنا أمريكي الأصل وأستاذ في جامعة كولومبيا بنيويورك ونشرته مشكورة

(موسوعة الحضارة العربية) ونحن لا ندلل على إسهامات العرب في الثقافة والحضارة العالمية فقط وإنما نذكر أن تلك الإسهامات والإبداعات ما زالت باقية وستبقى مهما بلغ التجاهل أو التضليل لأنها تراث إنساني أصيل متأصل عميق الجذور والآثار، ويكفي أن نذكر أسماء الفلاسفة والمفكرين والمبدعين والمخترعين والصناع العرب من أمثال (عمرو بن بحر الجاحظ وأبي الطيب المتنبي وعبدالرحمن بن خلدون وأبي موسى الكندي ومحمد بن رشد والفارابي وابن سينا - وابن ماجة - وابن الهيثم - والخوارزمي - وثابت بن قرة - وإسحق بن حنين - وأبي الحسن بن إبراهيم - ومحمد بن عيسى الماهاني وعباس بن سعيد الجوهري إلخ والقائمة طويلة جدا) وقد يقول قائل إن بعض هؤلاء من غير العرب، وردنا أنهم جميعا كتبوا وأبدعوا أو اخترعوا باللغة العربية وفي حضن الإسلام الحنيف، ومع كل ذلك فنحن لسنا من أنصار الجلوس والتغني بأمجاد الماضي فقط وإنما من المطالبين بالانفتاح على كل الحضارات والأمم والنهل من كل الثقافات والإجادة في كل الصناعات ومعايشة روح العصر والتصميم على حرية وكرامة الإنسان في التمتع بالديمقراطية الحقيقية في عالم أصبح قرية صغيرة ترى وتسمع نبضات قلوب سكانها ونشهد تحركاتهم وسكناتهم إنه عالم القرن الواحد والعشرين عالم كل العلوم وكل الناس

الفصل السابع

وجهتا نظر الطائفتين القبرصيتين اليونانية والتركية

لن تستقيم أمور الناس في عصر ... ولا استقامت فذا أمنا وذا رعبا

ولا يقوم على حق بنو زمن من ... عهد آدم كانوا في الهوى شعبا

لابد لنا وقد استعرضنا أحداث التاريخ المتصلة بجزيرة قبرص وأسبابها ومناسبتها منذ زمن بعيد بعيد في التاريخ حتى استقلال قبرص الذي تقرر بموجب قرار مجلس الأمن الدولي الصادر سنة ١٩٥٩م، ثم الأحداث التي طرأت بعد وخلال فترة الاستقلال وأدت إلى التقاتل بين القبارصة أنفسهم (الأتراك و اليونانيين) ونكوص أولئك الذين وقّعوا على اتفاقيتي زيوريخ ولندن، ولابد لنا أيضا أن نستعرض وجهات النظر من أجل تصور مستقبل هذه الجزيرة وتكوين فكرة عن حل محتمل فإننا يجب أن نعرف مواقف زعماء ومفكري وساسة الطائفتين من خلال كتاباتهم وتفسيراتهم للاتفاقيات والقرارات التي صدرت بشأن قضيتهم والأسباب التي تحكم أو تفرض تلك المواقف بحيث تجعلها غير ثابتة وتدفع الأمور غالبا إلى التفجر والواقع أن وجهات نظر وأفكار متناقضة مختلفة من ينظر إليها دون أن يعرف دوافعها سوف يعتقد أن هذه القضية لن تحل على الإطلاق، وهذه بعض التصورات و الأقوال

يقول مؤلف كتاب «تاريخ قبرص» السيد (كوستاس كيريس) بعد أن يستعرض تاريخ قبرص في لقطات متتابعة تشبه المقالات الصحفية القصيرة مبتدئا من العصر الحجري ثم العصر البرونزي فالبرونزي الوسيط فالأخير ثم عهد الاستعمار الإغريقي (الذي أطنب فيه محاولا أن يثبت أن القبارصة هم في الحقيقة يونانيون كما كان قد أنكر فيما سبق أن يكون هنالك عرب في قبرص قبل الاحتلال التركي) ثم استعرض العصر الحديدي ثم الاستعمار الفينيقي فالآشوري و الفينيقي ثم العهد القبرصي القديم فالحكم المصري إلى الفارسي إلى الإسكندر الأكبر تحت اسم الفترة الهلينية) فالتحول الروماني ثم الاحتلال الروماني فالعصر البيزنطي الأول فالغزوات العربية الأولى و الثانية واللتين لا يرى فيهما إلا الحروب و الدمار وعندما

يصل إلى العهد التركي يخلص إلى الموضوع الذي يمثل وجهة النظر القبرصية اليونانية بعنوان (نموذج لحقيقي والغرض من الاستعمار التركي لقبرص) وهنا يحاول لتحقيق ذلك الغرض ومقدمته موضوع نمو المستمر في انخفاض عدد سكان (١٨٧ ألف نسمة وقت الاحتلال) بين تاريخ ٩ / ٤ / ١٥٧١ و ٢٢ / ٧ / ١٥٧٧ م أصدر السلطان ستة فرمانات تأمر بالهجرة إلى قبرص بما يمثل العشر من أي جنس في عدد من مقاطعات الأناضول، ونظراً لعدم الرغبة في الهجرة إلى قبرص فإن العملية أخذت شكل الإبعاد كعقاب في جرائم مألوفة لكل من المسيحية والإسلام أو هي متصلة بوحدة مذهب وبحلول سنة ١٥٨١ م كان عدة آلاف من المنفيين قد نقلوا (غالباً مسيحيون) من طبقات الفلاحين والصناع الذين دمجوا في المجتمع القبرصي، وكانت نواة إقامة مسلمين تمثل نسبة ٨ إلى ١٢ ألفاً من شعب آسيا الصغرى أما البقية فهم مسيحيون كانوا قد أبعدوا إلى قبرص بموجب فرمانات السلطان بتاريخ ٩ / ٤ / ١٥٧١ و ٢٢ / ٧ / ١٥٧٧ م وفرمانات أخرى حتى تاريخ ٥ / ١ / ١٥٨ وهي تعرض معالجة نقص السكان وإعادة تحريك الاقتصاد القبرصي إضافة إلى توطين بين ٣ إلى ٤ آلاف آخرين خلال سبتمبر ١٥٧١ كحامية عسكرية، وعلى الرغم من أن المسلمين تمتعوا بأفضلية على المسيحيين إلا أن الاثنين عوملوا كرعايا (المقصود الصنفان مسلمة ومسيحية) وقد استفاد اليونانيون من فرمان أكتوبر سنة ١٥٧١ م في استعادة الكنائس وامتلاك الأرض والبيوت وتمكنت الكنيسة الأرثوذكسية سنة ١٥٨٥ م أيضاً في استعادة أغلب الكنائس، وبالنسبة للعدد الحقيقي المهاجر من آسيا الصغرى ونسبة المسلمين أو الأتراك من بين هؤلاء فإنه يمكن أن يذكر بارتياح أن العدد الحقيقي طبقاً للفرمانات الستة هو (أ) ٢٢٦٣ ويجب مع ذلك أن يضاف إليهم (ب) الآخرون الذين لم يذكروا في الفرمانات أي رحال موقف أو أولئك الذين جاءوا فيما بعد نتيجة التهجير الإجباري وكذلك (ج) وحدات وأصناف على الأقل البعض من أولئك مهجرين وأيضاً (د) عائلات بعض أولئك الأربعة آلاف مرابط (حامية) والأرقام في هذه المقررات الأربعة لا يمكن تقديرها ذلك أن أي تقدير سيعتمد على الاحتمال ما لم تظهر وثائق أخرى بأرقام

حقيقية على أنه يجب أن يذكر أن عدداً من العسكريين قد تزوجوا من سيدات محليات وخصوصاً من العائلات اللاتينية الموسرة، ونظراً إلى أن هؤلاء قد جاءوا عنوة فإنه من المنطقي أن نعتقد أنهم جاءوا بدون أسرهم، ... إلخ وفي هذه الفترة يخلص المؤلف إلى القول (كان انجيليو كاليبيو وهو شاهد عيان على الحملة العثمانية قد أبلغ الكاتب القبرصي (ستيفانو لوسينيانو) أن الأتراك عندما أكملوا الاحتلال في سبتمبر ١٥٧١ م ذكروا أنهم ينوون ترك ألفي فارس وهو ما فعلوه، وكذلك عشرين ألف جندي كسكان طالما أن الجزيرة قد أصبحت مهجورة، وكانت هذه المعلومات قد ترجمت حرفياً من جانب المؤرخ القبرصي (كيبريانو) وقبلت دون نقد من طرف جورج هيل [1] وهو ما يعني أن الأتراك حقيقة قد تركوا في الجزيرة المحتلة ٢٠ ألف جندي كسكان وفي طبعة كتاب (لوسينيانو) الفرنسية سنة ١٥٨ م ذكر ربما اعتماداً على أخبار حقيقية حصل عليها من قبرص أن الأتراك في الواقع قد تركوا فقط ألفي فارس (سباهيس) وألفي جندي سكان ... انتهى)

هذه فقرة من كتاب قبرص للسيد كوستاس كيريس ونحن نعتقد أنه يحاول أن يؤكد أن السكان المسلمين كانوا قلة وأنهم طارئون على الجزيرة وبعد الاحتلال التركي فقط، وهذا في الواقع لا يهمنا كثيراً لأننا نرى أنهم الآن قبارصة جميعهم سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين إذ لو كانت فكرة هذا المؤلف مطبقة في بلدان العالم لما وجدنا شعباً واحداً يسمى (أمة) فقد حدث ويحدث نزوح عادة من مكان إلى آخر ومن بلد إلى بلد ويحدث الاستقرار والانتماء وربما أقرب دليل تاريخي على ذلك وضع الولايات المتحدة الأمريكية (وطبق غيرها من بلدان العالم)

وفيما يتصل بمنظمة (أيوكا) يقول نفس المؤلف:

وصل المقهد جورج قريفاس إلى قبرص ١٠ / ١١ / ١٩٥٤ وقد وقّع على

---

(١) جورج هيل هو مؤلف كتاب تاريخ قبرص الذي يقع في أربعة أجزاء وهو إنجليزي، ولا يختلف كثيراً في وجهات نظره بالنسبة للعرب عن السيد كوستاس كيريس القبرصي الذي ربما كان قد اعتمد على معلوماته، وكلاهما منحاز فيما ذهب إليه ونحن نعرف أن الملك الذي باع قبرص هو ملك إنجليزي

نفسه الذي يسمى قسَم (إليف) أي أدي نيهيين وبعد مناقشات طويلة وشكوك من جانب (مكاريوس وإسلك باول وأمشير باباقوس) كان قد اختير قائداً عسكرياً للمنظمة السرية بواسطة (لجنة التحرير) وأن هؤلاء كموقعين قد التزموا بقسمهم وفي ١١ / ١ / ١٩٥٥ م تسمت المنظمة السرية باسم (أيوكا) حسب اختيار مكاريوس وغريفاس في اجتماع سري بقبرص وفي صباح يوم ١ أبريل ١٩٥٥م باشرت أيوكا عملياتها الانفصالية وكانت تلك العمليات مبدئياً في شكل هجمات تخريبية وقد رد الحزب الشيوعي (أكيل) على ذلك قائلاً إنها عمليات غير مسئولة، كان ذلك في يوم ٢ أبريل ١٩٥٥ وبسبب تكثيف العمليات التي قامت بها أيوكا مصحوبة ببيانات ثورية استبدل الحاكم (أرميتج) في أكتوبر ١٩٥٥ م بالمارشال السير (جون هاردينج) الذي أعلن حالة الطوارئ في ٢٦ / ١١ / ١٩٥٥ مع إجراءات عقابية جماعية شديدة وكانت عمليات تلك نقلة من الناس (حوالي ٣٠ مقاتل مزودين بأسلحة جزء منها استورد من اليونان والجزء الآخر مصنوع محلياً) مثيرة، إضافة إلى الجهود الدولية بشأن مذهب القبرصة التي قام بها مكاريوس حيث شارك في مؤتمر عدم الانحياز لأفرو سيوي الذي عقد في (باندونج) من ١٨ إلى ٢٨ إبريل سنة ١٩٥٥ م (الواقع أن مؤتمر ليس كما ذكر المؤلف أفرو سيوي وإنما هو مؤتمر عدم الانحياز لكل الدول المتحررة من آسيا و إفريقيا و أمريكا اللاتينية) وكان مناسبة لإحداث اتصال بين القبارصة و بعض الدول الثالث وقد جذب مزيد من المساندة للأعمال التي يقوم بها القبارصة اليونانيون وأضاف ضغط وصعوبات على بريطانيا وهذه الأخيرة وكرد على ذلك دعت إلى مؤتمر ثلاثي في ٢ يونيو ١٩٥٥ يضم اليونان وتركيا إليها في لندن لبحث الأمور السياسية والدفاعية المتصلة بشرق البحر الأبيض المتوسط بما فيه قبرص وكانت هذه هي الدعوة الرسمية من بريطانيا لتركيا لكي تدخل الساحة كطرف في مشكلة قبرص، وقد عارض مكاريوس بشدة على اعتبار أن ذلك يخالف مبادئ وشروط الحكم الذاتي وهو بمثابة ضغط على الحكومة اليونانية لعدم حضور المؤتمر وقد تزايد اهتمام وتذمر تركي بسبب انفجار قنبلة في القنصل التركي بنيقوسيا يوم ٢١ / ٦ / ١٩٥٥ م نتج عنه ١٤ قتيلاً تركيا، وعلى الرغم من أن

المسئولين لم يعرفوا الفاعل أو الفاعلين بعد فإن منشورات تركية قد وزعت في إسطنبول بين ٢ يونيو و ٦ يوليو ضد أيوكا وهي تطالب كذلك بإبعاد المدرسين اليونانيين من المدارس الثانوية واستعادة الحكم البريطاني. وكانت منشورات قد وزعت بواسطة منظمة تركية سرية ولم ينتج شيء عن لقاء مكاريوس مع وزير المستعمرات البريطاني السيد (لينوكس بويد) ذلك الذي عقد في نيقوسيا يوم ٩ / ٧ / ١٩٥٥م وعلى الرغم من التحذيرات الكثيرة من طرف الأتراك فإن وزير خارجية اليونان وقتئذ السيد (إليكس كيروس) لم يعط أي أهمية لدور تركي في قبرص، وقد انتهى المؤتمر الثلاثي في لندن الذي عقد من يوم ٩ أغسطس إلى ٧ سبتمبر ١٩٥٥م بلا نتيجة ليس فقط بسبب الخلاف المبدئي حول مقترحات البريطانية الداعية إلى حكم ثلاثي (يوناني تركي بريطاني) وإنما أيضاً بسبب مظاهرات جماعية في إسطنبول المضادة لليونان التي حدثت في ٦ سبتمبر والتي نظمت سراً من طرف الحكومة التركية كرد على الانفجار الذي حدث يوم ٩ ٣ ١٩٥٥ م بالقنصلية التركية في ثاسالونيك وهو الذي عرف فيما بعد من دوائر رسمية تركية أنه من فعل منظمة تركية تدعى وترفع شعار (قبرص تركية) وهي التي وضعت تلك القنبلة.

وفكرة الحكم الثلاثي التي جاءت على أساس أن ذلك قد حدث أيام البيزنطيين والعرب بين سنوات (٦٤٦ – ٦٥٣ - ٩٦٤م) وهي فكرة نتجت من خلال بحث أجراه أستاذ إنجليزي يدعى (روميلي جينكينز) وكانت تعتمد عليها المشروعات البريطانية في قبرص مستقبلاً، كذلك فإن مشروع التقسيم كان قد قدم من طرف عالم السياسة التركي (ف. أرماقولو) في ١٥ / ٧ / ١٩٥٥ م وحصل فيه بعد على تأييد آخرين، وكان فشل المناقشات التي جرت بين مكاريوس وهاردينج بعد فشل مؤتمر لندن سببه الموقف الأمريكي المناصر لبريطانيا ثم فشلت المحاولات الأخرى بسبب رفض بريطانيا الكثير من المقترحات كالانتخابات الحرة وتفصيل نظام الحكم الذاتي و العفو العام وإلغاء حالة الطوارئ، ورغم ذلك وبسبب ضغط رئيس وزراء اليونان ومجموعة كابريها المتشدده على مكاريوس فقد ترك هذا الباب مفتوحاً لمفاوضات أخرى، ولكن أحداً منهم لم يعرف نتائج ما يحدث بسبب تجهيد

القبارصة الأتراك كشرطة مساعدة لسلطات الاحتلال البريطاني وكان ذلك لمرحلتين، الأول إجهاض لاستعداد القبرصية اليونانية والثاني إنماء المشاعر المعادية بين الطائفتين (القبرصية التركية والقبرصية اليونانية).

ويستمر المؤلف في سرد الأحداث والعمليات التي قامت بها منظمة أيوكا ويقول إنه بعد أن ناقش مجلس الأمن الدولي مقترحا تقدم به مندوب الهند المعيد (كريشنا مينون) يوم ٢٣ / ٢ / ١٩٥٧ م طالبا إيجاد حل سلمي لقضية قبرص طبقا لميثاق الأمم المتحدة ولقد حاول مكاريوس إقناع غريفاس بإيقاف العمليات العسكرية قائلا إنها لن تكون مفيدة لأن الولايات المتحدة الأمريكية اعتبرت إنها ستؤيد التقسيم إذا ما استمرت تلك العمليات. لكن عمليات القتل والتدمير استمرت من جانب أيوكا ومنظمة التركية الأخرى التي تسمى (ت ام ت) ويخلص المؤلف إلى أن تركيا بسبب مشاكلها الداخلية لم تكن ترغب في وضع حد للإرهاب التركي في قبرص الذي تقوم به المنظمات التابعة لها وللطائفة التركية، وهو لا يقدم أي مقترح بكيفية حل القضية او موقف قد يساعد الطرفين على التوصل إلى اي اتفاق كذلك فهو في الوقت الذي يقر فيه أن مكاريوس كان قد طلب من الجنرال غريفاس إيقاف العمليات العسكرية إلا أن هذا الأخير قد رفض بمعنى أن العمليات التي سماها المؤلف إرهابًا يقوم به الأتراك هو في نفس الوقت تقوم به منظمة أيوكا والجنرال المذكور، وكان عليه أن يبين للحاسبين إذا ما كان فعلا هو أو غيره يريد حلا سلميا كما أراد مكاريوس ، ومن نسيهن على أي إنسان أن يرمي الآخرين بالتهم، على اننا هنا لا ندين أو نداهن من أي الطرفين وإنما نسرد أحداثا وتاريخا.

ما أوردناه يمثل وجهة نظر الطائفة القبرصية اليونانية، وقد تختلف وجهة النظر هذه بين كاتب وآخر أو مفكر وسياسي وآخرين ولكن ليس هناك من هو قادر على أن يتحلل من فكرة الوحدة ويفر من خلال منظار واقعي يعود إلى قبرص للقبارصة فقط (يونانيين وأتراكا) وربما سبب ذلك كما ذكرت هو فقدان الثقة والخوف على المستقبل ذلك أن الكل يرى أن إطلاق رصاصة واحدة يعيد الوضع إلى ما كان عليه من تصادم وتقاتل فهل يكون التقسيم حلا ممكنا في المستقبل ؟

هكذا يعتقد الساسة الإنجليز وهم في الحقيقة أساس المشكلة وربما هذا ما يؤكده الواقع الحالي خصوصا أن البلد قد تقسم فعلا، ولكن ما الذي سيحدث لو خرجت قوات حفظ السلام الدولية وهي التي تحافظ على المناطق والحدود وحتى تقسيم الشوارع في العاصمة (نيقوسيا) بين الطرفين ؟

ونصل الآن إلى التساؤل الذي يقول ماذا عن وجهة نظر الطرف الآخر (القبارصة الأتراك) فيما يتعلق بقرارات الأمم المتحدة وعمليات منظمة أيوكا ومواقف مكاريوس والقبارصة اليونانيين؟ وكرد أو توضيح لابد لنا أن نستعرض وجهة نظرهم من خلال ما يكتبون أو يدعون.

في الكتاب الصادر عن مكتب المعلومات القبرصي التركي المعنون (وجهة النظر التركية بشأن قبرص الصادر بتاريخ ١٩٥٠م) ما يلي:

١ - أن قبرص صارت جزءًا من تركيا سنة ١٥٧١ م وبقيت كذلك لأكثر من ٣ سنة وفي سنة ١٩٢٢ م تركت تركيا بموجب اتفاقية لوزان سيادتها على قبرص لبريطانيا العظمى التي كانت لها إدارة فاعلة في الجزيرة منذ سنة ١٨٧٨ م على اتفاق خاص وافقت بموجبه بريطانيا العظمى مقابل هذا التغيير في الإدارة أن تساعد تركيا ضد العدوان الروسي ومن أجل أن تراقب تقدم الروس في اتجاه البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط، وليس هناك أمة قبرصية، وقبرص هي جزيرة تعيش عليها طائفتان متمايزتان (تركية ويونانية).

وهاتان الطائفتان لهما خصية ثقافية وعرقية ودينية ولغوية ووطنية مختلفة تماما، كذلك تقاليد وآمال وأن الأتراك واليونانيين الذين يعيشون في قبرص هم أجزاء من أمتين مراكزهما بجانبه تقع خارج الجزيرة وفي سنة ١٩٢٢ م كان القبارصة الأتراك يكونون ٣٢ ٪ من عدد سكان الجزيرة وقد حدثت هجرة ملحوظة بعد أن نقلت السيادة والإدارة في الجزيرة إلى بريطانيا العظمى، والآن فإن ٨٠ ٪ من السكان يونانيون و ٢٠ ٪ أتراك بينما يصل عدد السكان ٥٧٧ ألف نسمة

٢ ولقد حاول السكان اليونانيون بين وقت وآخر إلحاق قبرص باليونان

ولكن حتى الآن فإن هذه المطالب والأعمال التي تؤيد لا تزال محدودة في جوهرها ومع ذلك فإن هذه المحاولات قد اكتسبت قوة الدفع بفعل العمليات الدبلوماسية التي قامت بها الحكومات اليونانية من جانب ومن خلال الأعمال السرية التي قامت بها أيوكا (المنظمة الإرهابية في قبرص ضد الإدارة البريطانية) من جانب آخر وكانت المحاولات التي يقوم بها القبارصة اليونانيون منذ البداية موضع معارضة من طرف الطائفة التركية في الجزيرة ومن طرف الحكومة التركية والغرض الأساسي لتلك المعارضة يمكن أن يلخص فيما يلي (يلاحظ أن الكتاب صادر في سنة ١٩٥٠ م على أن الموقف التركي مازال كما هو)

١ - أن المنظمة الإرهابية أيوك والمجموعات المتعصبة الأخرى قد أعلنت وقامت بالكثير من التحرش والكراهية تجاه الطائفة التركية في قبرص ولذلك فإن الأتراك في قبرص لديهم كل الحق في أن يحافظوا على وجودهم ولذلك فقد كانوا معارضين بشدة في أن يتركوا تحت رحمة الجالية اليونانية أو أن يوضعوا تحت السيطرة اليونانية منذ وصول المتطرفين من اليونان ليطلقوا الإرهاب ويضغطوا اليونانيين الذين يعارضون الوحدة وبذلك فإن البقاء والتعاون بين الطائفتين صار مستحيلاً استحالة كاملة وإن المنظمة الإرهابية أيوكا كانت مسئولة ليس فقط عن ضياع الأبرياء الذين يعيشون بين القبارصة الأتراك ولكن أيضاً على إرغام القبارصة اليونانيين بقطعوا كل اتصال لهم مع الأتراك.

٢ - أن الجزيرة لا تبعد أكثر من ٤٠ ميلاً عن الشواطئ الجنوبية التركية وبذلك فهي تمثل موقفاً قيادياً أمنت تهيجاً يراقب الملاحة بين المواني التركية مثل الإسكندرون وميرسين، وبهذه الصفة وبسبب هذا القرب الجغرافي والموقع الهام للجزيرة في البحر الأبيض المتوسط فإن أمن ودفاع تركيا متصل مباشرة بموقع قبرص.

٣ - تركيا لها اهتمام كبير في المحافظة على الأمن والاستقرار في شرق البحر الأبيض المتوسط إذ إنه كلما تأثر سلام شرق البحر الأبيض المتوسط والسلام في هذه الجزيرة يهام فإن تركيا تصبح لأنها تكون طرفاً في الصراع ولذلك فإن

تركيا لديها اهتمام خاص بوضع قبرص بحيث يسمح للجاليتين أن تعيشا في سلام، والطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك هي منع أي احتمال لأن تضطهد أي منهما الأخرى وتبعاً لذلك وهذا فإن تركيا قد شعرت منذ البداية بأن الحل الأمثل والأبقى لمشكلة قبرص هو واحد فقط هو توفير ضمان مناسب للجالية القبرصية التركية

٤ - في سنة ١٩٢ م كانت تركيا واليونان في مواجهة خطيرة. وكانت اليونان ترغب في الاستفادة من هزيمة تركيا بعد الحرب العالمية الأولى ولذلك حاولت أن تحتل غرب الأناضول كجزء من توجهها لتحقيق فكرة اليونان الكبرى وهي نموذج من الإمبريالية اليونانية. وبعد الهزيمة التي لحقت باليونان في الأناضول فإن اتفاقية لوزان كانت قد وقعت وإن كل المشاكل بين تركيا واليونان قد سويت، وكان الغرض من الاتفاقية إحداث توازن سياسي وعسكري بين البلدين ولفتح الطريق من أجل الصداقة والتعاون بينهما وفي هذه التسوية فإن السيادة على قبرص كانت قد تركت لبريطانيا، ولذلك فإن أي تغيير في وضع الجزيرة لصالح اليونان كان سيؤثر على التوازن الذي أحدثته اتفاقية لوزان ويهدد العلاقات التي كانت قد نشأت بين البلدين

٥ - وعلى الرغم من المعارضة التركية فإن اليونان والجبهة اليونانية استمرتا بعد الخمسينيات في الضغط من أجل ضم قبرص إلى اليونان. كذلك فإن منظمة أيوكا بعملياتها الإرهابية قد ارتكبت الكثير من الجرائم ليس فقط ضد الإنجليز والأتراك وإنما ضد القبارصة اليونانيين الذين كانوا يمتنعون عن تغيير وجهة نظرهم، وفي نفس الوقت فإن الحكومة اليونانية اشتركت نفسها بشكل متزايد في أعمال منظمة أيوك بينما أججت المشاعر في اليونان من خلال الخطط الإمبريالية الإغريقية والأسقف مكاريوس الذي صار فيما بعد رئيساً للجمهورية كان أكبر جهوده كرئيس للكنيسة الأرثوذكسية في قبرص لمساندة السياسة الإمبريالية اليونانية لذلك فإن الكنيسة الأرثوذكسية صارت جزءاً من المنظمة الإرهابية أيوكا نفسها.

هذه وجهة النظر في الجانب الآخر (القبرصي التركي) في الجزيرة، أي أن كلا من الجاليتين تتهم الأخرى بالإرهاب والتخطيط لإلحاق الجزيرة بأحد طرفيها

(تركي أو اليونان) ونحن عندما ننقل هذا الكلام لا نؤيد أو نتعاطف أو ننحاز إلى أي من الجانبين وإنما مقصدنا أن نقدم للقارئ العربي (وربما القبرصي نفسه تركيا كان أو يونانيا) صورة عما جرى ويجري في الجزيرة وأسباب مشاكلها على أمل أن تتغير وجهات النظر وأن يدرك هؤلاء وأولئك أن مصيرهم واحد وبلادهم واحدة هي (قبرص الجزيرة التي يجب أن يحل بها السلام والاستقرار الذي تستحقه) وعلى هذا الأساس والرغبة نستعرض ما جاء في كتاب الجانب القبرصي التركي حول الأحداث التي وقعت بين سنتي (١٩٥٤ – ١٩٥٨م) وهو كما يلي:

(أخيرا جاءت الحكومة اليونانية بالمشكلة إلى الأمم المتحدة في سنة ١٩٥٤م وسببت ضم قبرص إلى اليونان بدعوى الحكم الذاتي ولكن حسب أمل الحكومة اليونانية بحل المشكل القبرصي بشكل (المرض) دون أن تأخذ في حسبانها مصالح تركيا الدفاعية والتاريخية والجغرافية في قبرص وكذلك الحق الشرعي للجالية القبرصية التركية، ولكن الموضوع وقد نوقش في الجمعية العامة للأمم المتحدة عدة مرات بعد سنة ١٩٥٤م وفي كل مرة كانت الجمعية العامة ترفض قبول الطلب اليوناني وتطلب أن تحل المشكلة من خلال المفاوضات بين الأطراف المعنية وكان آخر قرار من الجمعية العامة في سنة ١٩٥٨م وبعده كما بين [ا] لجمعية العامة بعد أن نظرت في مشكلة قبرص على ضوء القرار رقم ١١ / ١٠١٣ الصادر بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٥٧م تعرب عن ثقتها بأن المحاولات ستبذل من كل الأطراف للوصول إلى حل سلمي ديمقراطي وعادل طبقا لميثاق الأمم المتحدة)

ثم يتحدث هؤلاء بتفصيل عن اتفاقيتي زيورخ ولندن مشيرين إلى التوتر السائد والوضع المتفجر بين الطائفتين بسبب (كما يقولون) الأعمال الإرهابية التي ترتكبها منظمة أيوكا والتي تهدد السلام والأمن، يصلون إلى الكيفية التي يتحقق بها الاستقلال والظروف التي مرت بها البلاد وأسباب الخلاف بعد الاستقلال).

وتلك بالطبع وجهة نظر الجانب القبرصي التركي الذي يختلف تماما مع الجانب القبرصي اليوناني، ومنه محاولة تغيير الدستور ومخالفة نصوص هاتين

الاتفاقيتين ثم ما يسمونه (مذبحة سنة ١٩٦٣م) ضد الأتراك القبارصة ومحاولات إعادة الوضع إلى ما كان عليه وإحلال السلام في الجزيرة في مؤتمر لندن الذي عقد في ١٥ يناير ١٩٦٤م و المقترح الأمريكي البريطاني بشأن قوة حفظ السلام في قبرص الذي عرض في ٣١ يناير ١٩٦٤م والتضامن بين الجانبيين بحث عن السلاح للدفاع عن النفس والحصار الاقتصادي الذي فرض عليهم وفي نهاية السرد يضع معدو الكتاب بين قرارات مجلس الأمن الدولي التي لم تُنفَّذ فعلياً (نجد القارئ الكريم نموذجًا منها ضمن وثائق الكتاب).

والخلاصة الأمر أن كل طرف من الأطراف (تركيا واليونان وبريطانيا والجالية القبرصية اليونانية والجالية القبرصية التركية) لم يستطع أن يتخلص من خوف وعقد الماضي على الرغم من أن البلاد في ذلك الوقت أي من سنة ١٩٥٢ م إلى سنة ١٩٦٣م لم تصل إلى التقسيم الكامل كما هو الحال الآن (سنة ١٩٩٦م) فقد أصبحت قبرص مقسّمة بالكامل وبها جمهوريتان واحدة في الجنوب والغرب والأخرى في الشمال والشرق وصار هنالك رئاسة وأحزاب ووزراء ومؤسسات كثيرة مثل الصحف والنقابات والاتحادات ... إلخ جمهوريتان واحدة معترف بها دوليا وهي التي تمثل الشعب القبرصي في الهيئات الدولية والأخرى لم تعترف بها إلا دولة واحدة هي (تركيا) ولكنها مع ذلك تمثل الأمر الواقع الذي لابد من التعامل معه اليوم أو غدا أو حتى بعد عقد أو قرن من الزمن، وعلى الرغم من مساعي الخيّرة الكثيرة إلا أن الحل لا يمكن أن يحدث إلا في شكل من أشكال الكونفدرالية. وحتى في هذا ما زال هناك خلاف شديد بين كل هذه الأطراف ولا أحد يعرف ما الذي سيحدث في المستقبل، على أن هناك جهودا تبذل وخططا لوضع ونمو اقتصاديا ملحوظ يتم في الجانبين

الفصل الثامن

الخلاف بين مكاريوس وقريفاس .. أسبابه ودوافعه

تقول العرب : «لا يجمع سيفان في غمد»

وقال الشاعر العربي :

يقـــــــاس المرء بالمرء	إذا مـــــا هو مـــــاشاه
وللـــــــناس على النـــاس	مـــقـــاييس وأشـــبـــاه

لم يكن الأسقف مكاريوس الثالث على أي درجة من الوفاق مع العقيد قريفاس (أحيانا يذكر على أنه جنرال) ذلك أن مكاريوس كان سياسيا وهو بالأساس رجل دين وكان يعتقد أن قضية قبرص يمكن أن تحل بالمفاوضات أو عن طريق الهيئات الدولية كالأمم المتحدة مثلا، بل إنه في إحدى المراحل من تاريخ قبرص كان قد طلب من قريفاس مغادرة الجزيرة وعدم العودة إليها إلا إذا طلب منه هو شخصيا العودة وكان مكاريوس يرفض العنف وعندما ضغط عليه من مختلف الأطراف الداخلية والخارجية (كانت هناك عناصر كثيرة قبرصية تميل إلى العنف بما فيها بعض رجال الدين، أي الكنيسة، إضافة إلى قريفاس والعسكريين اليونانيين) وبعد فترة من ممارسة الضغط عليه وافق على عمليات محدودة جدا وقد حصرها في (عمليات التخريب) فقط بمعنى أنها ستكون ضد بعض القواعد العسكرية أي أنها تحذير مما يمكن أن يحدث إذا لم يُجَب إلى طلبه. وكان العقيد قريفاس يحصل على المساعدة والتأييد من أسقف (كايرينيا) وهو موقف من ذلك الأسقف مضاد إذ إنه مناقض لمكاريوس وهو أحد المنادين بالوحدة مع اليونان بشدة وبذلك فقد كان العقيد قريفاس يحاول تجاوز مكاريوس حيث أجرى العديد من الاتصالات عن طريق ذلك الأسقف في كايرينيا وعن طريق شقيقه الذي كان يعمل طبيبا في نيقوسيا (شقيق قريفاس) وقريفاس كما ذكرنا من أصل قبرصي وقد ولد في قرية (تريكومو) التي تقع في الجانب الشرقي من (ميسوري) والتحق بمدرسة قبرصية في قريته تلك ولقد تأثر بالقومية الهيلينية التي أضافها إلى المنهج التعليمي المدرسون اليونانيون في تلك المدرسة. وعندما بلغ السابعة عشرة من العمر غادر قبرص حيث حصل على الجنسية اليونانية والتحق هناك بالكلية العسكرية، وكانت طموحاته وهو شاب أن

يشارك في حملة اليونان الكبرى التي آمن بها أثناء مشاركة وحدته العسكرية في حملة آسيا الصغرى سنة ١٩٢١ م ولكن وحدته تلك تقهقرت من مواقعها عندما كانت على بعد ستين ميلا من أنقرة وكان من المقرر لكتيبته أن تهاجم القسطنطينية إلا أن الجيش اليوناني أصيب بنكسة كبرى حيث هزم في تلك الحرب، ومنذ ذلك اهتم بفكرة حرب العصابات على الرغم من أن الكارثة التي حلت بالجيش اليوناني قد تركت آثارها على إحساس هذا الضابط الصغير الذي كان أكثر يونانية من اليونانيين أنفسهم، وعن تلك المرحلة تتحدث مؤلفة كتاب (ثورة قبرص) السيدة نانسي كراوشاو بما يلي:

(غريفاس عندما كان في السادسة والعشرين من عمره كان برتبة كابتن (نقيب) وقد عمل في فترة ما بين الحربين العالميتين في مختلف الوحدات العسكرية وحاضر في كلية الأركان اليونانية عن التكتيك العسكري كما شارك في دورات متقدمة بالمؤسسات العسكرية الفرنسية بما في ذلك كلية (الحرب) وعندما قامت إيطاليا بغزو اليونان سنة ١٩٤٠م كان غريفاس برتبة مقدم وقد عين في منطقة (بيندوس) في منصب أركان حرب وحدة الجيش الثاني وعندما هزمت اليونان من طرف قوات المحور عاد إلى أثينا وبقي إلى فترة انتهاء الحرب، في سنة ١٩٤١م أسس نواة تجمع يسمى بمنظمة الإرهابية (اكس) وكانت قسمة المجندين الأوائل فيها (غالبا كانوا من الضباط الملكيين، وهم بلا شك من الفئات المتمردة) تقول (شعارنا كان وسيكون دائما اليونان الكبرى) ثم أضافوا إلى هذا الشعار القول (ونحن نحلم باليونان الكبرى) منذ اللحظة الأولى التي استولى فيها المحور ووجهت بنادق الثمانية ملايين مجند موسوليني إلينا وحلمنا بها عندما كان جيش ملايين الحديد لهتلر يهاجم جيشنا من الخلف بينما كان مشغولا في ألبانيا ونحن نحلم باليونان الكبرى عندما كانت مملكة بريطانيا العظمى تقاتل منفردة ضد قوى الظلام قوات المحور ونحن نحلم بها عندما نهرق آخر قطرة من دم المناضلين بسبب جراح المحتلين[1]).

(١) كان هذا النص قد وجد على وثيقة وقعت في أيدي القوات البريطانية حسبما ذكرت المؤلفة

وفي نهاية فترة الاحتلال لم يكن هناك شيء معروف عن غريفاس ولكن بعض التصور لتصرفه كان يمكن أن يلاحظ من خلال نشاط منظمة (اكس) التي يقودها وكانت هذه المنظمة قد ظهرت لأول مرة في فترة جلاء الألمان والواقع أن بدايتها كانت مشبوهة إذ إن بعض أعضائها كانوا ممنوعين بوصمة التعاون وكانت تحصل على أسلحتها من العدو ولهذا الغرض رفض البريطانيون عرضها بالمساعدة في مقاتلة الشيوعيين سنة ١٩٤٤م وتحت عنوان أنشطة غريفاس التخريبية سنوات ١٩٤٨ - ١٩٥٤ تقول المؤلفة (عندما تقدمت عمليات الحكومة ضد الشيوعيين فإن أغلب قطاع الطرق من جناح اليمين قد تحولوا إلى قوات نظامية وبعودة النظام الملكي على أسس راسخة وضرب هزيمة الشيوعيين قلت قدرات الفصائل المتطرفة مثل (منظمة اكس) وفي سنة ١٩٤٨ م تحول غريفاس منضما إلى موضوع الوحدة على أساس أن القبارصة لا يمكن أن يحققوا حريتهم إلا بالعنف ولقد أدرك من الحرج أن قبرص غير صالحة لحرب العصابات ذلك أنها تفتقر إلى سلسلة جبلية تكون مكان للاختفاء ولقواعد العمليات كذلك فهي بعيدة عن اليونان الساحة الرئيسية وكذلك بعيدة عن جزر الأيونيان الشيء الذي يكون عقبة في طريق استيراد الأسلحة كما أن سلوك القبارصة كان محتملا أن يسبب بعض المشاكل ذلك أنه شعب ليست لديه تقاليد حرب وهم غرباء عن فكرة استعمال القوة كسلاح سياسي، ولكن يعتقد غريفاس قرر في النهاية أن هذه المشاكل يمكن التغلب عليها ونظرا إلى أنه ليست هناك هوية لعالم السياسة اليونانية (بمعنى موقف محدد تجاه ما يريد) فإن غريفاس كان مضطرا إلى أن يبحث عن الاتصالات التي يريدها على مستوى عال عن طريق طرف ثالث، وفي سنة ١٩٤٨م قام بأول اتصال برئيس تحرير الجريدة ذات التأثير المدعو (أخيليوس كيرو) عن طريق (كريستودولوس باباديبوس) الشخص المساعد السابق في منظمة (اكس) ولكن (كيرو) رد قائلا إن المباحثات الدبلوماسية يجب أن تعطى فرصة.

وفي الانتخابات البرلمانية اليونانية سنة ١٩٥١م كان العقيد قريفاس قد قام بمحاولة ثانية لدخول عالم السياسة وهذه المرة كزعيم للحزب الوطني الزراعي الذي حصل على أقل من ١٪ من مجموع الناخبين ولم يحصل على عضوية في البرلمان، ثم تشجع العقيد قريفاس بالاستفتاء القبرصي في بداية السنة ليباشر مع (كيرو وباباجوس) مباحثات أخرى من أجل احتمالات مباشرة العمل الثوري في الجزيرة وبناء على طلبه سافر (بابادوبولوس) إلى قبرص في أغسطس لفهم رد الفعل الشعبي علمًا أن القبارصة اليونانيين يمكن توقع مساعدتهم للقضية القومية شرط ألا يطلب منهم خطوات عملية، ولم يكن مفاجئًا أن يعود بابادوبولوس بفهم مشجع عن تحمس الشعب للوحدة ولكن وفاة (كيرو) المفاجئة في سبتمبر عطلت خطط العقيد، وكان من اللازم البدء بخطوات جديدة، وهكذا أرسل بابادوبولوس للاتصال بالجنرال (كوسماس) الذي وعد بالمساعدة خلال شهر مايو في السنة القادمة ولذلك تقرر أن يتزعم قريفاس الثورة وكان عليه أن يحصل على تأشيرة دخول إلى قبرص من أجل إعداد الترتيبات ودراسة الوضع على الطبيعة، وبالرغم من الوضع السياسي المضطرب في الجزيرة وأن قريفاس نفسه كان قد وضع على القائمة السوداء من طرف واحدة على الأقل من السفارات البريطانية في أثينا كإرهابي خطير ومتمرد فقد حصل على تأشيرة من القنصلية البريطانية العامة دون صعوبة وعندما وصل قبرص في يوليو قابل على الفور الأسقف مكاريوس ولكن موقف الأسقف كان غير مشجع ومنذ البداية كان على خلاف مع قريفاس بشأن استعمال السلاح والطرق التي يستخدم بها، ذلك أن قريفاس كان يعتقد حملة تشمل في وقت واحد حرب عصابات وأعمال تخريب إلا أن الأسقف كان يريد عمليات محدودة في شكل تخريب على مستوى صغير وقد عارض بشدة تشكيل مجموعات عصابات وكذلك وقت العمليات ولكن قريفاس كان يخشى أن أي تأخير سيسبب مشاكل لسرية العمل ذلك أن عمليات الإعداد قد بدأت والظروف ستكون غير مناسبة إذا ما تأخرت إذ إن انسحاب بريطانيا من الشرق الأوسط يتقدم ولذلك فإنه من المتوقع أن بريطانيا ستعمل على استخدام قبرص آخر موقع لها في المنطقة وقد ظهر عدم تحمس

الأسقف لذلك العمل في موقف القبارصة ككل إذ كانوا محافظين في نظرتهم ومشدودين بتذكريات الانتفاضة التي حدثت سنة ١٩٣١م وهي المحاولة التي كان فشلها حسب رأي قريفاس بسبب عدم التخطيط الجيد ومع ذلك فقد وجد قريفاس الحماس المطلوب لدى الأسقف المنافس لمكاريوس وهو أسقف كايرينيا الذي يكرس جهده ويبشر بالعنف من خلال منبره، وأثناء زيارة قريفاس لقبرص أقام لدى شقيقه الطبيب الذي يعمل في نيقوسيا ولقد تجول في منطقة الجبال عدة مرات وعندما التقى مكاريوس للمرة الثانية غادر قبرص وكان في غاية القلق بسبب شكوك مكاريوس وعدم إقدامه إلا أن الوضع بالنسبة للعقيد قريفاس كان في نقطة اللاعودة لأنه كلما قرر شيئًا يكون بسبب وعقلية غير قادر على إعادة النظر فيه ومع ذلك فإن الكثير من الأسباب ربما تعرض لتغيير الاتجاه مع الأخذ في الاعتبار أن القيادة المطلوبة والتي كان يرى أنه يملكها تقول إنه لا شيء يمكن أن يكون دون العنف وبعد عودته إلى أثينا بدأ قريفاس نشاطًا فوريًا من أجل تشكيل اللجنة الثورية جاعلًا مكاريوس في رئاستها ثم بعد ذلك عقدت اللجنة أول اجتماع لها هناك في شهر يوليو ١٩٥٢م وهنا كرر مكاريوس في هذا الاجتماع تقديره للموقف وهي مخالفة لرأي قريفاس وانتهى إلى القول (إنك لن تجد خمسين رجلًا يسيرونك) وبعدئذ شكلت لجنتان خاصتان برئاسة (ستراتوس) وهو وزير حربي سابق وفي الاجتماع الثاني الذي عقد ثانية لم يكن ما دار فيه مقنعًا لقريفاس وهو الذي طلب فيه مكاريوس من قريفاس عدم العودة إلى قبرص إلا إذا طلب منه شخصيًا ذلك وعلى الرغم من انتظار ذلك الطلب فإن مكاريوس لم يطلب إلا أن قريفاس تحول إلى (سبيريدون) رئيس وزراء اليونان والثاني في سلم الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية بعد مكاريوس فنادى لقريفاس بالعودة إلى قبرص وكان هذا التحول تعميدًا في أول محاولة لقريفاس في تجاوز صلاحيات مكاريوس، وقد حصل قريفاس للمرة الثانية على تأشيرة دخول لقبرص من القنصلية البريطانية العامة في أثينا ووصل إلى الجزيرة خلال شهر أكتوبر وكان مكاريوس في ذلك الوقت يستعد للمغادرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ولذلك حول قريفاس إلى

أسقف (كيتيو) وأثناء فترة غياب مكاريوس قضى قريفاس خمسة أشهر في الجزيرة كان خلالها يقوم باستكشاف منطقتي (بنتاداكتيلوس واوليمبوس) ويجري اتصالات محلية هامة وقدم له القس (اباستاموروس) مساعدات هامة كما جاء (أريماس) إلى بيت (ميخائيل قريفاس) شقيق العقيد قريفاس متطوعا لتقديم خدماته، وبعد عودته إلى أثينا في فبراير ١٩٥٣ م أعد قريفاس خطة عامة وأرسل نسخا إلى ستراتوس ومكاريوس وهو بذلك يخالف تقديرات مكاريوس الذي قال إن النضال سوف يستمر مدة خمسة أو ستة أشهر بينما وضع قريفاس ترتيباته لحملة أطول، وفي ظل غياب مساعدة الحكومة اليونانية كان مجبرا على أن يعتمد على شحنات صغيرة من الأسلحة وعلى تلك التي كسبت لديه منذ فترة منظمة (آكس) وكان الغرض العام أن يتأكد العالم أن القبارصة سوف لن يهدأوا إلى أن يتحقق مطلبهم وأن يتأكد البريطانيون أن البلاد ليست تحت سيطرتهم، على أن قريفاس كان يدرك استحالة هزيمة بريطانيا نهائيا وكان الغرض الثاني من الحملة حشد الرأي العام الدولي إلى جانب القبارصة والاعتراف النهائي بمطلبهم والضغط الدبلوماسي من خلال الأمم المتحدة، وقد كلف بعثة أثينا بالإعداد لمظاهرات في كل أنحاء اليونان من أجل فضح بريطانيا وإظهار تأييد الشعب اليوناني وتضامنه مع قضية قبرص، وبسبب الصعوبات التي تواجه القيام بحملة كاملة من حرب العصابات فقد كان التخريب هو السلاح الأساسي، وكانت مجموعات التخريب تنتقل من المدن والقرى التي يقيم بها أفرادها ويطلب منهم عدم التوجه إلى مناطق الاختفاء للالتحاق بعصابات الجبل إلا في حالات الخطر المحقق وكان قرار قريفاس بتشكيل خمس مجموعات من العصابات فقط تحكمه مسألة الأسلحة المتوفرة حينئذ كما أن العدد الأكبر يجعل الهروب والاختفاء أصعب على أن احتمالات زيادة المجموعات واردة مع توفر الأسلحة وكانت المهمة الأولى لهذه المجموعات هي مهاجمة الأهداف العسكرية فقط (وهذا ربما كان أحد آراء مكاريوس) واستهدفت الخطة جانبا آخر إضافة إلى التموين والتطوير وهو تشكيل مجموعات تصفية لقتل القبارصة الذين يمثلون خطرا على القضية كذلك مركز تجميع المعلومات، ولقد التقى مكاريوس بالعقيد قريفاس

في أثينا خلال شهر مارس عندما كان في طريق عودته إلى قبرص وفي هذا اللقاء وافق على مبدأ استعمال القوة ولكن مع ضرورة أن تنحصر في عمليات التخريب فقط .. انتهى

ونلاحظ هنا في كل المراحل منذ بداية التفكير في العمليات العدائية أن مكاريوس لم يكن على اتفاق مع العقيد قريفاس الذي يخطط ويقود تلك العمليات بل إن مكاريوس في البداية رفض استعمال القوة حتى أنه قال لقريفاس: إنك لن تجد خمسين رجلا يتبعونك. وكان يعتقد أن العمل الدبلوماسي أجدى وأنفع على رغم إصرار قريفاس. وكان مكاريوس يحاول إبعاد هذا العقيد المتحمس عن العمل في قبرص عندما طلب منه عدم العودة إلى الجزيرة إلا إذا طلب منه هو شخصيا المجيء وحتى بعد أن تجاوز قريفاس مكاريوس لم يتمكن من العمل دون الحصول على موافقة مكاريوس. ومن المؤكد أن هذا الأخير كان لا يريد عمل قريفاس العسكري وفي نفس الوقت لا يريد إغضاب المسئولين في أثينا لأنه لابد أن يحتاج إليهم في العمل الدبلوماسي ويعلم أنه في الأمم المتحدة لم يحصل على تأييد للقضية القبرصية وربما كان ذلك هو سبب موافقته على استعمال القوة عند عودته من هناك على أن تكون في حدود ضيقة جدا وفي أعمال التخريب حيث إنه لا يريد سفك الدماء. بمعنى أن تلك الأعمال العسكرية يجب أن توجه ضد المنشآت العسكرية البريطانية في قبرص وباستعمال كلمة تخريب لابد أن مكاريوس كان يعتقد أن التخريب سوف لن يؤدي إلى قتل الناس. ومع الرغم من أنه وافق على استعمال القوة عندما كان في أثينا إلا أنه تراجع عن ذلك الموقف عندما عاد إلى بلاده وهذا دليل آخر على فهم مكاريوس للظروف الدولية. ولأنه رجل دين فقد كان يتجه في الغالب إلى العمل السلمي ومحاولة التفاهم والاتفاق من خلال البحث والمناقشة والتفاوض، وتذكر مؤلفة كتاب ثورة قبرص موقف مكاريوس ذلك فتقول:

كان مكاريوس قد وافق على استعمال القوة كشرط إذا ما فشلت الجهود الأخرى وعلى أن تكون في حدود ضيقة جدا ولابد أن تكون محصورة في أعمال

للتخريب الذي يستهدف المواقع العسكرية. وسرعان ما أعاد ترديد تعليماته تلك بواسطة (أريساس) الذي كان يمثله وإن أضاف هذه المرة قائلا إن أحداً لا يجب أن يبعث إلى قبرص. وهكذا يكون قد أكد الموافقة على استخدام القوة، وعند هذا الحد فإن عدد من أعضاء اللجنة الثورية اقترحوا أنه يجب تجاوز وتجاهل مكاريوس، وهذا يعني انعدام فهم الموقف وعدم فهم القوة الشعبية التي يتمتع بها مكاريوس في قبرص، ولقد كان مكاريوس الأسقف رجل دين في حين أن غريفاس كان رجلا علمانيا وغير معروف لدى القبارصة وليس له أن يأمل في الإطاحة بشخصية رجل دين هو، أو أن يبدأ ثورة دون تعاونه الكامل. على أن مكاريوس قد أظهر علامات استجابة للضغوط وقد كتب الدكتور (ميشيل غريفاس) قائلا إن مكاريوس قد وافق أن يقوم العقيد غريفاس بإرسال رجل أو اثنين من اليونان وربما أكثر فيما بعد، وذكر (سافاس لويزيدس) في نفس الوقت لغريفاس أن الأسقف أمر بجمع وتخصيص بعض المال لشراء كميات من الأسلحة إلا أن غريفاس عندما أبلغ الأسقف في أثينا أن الأسلحة موجودة أحس ببعض التردد ومع ذلك فإنه يظهر أن غريفاس والأدميرال (ساكيلاريوس) قد أقنعاه بتنفيذ الخطة وقد رتب الأدميرال الأسلحة حيث شحنت إلى قبرص بمساعدة (أزيناس) وفرغت الشحنة قرب (كلوراكاس) يوم ٢ مارس وصار من الآن اهتمام غريفاس الأساسي ينحصر في الحصول على كميات أوفر من السلاح على أنه رغم الإلحاح لم يحصل على المساعدة اللازمة والمساندة من الحكومة اليونانية عدا الجنرال (كوسميس) ولأن مكاريوس قد عاش فترة الاحتلال الألماني والإيطالي في اليونان فقد كان يعلم تماما أن المصالح الوطنية في العمل السياسي تأتي في المرتبة الأولى وهو بالتأكيد على بينة من موقف اليونان في مؤتمر باريس سنة ١٩٤٦م وكيف أن قضية قبرص قد تم تجاهلها بالكامل ذلك لأن الحكومة اليونانية كانت تتفادى إحراج بريطانيا في ذلك المؤتمر وكان المطلب اليوناني القديم ضد ألبانيا وبلغاريا مطروحا وقد حصلت اليونان على موافقة بضم جزر (الدوديكانيز) ويرد المؤلف موقف مكاريوس وتصوره مستقبل قبرص من خلال التدخل الخارجي والعمل المسلح على الوجه التالي.

ربما كان مكاريوس مقتنعا بأن حملة دبلوماسية مكثفة يدعمها حدوث انفجار وشغب بشكل محدود سيكون كافيا لتحقيق هدف القبارصة اليونانيين في مدة شهر إضافة إلى أن الأسقف الذي عاش فترة الحرب في اليونان لابد أنه كان قلقا من خطورة حدوث حرب من نوع حرب العصابات في قبرص ومن صعوبة نزع سلاح العصابات عندما تنتهي مهمتها ومن كون أن أولئك سيكونون من اليونان فإنهم سوف ينقسمون إلى فئات متنافسة تتقاتل على أرض الجزيرة وفوق كل شيء كان يخشى حملات استخدام السلاح ضد الذين كانوا في موقع المسؤولية منهم. انتهى

وهذا يعني أن مكاريوس كان يعرف أن الخلاف لابد أن يحدث بين الوطنيين والذين يأتون من الخارج ولقد تأكد قلق مكاريوس هذا في أحداث سنة ١٩٧٤ حيث انقلب عليه الضباط اليونانيون الذين كانوا يقودون حرسه الوطني (الحرس القبرصي) وقد قاتل الناس فعلا في بداية الانقلاب كما يتوقع بالتحديد (كونهم يونانيين في مواجهة قبارصة) وهكذا فإن نبوءة مكاريوس في أوائل الخمسينيات قد حدثت في منتصف السبعينيات وفي النهاية فإن غريفاس الذي نسي أو تناسى أنه قبرصي وصار يونانيا أكثر من اليونانيين أنفسهم قد خسر أمام القبرصي الذي أمسك بالدولة والكنيسة ورغبة الحلول السلمية وإن كليهما قد دخل التاريخ وصورت أعماله في عدة صفحات يذكر ويتذكر أهل البلاد على أن أهل هؤلاء مازالوا مختلفين حول دور كل منهما (مثل خلافهم حول قضية الوحدة) وربما كان كلاهما يعمل من أجل الوحدة وإن كان كل منهما مختلف في أسلوب العمل (الوحدة التي لم ولن تتحقق بأي من تلك الطرق) ولعله من المفيد أن نبحث في جذور الوحدة التي تعرف في مصطلحهم باسم (أنيوسيس) والتي حارب من أجلها غريفاس كما كان يقول وناضل مكاريوس أيضا من أجلها، الأول كان يعتقد في السلاح بينما كان الثاني يعتقد في السياسة والدبلوماسية (وهما طريقان مختلفان تماما) الأول في الميدان الحربي على جبال ترودوس يرتدي البزّة العسكرية المموهة ويحمل رشاشا ومعه حفنة من الرجال، بينما كان الثاني يتنقل بين عواصم العالم مرتديا جلبابا أسود تتدلى الصلبان على صدره باعتباره الرجل الأول في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية

وهو يحلم بمستقبل لبلاده يختلف تماما عن ماضيها، مستقبل بلد بلا حروب وبلا ملوك، ولذلك قصة أخرى.

ونجد في كتابات وأحاديث السيد فلافكوس كليريدس الكثير عن ذلك الخلاف الذي قال إنه بين القيادتين الدينية والعسكرية أي (بين مكاريوس وقريفاس) ففي جزء من مذكراته عندما كان يتحدث عن جذور الشعب القبرصي اليوناني يقول:

(سنعرف ماذا كان هنالك تضارب وضعف ومدمر في السلوك الذي اعتمدته قيادة القبارصة اليونانيين فإنما يجب أن ندرس بعمق الشخصيات السياسية القبرصية اليونانية في ذلك الوقت، وإنه من السهل ادعاء عدم الخبرة أو العمى السياسي أو استغلال الشعور القومي للوصول إلى السلطة أو الاحتفاظ بها. ولكن لا يمكن أن يوفر الحروب لتحقيق أي من هذه الأسباب أن الزعيمين القبرصيين اليونانيين منذ سنة ١٩٥٥ م فصاعدا والذين سيطرا على الحياة السياسية في الجزيرة حتى أنهما أثرا في التطورات في اليونان، هما الأسقف مكاريوس والجنرال قريفاس، ونادر في التاريخ أن كان زعيمان قوميان أبعد ما يمكن في تعارض دعوتهما، فقد كان واحد في خدمة الله و نشأ في فنون الحرب. ثم ووحد شعبهما يقاتل ويموت بمثل تلك التضحية الوطنية من أجل قضية عامة وحتى الآن تكرار يفرقهما حتى بعد موتهما الانقسام بين أنصار مكاريوس المضادين لقريفاس وأنصار قريفاس المضادين لمكاريوس، وهذا الانقسام مضر بقبرص، وقلما كان يوجد بلد محظوظ له زعيمان قوميان من ذلك النوع العظيم كل منهما في مجاله، مكاريوس يوجه النضال من أجل الوحدة سياسيا وقريفاس يقود ذلك النضال عسكريا، وحينما انتهى النضال من أجل الوحدة أو وضع المطلب على الرف بسبب اتفاق الاستقلال فقد ثبت أنه نادرا ما كانت دولة حديثة ذات طائفتين في حاجة ماسة إلى رجال دولة وحاجة أقل إلى زعيمين قوميين. وفي الحقيقة فإن حياة جمهورية قبرص ذات الطائفتين اعتمدت كثيرا على قدرة الزعماء المسيطرين في ذلك الوقت، مكاريوس وقريفاس وآخرون وكان على مكاريوس وقريفاس أن يعدا

شعبيهما لقيادة مختلفة مهما خلاف كونهما زعيمين قوميين لطائفة و حدة عرقية، كذا يجب أن يعملا كرجلي دولة يدفعان الشعب القبرصي في اتجاه المصالحة الوطنية وهذا التغيير في القيادة كان أكثر عجلة بالأسقف مكاريوس لأنه رئيس لدولة من طائفتين دولة ظهرت بعد سفك الدماء بين عناصر من عرقين وكان عليه أن يحوز على ثقة المعارضة الأتراك في استقلال قبرص على شكل اتفاقيتي زيورخ ولندن سنة ١٩٥٩م. كان يمكن أن ينجح فقط إذا أمكن بناء الثقة بين المعارضة اليونانيين والمعارضة الأتراك وكان بالتأكيد في نفس المستوى من الأهمية بالنسبة لمكاريوس أثناء محاولة كسب الثقة من جانب الأقلية التركية أن يحافظ على ثقة الأغلبية القبرصية اليونانية المحبطة خصوصا عندما يجمع الزعيم القومي الآخر ومؤيدوه موقفهم المنتقد للتخلي عن قضية الوحدة ليس سرا أو (خذلان مطلب الوحدة كما يقولون) وعندما حدث اتفاق الاستقلال في مؤتمر لندن سنة ١٩٥٩ م هام الأسقف مكاريوس وهو الأسقف المرقي لقبارصة اليونانيين الذين يكونون ٨٢٪ من الشعب في الجزيرة كان الزعيم الوحيد الذي يمكنه أن يضع توقيعه عليها وبعمل ذلك أقنع القبارصة اليونانيين أن يقبلوا أو على الأقل أن يؤمن منهم تحمل اتفاق الاستقلال مع تلك الثغرات المؤلمة التي جاءت في الدستور وبدلا من سيادة الجمهورية الذي فرضته اتفاقية التأسيس واتفاقية الضمان، وحتى هذا الزعيم القومي الروحي المحبوب رفي ذلك الوقت من أجل أن يحقق غرضه في القبول الشعبي باتفاقيتي زيورخ ولندن وبشكل خاص من أجل إقناع مقاتلي منظمة أيوكا) لكي يضعوا سلاحهم يحتاج إلى قبول اليونان المسئولية الكاملة عن اتفاق زيورخ ورضا قريفاس الذي جاء بعد أن وضعت الحكومة اليونانية ثقلها تؤيد الاتفاقية واقنعت ذلك الجنرال السيد بأن معارضة الاتفاقيتين سوف تؤدي إلى انقسام الأمة وتكون كارثة على قضية قبرص. وأثناء الفترة الانتقالية (١٩٥٩م - ١٩٦٠) كان واضحا أن مكاريوس سوف يكون أول رئيس للجمهورية الفتية في قبرص وكان كذلك واضحا أنه إذا كان مكاريوس مطلوب في أن يكون أول رئيس من أجل أن يجعل المعارضة اليونانيين يقبلون بالاتفاقية وأن يستمر في تأييدهم على اعتبار أنه

بدوافع والحقيقة أن الزعيم القومي التقليدي وهو يسعى إلى القبارصة اليونانيين والشخص الأكثر قدرة على بث الثقة في القبارصة الأتراك. والمشكلة في الوضع أنه على الرغم من أن مكاريوس كان مرغوبا كأول رئيس للجمهورية من أجل أن يبقي القبارصة اليونانيين على الطريق وأن يستمر في تنفيذ الاتفاق كأسقف قبرص طبقا لتقاليد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية وكعرفي يحمل دور الحارس على الهيلينية في الجزيرة وكلت إليه بأرشمندرية منه من التاريخ فإنه هو الوحيد الذي يمكن أن يميز بتباعده من دور الزعيم القومي إلى رجل الدولة أي رئيس دولة ثنائية الطوائف وهكذا، يمكنه أن يكسب ثقة الـ ١٨٪ من شعب الجزيرة من تركي هذه الثمانية عشر في المائة التي كانت مطلوبة بالحاح إذا قدر للتجربة أن يكون لها نصيب من النجاح وأي اعتماد أو تفكير بأن الأسقف من ينتخب أول رئيس للجمهورية كان غير منطقي ذلك أن الكنيسة التي كانت لها قوة السيطرة السياسية في الجزيرة خلال ثلاثمائة سنة من الحكم العثماني وثمانين سنة من الحكم البريطاني لم تكن مستعدة أن تسلم الحكم لرجل علماني خصوصا إذا كان مثل ذلك التصرف سيعتبر على أنه تخلٍّ عن مسئولية الوصاية ومن الجانب الآخر فإنه ليس هناك سبب لأي مرشح أن ينجح ضد مكاريوس كما حدث لحزب (أكيل) الحزب الشيوعي القبرصي القوي وحزب الوحدة الديمقراطي المتشدد اللذين كمشا ذلك سنة ١٩٦٠م ذلك أنهما في أول انتخابات رئاسية كانا قد قدما ولد (جون كليريدس) وهو قانوني محترم وسياسي مسن أن يقف ضد مكاريوس في الانتخابات في وقت كانت فيه ثقة القبارصة اليونانيين في أسقف مكاريوس مسألة مضمون حاصل. ويسهي غلافكوس كليريدس في الحديث عن تلك المرحلة إلى التأكيد أن مكاريوس وغريفاس رجل الدين ورجل الحرب) كانا على خلاف مكبر وأن مكاريوس وإن كان متحمسا تجاه أولئك الذين كانوا يتهمونه بالتخلي عن المطلب القومي (الوحدة مع اليونان) فإنه كان حذرا في تعامله وكان يأمل في تحقيق استقلال كامل لقبرص، أو هكذا يستنتج المتتبع لسرد قصة تلك الفترة في مذكرات كليريدس، كما أنه قد تحدث عن الأخطاء التي ارتكبت ربما بسبب عدم النضوج السياسي أو نتيجة المبالغ فيه وكذلك

التقديرات المماثلة فيقول: وتوفي مكاريوس في الثالث من أغسطس سنة ١٩٧٧م نتيجة لأزمة قلبية ثانية إذ كان قد أصيب بأزمات قلبية حادة أضعفت صحته، وبين الأزمة الأخيرة في قلبه وما قبلها كان مكاريوس قد اختار مكان قبره في منطقة جبال ترودوس فوق كنيسة (كيكو) التي عمل فيها كمبتدئ، وتقديري لمكاريوس أنه كان زعيما قوميا ممتازا خلال فترة النضال من أجل التحرير ضد الحكم الاستعماري وكذلك كان غريفاس في الجانب العسكري. ومكاريوس مع ذلك كرجل دولة ورئيس لبلد ذي طائفتين قد فشل في أن يدرك في وقت مبكر أن رغباته المطلبية العرقية للقبارصة اليونانيين لا يمكن أن تتقارب كليا مع مطالب الرئاسة لدولة متعددة الطوائف. والصورة التي يرسمها أقرب مؤيديه على أنه الزعيم السياسي البارز والمصدر الذي لا يخطئ لا تتفق مع الحقيقة على الرغم من زعامته الكاريزمية وذكائه الحاد فقد اتخذ قرارات خاطئة متجاهلا النصائح ومع الأسف فإن بعض تلك الأخطاء كان لها تأثير عكسي على تطور مشكلة قبرص. ووفاة مكاريوس مع ذلك تمثل علامة في نشوء الحياة السياسية في قبرص، إنها تمثل علامة انتهاء الدور المسيطر والقيادي للكنيسة في السياسة والتحرير وتمثل نموا في نضوج الأحزاب السياسية المختلفة القبرصية اليونانية ويمكن أن يقول المرء إنها تمثل بداية نهاية السياسة القومية. والتحليل الإيجابي لسياسة مكاريوس حول مشكلة قبرص لا يمكن إلا أن يرسمها الإنسان في الملخص التالي:

(عندما صار مكاريوس أسقف لقبرص التزاما بأصله العرقي حمل الوحدة هدفه. وفي هذا الخصوص فهو لم يجانب سياسات سلفه والاختلاف الحقيقي كان في أن سلفه في كرسي الأسقفية القبرصية قدم بحملة سياسية من أجل تحقيق هدفه بينما اعتمد مكاريوس على النضال المسلح ليعطي مادة لحملته السياسية وللضغط على البريطانيين على القبول بمبدأ تقرير المصير لقبرص، وكل من مكاريوس وأسلافه تعاملوا مع مسألة الوحدة من وجهة نظر أن قبرص تاريخيا وثقافيا يونانية وبالنسبة للسكان فإن الغالبية والتي ترجع إلى الأصل اليوناني مع أقلية قبرصية تركية ولذلك فإنه من حق الأغلبية اليونانية ٨٢٪ من السكان أن تمارس

ذلك الحق في إدارة نفسها وأن توحد قبرص مع اليونان ولأن أسلاف مكاريوس كانوا يقومون بحملات سياسية بالكلام والخطب وكتابة المذكرات إلى الحكومة البريطانية فإنهم كانوا يمكن أن يستمروا بلا نهاية في تلك الحملة دون جدوى ولا يحققون الوحدة فبقوا وبقيت قبرص تحت السيطرة الأجنبية البريطانية، أما مكاريوس فقد حرر قبرص بالنضال العسكري من الاستعمار ولكنه بهذا التحرر كان عليه أن يعترف لتركيا بأن لها مصالح في قبرص وكان عليه أن يقبل وجودا عسكريا تركيا في الجزيرة وكذلك الضمان التركي وحق تركيا في التدخل المنفرد لمنع أي تغيير في الوضع الدستوري الذي تقرر حسب اتفاقية زيورخ وحق منع الوحدة التي كانت هدف سياسته وقبول الاستقلال بدلا من الوحدة لم يكن التسوية الوحيدة التي قبلها مكاريوس أثناء حياته السياسية الطويلة، فقد اتخذ موقفا ضد الاتحاد قبل وبعد الغزو التركي وأخيرا فقد قبل الاتحاد في مناطق متعددة، وينتهي كلام كليريدس في تحديد الأخطاء والمواقف (وأظنه محقا في ذلك) إلى القول

١ – كان مكاريوس حساسا فيما يتعلق بمقدرته على أنه خالف القسم الذي أخذه على نفسه في كنيسة (فانيروميني) خلال فترة ما قبل الاستقلال، ونصه أنه لن يتخلى عن النضال إلى أن تتحقق الوحدة.

٢ – وكان قد انتقد بشدة لأنه لمجرد تحقيق استقلال منقوص اعترف لتركيا بأن لها مصالح في قبرص وكلمة في مستقبلها مدعومة بوجود عسكري وحقها في التدخل، كما وافق على أن تكون للطائفة التركية حقوق سياسية أكثر مما هو معترف به دوليا للأقليات

٣ – أنه كان قد شكل حكومة مكونة من أشخاص معظم الذين ينتمون إلى منظمة أيوكا ومن مؤيدي تلك المنظمة الذين يضمرون التوجس تجاه اتفاقيتي زيورخ ولندن وهم معارضون لسياسته وإن كانوا يعتقدون أن رفض مكاريوس تنفيذ بعض فقرات دستور سنة ١٩٦٠م وطلب تعديلها يمثل مخرجا، وفي رأيي أن أهداف مكاريوس من تقديم مطلب غير ناضج بشأن إجراء تعديلات في الدستور كانت

عديدة، منها أولا، أنه أراد أن يثبت لمنتقديه أن سياسته في قبول اتفاقيتي زيورخ ولندن كانت للتخلص من الحكم الأجنبي الاستعماري وأنها كانت صحيحة وأن اتفاقيتي زيورخ ولندن برغم الضمان التركي ورغم ثقلهما يمكن أن تعدلا

وثانيا، أنه رغب في أن يقلل من الحقوق السياسية المفصلة التي ضمنتها تلك الاتفاقيات للطائفة التركية إلى الحد الذي يقرره المجتمع الدولي عادة للأقليات مثل حرية الدين واللغة والثقافة ... إلخ وليس حقوق سياسية مفصلة

وثالثا، كان يرغب (عندما يحين الوقت) في أن يخلص قبرص من اتفاقيتي زيورخ ولندن اللتين فرضتا قيودا على سيادة قبرص ويجعلها مستقلة فعلا

ورابعا، أنه رغب في أن يحقق كل الأهداف المذكورة أعلاه أثناء حياته وبينما هو رئيس لقبرص، ولتحقيق الأهداف المذكورة قرر أن ينضم إلى حركة عدم الانحياز ولقد رأى وهو على حق أن التحالف الغربي الذي يعتبر تركيا عنصرا هاما فيه سوف لن يساعده على تحقيق أهدافه، وعلى أي حال فقد اعتقد أنه يمكن أن يحقق تلك الأهداف من خلال الأمم المتحدة وبمساعدة حركة عدم الانحياز وهذا ثبت أنه خطأ، وقد خلق إبراز هذه الأهداف احتكاكا دائما بين مكاريوس وكل الحكومات اليونانية خلال سنوات (١٩٦٣ - ١٩٧٤م) وقد حاولت الحكومات الديمقراطية اللاحقة أن تمنع مكاريوس من الاستمرار في محاولة تحقيق تلك الأهداف ونصحته بأن يتفاهم ولكنها فشلت في اقناعه كما حاول الدكتاتور العقيد (بابادوبلوس) إقناع مكاريوس أن يضمن للطائفة التركية حق الإدارة الذاتية في الأمور المحلية في مقابل أن يقبل الجانب التركي البنود الثلاثة عشر التي طلبها في الدستور إلا أنه فشل في إقناعه على الرغم من حقيقة أنه قد استخدم حتى التهديد ضد مكاريوس ولقد استمر مكاريوس في اعتقاده أنه من خلال الأمم المتحدة وبتأييد حركة عدم الانحياز يمكنه أن يكون قادرا على تحقيق أهدافه، ولم يتغير هذا الاعتقاد حتى بعد الغزو التركي وفي فبراير سنة ١٩٧٧م وصل إلى خلاصة أن قرارات الأمم المتحدة بشأن قبرص ليس لها نصيب من التحقق وأن الوقت يعمل في

تجاه مصالح القبارصة وأنه يجب أن يفاوض من أجل حل، وأن الحل لابد أن يكون مرضياً للجانب القبرصي التركي وهو الفيدرالية غير المركزية وعرف أنه بلا مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية فإن الغطرسة التركية لا يمكن أن تتوقف. ومع الأسف فقد مات بعد وقت قليل من إدراكه تلك الحقيقة . انتهى.

والواقع أننا نعتقد أن موقف مكاريوس هذا الذي أشار إليه السيد كليريدس والذي قال فيه (إن مكاريوس مات بعد أن صار واقعياً) عندما أدرك أن قرارات الأمم المتحدة ليس لها فرصة التحقق وكذلك مساندة حركة عدم الانحياز، نحن نعتقد أن مكاريوس كان مدركاً للوضع الدولي عندما غير موقفه ذلك أن حركة عدم الانحياز قد فقدت الزعماء الأقوياء إما بالموت أو العجز فلقد كان البعض منهم قد مات والبعض الآخر فقد القدرة على العمل إما بسبب الكبر أو أنهم قد أطيح بهم، فقد مات جمال عبد الناصر ونهرو وشواينلاي وتيتو، وأطيح بغيرهم وإن الأمم المتحدة أصبحت رهينة لدى الولايات المتحدة الأمريكية حتى قبل أن يتفكك الاتحاد السوفيتي ويظهر النظام العالمي الجديد، بمعنى أن مكاريوس لم يكن مخطئاً عندما انتمى إلى حركة عدم الانحياز لأنه اعتقد أنه بإمكانه أن يعتمد على الأمم المتحدة وتلك الحركة في تنفيذ القرارات الدولية كما أنه لم يكن مخطئاً عندما قال إن قرارات الأمم المتحدة ليس لها حظ من التنفيذ، أو أنه أدرك مبكراً حقيقة أن الوضع الدولي قد تغير وهكذا يتصرف رجل الدولة. ولهذا فإن ذلك ليس عجزاً منه وإنما هو موقف يحسب لصالحه وليس ضده ومن المعلوم أنه ليس هنالك شيء دائم في السياسة.

الفصل التاسع

جذور الوحدة المستحيلة (أوينيسيس)

قال الشاعر العربي:

كيف الرجوع بها وحول قبابها   سمر الرماح يلن للاصطدام

وقال أيضا

ولا يقوم على حق بنو رجس   من عهد آدم كانوا في الهوى شعبا

قضية الوحدة، وحدة مصير ومستقبل أي شعب قُسِّم لأسباب سياسية أو اقتصادية استعمارية هي في الواقع واحدة من أهم القضايا في تاريخ كل الشعوب التي وقعت تحت سيطرة أجنبية ماضيا وحاضرا. كذلك الحال بالنسبة لنفس الهدف بين شعبين أو عدة شعوب. ولقد حدث أن هنالك وحدات قامت وكانت قصيرة العمر ربما للأسباب نفسها التي كانت عائقا أمام الوحدة، ووحدات دامت لفترات من الزمن قسرا أو طوعا. وأخريات لم تتحقق لها ظروف التوحيد أو التوحد على الإطلاق رغم أصلها الواحد ولغتها الواحدة ودينها وماضيها. ومنها ما كتب له البقاء حتى الآن وربما إلى الأبد. والأسباب كثيرة والأمثلة على ذلك متعددة، بين شعبين كحالة قبرص وعدة شعوب كحالة الاتحاد السوفيتي سابقا والاتحاد اليوغسلافي أيضا سابقا. وكالاتحاد السويسري والولايات المتحدة حاليا ثم كالشعب العربي في الحالة الأخيرة. وغير هذه وتلك، ولكنا في غير حاجة إلى الحديث عن كل هذه الشعوب لأن الموضوع يخص ويتعلق ببلد واحد وهو موضوع هذا الكتاب، ذلك هو قبرص، ومع ذلك فإنه ربما يكون من المفيد أن نعرض لبعض أسباب تحقق أو فشل أو استمرار الوحدة (أي وحدة) طويلا أو قصيرا من الزمن لأن الديمومة بطبيعة الحال غير ممكنة ولذلك أسباب أخرى.

هنالك العديد من الظروف والأسباب والعوامل التي تؤدي إلى تكوُّن الشعوب والأمم والمجموعات البشرية كالهجرة والاستقطاب والطرد والتكاثر الطبيعي إذ إن هنالك عوامل جاذبة وأخرى طاردة (واحدة تجمع وأخريات تطرد وتفرق) فهنالك علاقة الدم والعرق والدين واللغة والعادات والتقاليد والتاريخ وحتى الجغرافيا لتلبية الحاجة من أجل البقاء كالتضامن للدفاع أو الغزو من أجل المصالح وسبل الحياة

وهجرة الأفراد أو مجموعات البشرية من مكان إلى آخر أو من أرض إلى أخرى سببه غالب البحث عن المعيشة المتمثلة في فرص العمل والكسب والإنتاج فالاستعمار فالتكون كحالة أمريكا الشمالية، وتتكون الصلات أو تُفقد بسبب النزوح والهجرة إذ قد تنتقل مجموعة من الناس أو الأفراد من مجتمع ما لتلتحق بآخر وتصير منه مع الزمن حيث تفقد صلتها أو انتماءها لمجتمعها الأول، وهكذا الحال بالنسبة لقبرص فهناك طائفتان من الناس واحدة مسيحية أرثوذكسية تنتسب إلى الأصل اليوناني وإن لم تكن كذلك في الواقع وحقيقة الأمر وطائفة مسلمة سنية تنتسب إلى الأصل التركي وإن كانت أصلاً عربية تكلمت اللغة العربية واعتنقت الدين الإسلامي وجاءت من بلاد عربية ومجتمع عربي ثم تخلت عن تلك اللغة والأصل لعديد من الأسباب وصارت تركية الجنس والانتماء، ولقد مرت الطائفتان في تاريخ الجزيرة المكتوب بالعديد من المراحل وتلاحمت أو تصادمت وتفاوتت مع الكثير من الأجناس كما مر بنا لكنها انتهت إلى أن تكون في الواقع الحالي قبرصية تركية وقبرصية يونانية أساساً بسبب اللغة والدين وقد استخدمت الطائفتان اللغات اليونانية والعربية والتركية والفرنسية والإنجليزية وإن غلبت على إحداهما اللغة اليونانية وعلى الأخرى اللغة التركية مع عادات متقاربة ونمط حياة وجغرافيا واحدة إلا أن إحداهما كان تأثرها أكثر بعوامل لغتها ودينها فانجذبت أكثر إلى ما تعتقده الأصل أي (اليونان) وصارت تناضل من أجل الاندماج في ذلك الأصل المعتقد في حين أن الطائفة الأخرى ترى أو تعتقد العكس ولهذا كانت قضية الوحدة ولا تزال أس الأساس في مشاكل قبرص والقبارصة الأتراك واليونانيين وجذور الوحدة في هذا الفارق كما نعتقد ترتبط بالتاريخ لأن الذين يدعون الآن إلى وحدة مع هذا الجانب أو ذاك وبشكل خاص مع اليونان إنما يستخدمون التاريخ إضافة إلى اللغة والدين ولأن هناك شكوك في الموقف التاريخي كعنصر يمكن أن يدعم ذلك المطلب فإنه لابد من البحث فيه، وفي هذا الشأن يقول السير (جورج هيل)

(إن الصعوبة الكبيرة تكمن في حقيقة أن قبرص ليس لها تاريخ متصل من ذاتها فيما عدا وإلى درجة ما فترة (اللوسينيان) وما لديها يشابه المتاهات بأهمية متغيرة

من أنشطة القوى العظمى التي وجدت من عصر لعصر كان من الضروري أن تتعلق منها وهي في طريقها لأهداف أهم. ومن أجل أن يوضع تاريخها في موضعه الحقيقي فإن الواحد يحتاج إلى تاريخ كل الشعوب الذين اتصلوا بها سواء أكانوا مستعمرين أو محتلين اسمين) وفي هذا الاتجاه كتب عالم آثار ألماني بعد الاحتلال البريطاني لقبرص سنة ١٨٧٨م يقول :

(إن من يريد أن يبقى قوة عظمى في الشرق فيجب أن يقبض على قبرص في يده...)

وهذا فعلاً ما أكدته الأحداث التي مرت بها الجزيرة وتاريخ معالم خلال الثلاثة آلاف وخمسة سنة من عهد الفرعون المصري (تحتمس الثالث) إلى ملكة الإنجليزية (فيكتوريا) ولقد كان الدين في قبرص هلامياً قبل المسيحية التي دخلت سنة ٤٥ ميلادية وقبل الإسلام الذي جاء مع الفتح العربي الإسلامي الثاني سنة ٦٥٣م إذ كان أهل قبرص يعبدون آلهة الإخصاب منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ثم تحولت آلهة الإخصاب إلى الآلهة (أفروديت) هذه الآلهة التي حيكت حولها الحكايا والأساطير وجاء بها اليونانيون في مرحلة ما بعد الاحتلال الإغريقي لقبرص، وكان لهذه الآلهة تمثال في مدينة (بافوس) الواقعة في الجنوب الغربي من الجزيرة. علماً بأن القبارصة قد تكلموا اللهجة التي جاء بها المستوطنون اليونانيون وهي لهجة (الأوكادو) وكانت لهم أبجديتهم القبرصية الخاصة بهم إلا أن فكرة الوحدة لم تأت إلا متأخرة جداً عن الدين واللهجة المحكية إبان الاستيطان ثم الاحتلال اليوناني، ويقول مؤلف كتاب مختصر تاريخ قبرص السيد (بيريدوكس) فيما يتصل بالوحدة ما يلي :

(لم تكن قبرص قد شملت في الدولة اليونانية التي تكونت حديثاً حتى بالرغم من أن قضية الدمج هذه قد أثيرت منذ فترة حكم (جون كابو ديسترياس) في اليونان بعد حرب الاستقلال وكانت قبرص مستعدة لذلك بالكامل ذلك أن عدد من القبارصة قاتلوا وسقطوا قتلى خلال حرب اليونان من أجل الاستقلال وبشكل خاص في معركة أثينا سنة ١٨٢٦م وفي السنوات التي تلت، وأثناء الحكم التركي استمر

القبارصة في الإعراب عن رغبتهم في تحقيق حريتهم وأن يتحدوا مع اليونان، وقد كبر هذا الأمل وتكثف في ١٨٧٨م عندما سلمت قبرص طبقا لاتفاق ثنائي إلى الإنجليز على الرغم من استمرارها نظريا تحت حكم السلطان العثماني. وقد واصل القبارصة في ظل سيدهم الجديد من أجل هدفين، الأول الحصول على المزيد من الحقوق الوطنية، والثاني الاتحاد مع اليونان، وكان المطلب الأول قد تحقق جزئيا بضمان ميداني لشكل من الدستور وبتشكيل مجلس تشريعي يتكون من أعضاء منتخبين وأعضاء معينين. أما الثاني فكان دائما يواجه بالرفض من جانب البريطانيين الذين كانوا يحتجون دائما بأن الجزيرة مستمرة تحت سلطة السلطان العثماني. ومع ذلك فإنه في سنة ١٩١٣م درست حكومتا اليونان وبريطانيا احتمالات استبدال الجزيرة بميناء أرغوستولي في سيفالونيا ولكن ذلك لم يتم. وكانت فرصة أخرى للوحدة مع اليونان قد جاءت بعدها في سنة ٩١٥ م عندما عرضت الجزيرة خلال الحرب العالمية الأولى على اليونان بشرط أن تدخل هذه الحرب إلى جانب حلفائها ولكن هذا العرض كان قد رفض من طرف حكومة اليونان. وهكذا فإن الفرصة قد ضاعت

وبعد الحرب العالمية الأولى طلب ممثلو الشعب القبرصي بقيادة كنيسة الجزيرة الوحدة مع اليونان وقد زار وفد يتكون من الأسقف (كيريلوس الثالث والوزير اليوناني ممثلي المجلس التشريعي) لندن سنة ١٩١٩م لنفس الغرض ولكن مع الأسف دون جدوى. وكان إعلان حقوق الأمم الذي أعلن خلال الحرب قد تم تجاهله وكنتيجة لذلك كانت الهوة بين الشعب وقادته من جانب وحكومة الجزيرة وهي بريطانيا من جانب آخر قد اتسعت وكان ذلك سببا في انتفاضة سنة ١٩٣١م التي كانت قد قمعت بقوة السلاح وقد أبعد قادة الحركة (نيكوديموس أسقف كيتيون ومكاريوس أسقف كايرينيا) وعدد من أعضاء المجلس التشريعي ورموز أخرى من الجزيرة. وقد سمح فقط بعد الحرب العالمية الثانية بالعودة إلى قبرص للأحياء منهم ومن بين هؤلاء أسقف كايرينيا الذي انتخب سنة ١٩٤٧م أسقفا لقبرص وهو مكاريوس الثاني. وفي نفس الوقت فإن مقاومة الشعب القبرصي وقادته للوجود الأجنبي أصبحت أكثر حدة وإن لم تعبر عن نفسها بنشاط واضح. وفي نهاية

الحرب العالمية الثانية كان على الحكومة البريطانية أن تتعامل مع قضية قبرص إذ إن هذه القضية أبرزها الشعب وقياداته وخصوصا السيد (ليونتيوس) الذي كان يقوم نيابة بمقام كرسي الأسقفية لمدة سنوات (١٩٣٢م – ١٩٤٧م) والذي صار أسقفا لوقت قصير سنة ١٩٤٧م وقد سافر ليونتيوس هذا إلى لندن سنة ١٩٤٨م ليرفع قضية قبرص وجواب الحكومة البريطانية على مطلب القبارصة بشأن الاتحاد مع اليونان القائم على مبادئ تقرير مصير الشعوب أثناء الحرب العالمية الثانية الذي كان يتمثل في عرض دستور سنة ١٩٤٧م حول الحكم الذاتي المنقوص وهذا كان قد رفض من طرف جناح اليسار ومن الشعب كله وقادته. وبدلا من ذلك رفع ليونتيوس شعار (الاتحاد، والاتحاد فقط) وقد استمرت حركة الاتحاد مع اليونان تنمو إلا أن الحكومة البريطانية ظلت غير مكترثة بهذا الوضع الجديد وإن كانت قد أظهرت رد فعل قليل سنة ١٩٤٩م عندما أعلن الأسقف مكاريوس الثاني عن استفتاء شعبي مفتوح يحدد رغبة الشعب في الاتحاد. وقد جرى ذلك الاستفتاء في ١٥ يناير ١٩٥ م وانتهى إلى أغلبية ساحقة في صالح الاتحاد مع اليونان إذ صوت ٩٦٪ من الشعب للاتحاد بينما امتنع ٤٪ وهم غالبا من الموظفين والمدرسين الذين عينتهم الحكومة. وكان الاستفتاء قد حاز على أهمية كبيرة وعلى نطاق واسع في العالم رغم محاولة الحكومة البريطانية غير الناجحة للتقليل من أهميته، وهكذا استمر النضال السياسي والدبلوماسي خلال السنوات اللاحقة وقد تبنت كل تلك القضية حكومة اليونان بالرغم من عدم اهتمامها المبدئي لكن الأمر أصبح ميسرا عندما تكونت حكومة قوية في اليونان برئاسة المشير (اليكساندروس باباغوس) قائد النصر في حرب اليونان مع إيطاليا (١٩٤٠م – ١٩٤١م) انتهى.

وعرضت الحكومة اليونانية قضية قبرص على الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال ١٩٥٤ – ١٩٥٥م من أجل طلب تقرير المصير لكن الطلب لم يجد القبول من طرف أعضاء المنظمة الدولية ولم يتخذ أي قرار في هذا الخصوص ومع ذلك فقد أصبحت القضية القبرصية قضية عالمية وحظيت بعطف القوى الليبرالية والبلدان المعادية للاستعمار..

ويلاحظ في عرض قضية قبرص وربطها بمسألة الوحدة مع اليونان أن هناك ثلاثة أطراف كانت تلعب أدوارا في رفع الحماس الشعبي أو خفضه بين وقت وآخر ولابد أن ذلك كان مرتبطا بظروف محلية ودولية. أولها الكنيسة ورجال الدين ولقد عرفنا مما تقدم أن الكنيسة كانت دائما تلعب دورا بارزا في حياة القبارصة وسياسة البلاد وما زالت كذلك، وثانيها الجماعات المتطرفة التي سارت وراء العقيد القبرصي اليوناني غريفاس، وثالثها الحكومة اليونانية التي كانت في أصعب الظروف تعمل من أجل المصلحة الوطنية اليونانية. وسنرى كيف كان دور الكنيسة بعد رفض الجمعية العامة للأمم المتحدة المطلب اليوناني بشأن قبرص، يقول مؤلف نفس المصدر [1]

(قيادة النضال من أجل اتحاد قبرص مع اليونان أو من أجل تقرير المصير تحولت الآن إلى مكاريوس الثالث وهو الأسقف الجديد الذي خلف مكاريوس الثاني سنة ١٩٥٠م بالاشتراك مع المجمع المقدس والمجلس الكنسي في الجزيرة. ولكن جميع الجهود الدبلوماسية والسياسية في قبرص واليونان بقيت دون نتيجة بسبب الرفض الدائم من طرف الحكومة البريطانية، أما المقترحات الجديدة من طرف هذه الحكومة بشأن الدستور فقد رفضت وهنا تزايد النضال الشعبي لأن الفشل في الحصول على أي نتيجة أغضب الناس وهو الشيء الذي دفع قسما منهم إلى تكوين منظمة ثورية سرية عرفت باسم (أيوكا) [2] ولقد قابلت الحكومة البريطانية ذلك بمزيد من الاعتقالات والمحاكمات فقد سجنت وعدمت وغرمت المئات من المواطنين القبارصة بمختلف التهم ونفت الأسقف مكاريوس ورفاقه إلى جزيرة (سيشل) وإن قد قامت الحكومة البريطانية أخيرا بخطوتين هامتين، كانت الأولى هي نقل المبادرة من أجل حل المشكلة القبرصية إلى منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) هذه المنظمة التي تتمتع بعضويتها كل من بريطانيا واليونان (لم يذكر تركيا) والثانية هي

[1] المصدر في تاريخ قبرص – سبيروس اكيس

[2] يأتي المؤلف هنا بقصة أخرى حول منظمة أيوكا فهو يقول إن قسما من الشعب في قبرص قد كون منظمة ثورية سرية عرفت باسم ايوكا وهو بذلك ربما لا يريد أن يذكر الجنرال غريفاس أو غيره بحيث يشعر القارئ أن المنظمة لم تكن بإشراف خارجي أو توجيه من حكومة أخرى، وهو كذلك تجاهل الإشارة إلى اسم غريفاس عند الحديث عن إجراءات نفي مكاريوس ورفاقه ونرى أن ذلك يجانب الحقيقة التاريخية

بإطلاق سراح الأسقف مكاريوس ورفاقه من جزيرة (سيشل في ٢٩ مارس ١٩٥٧م) وإن لم تسمح لهم بالعودة إلى قبرص، كذلك خففت بعض الإجراءات الخاصة بالطوارئ وأخيرا عرضت القضية على الأمم المتحدة وكان الشعب القبرصي قد رفض تدخل حلف الناتو. ولقد كان دور مكاريوس الثالث فاعلا في تخفيف المعارضة لمطلب الاستقلال القبرصي في الأمم المتحدة لعدة أسباب منها أنه كان معتدلا ويتجه في معالجة القضية إلى الجانب السياسي بدلا من العسكري ومنها أنه (ربما) كان قد أوعز إلى جهات موثوق بها أنه يرغب في أن يرى قبرص مستقلة ومحايدة وهذا يعني أنه ليس من أنصار الوحدة مع اليونان، كذلك فإن هذا الموقف بطبيعة الحال يخفف من التشدد التركي ويطمئن إلى حد ما الشريك الثاني في الجزيرة (الأتراك القبارصة) وعلى هذا الأساس بات الطريق مفتوحا إلى الاستقلال خصوصا أن دور بريطانيا في السياسة الدولية قد انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهذه كان لها موقف مختلف طبقا لخطة (أتشيسون) في عهد إدارة الرئيس (جونسون) وكانت الحكومة البريطانية منذ ما يقرب من مائة عام قد عبرت عن رأيها في مسألة الوحدة مع اليونان ووضع الجزيرة بملائمتها وجاء ذلك على لسان السيد (ونستون تشرشل) وكيل وزارة المستعمرات في ذلك الوقت أثناء زيارة قام بها لقبرص سنة ١٩٠٧م وقد ذكر مؤلف كتاب (قبرص تحت الحكم البريطاني) في موضوع (فكرة الهيلينية) فقال [1]:

(هناك عبارة يونانية تظهر دائما وتستعمل بشكل غريب في كثير من المقالات الرئيسية التي تكتب في الصحف اليونانية الصادرة في قبرص وهي عادة ما تطلق من الخطب السياسية والتي يحب القبارصة أن يذكروها في كل مناسبة وهي تسمع في الكنائس الأرثوذكسية اليونانية وفي الاحتفالات الخاصة والعامة وفي كل عيد وطني. وتستخدمها النوادي لزيادة أعضائها وتستخدمها الجرائد والمجلات من أجل زيادة المشتركين فيها وهي توجد في كل مكان يزوره الناس وهي كذلك تطلق من

[1] كتاب (قبرص تحت الاحتلال البريطاني، تأليف السير لوك، صدر في لندن ١٩٢٣م

القوة السياسيين ووحدة الرأي العام سواء في التعامل مع المواطنين أو في مخاطبة حكومة الإمبراطورية، والكلمة أو العبارة التي نتحدث عنها هي (أوينسيس) أي الاتحاد وهي تستعمل للتعبير عن الأمل السياسي في وحدة قبرص مع المملكة اليونانية وهي التي يبشر بها عدد كبير من الشعب المسيحي في قبرص، وهذا الأمل السياسي يعود إلى فترة ما قبل الاحتلال البريطاني وإن كانت قد جرت على دفعة قوية أثناء فترة الحكم العثماني وبداية انتهائه من الجزيرة، وعندما نزل السير (قارنيت وولزلي) في لارنكا سنة ١٨٧٨م وكان في انتظاره ممثلو الشعب القبرصي اليوناني برئاسة الأسقف وهو الذي خطب مرحباً به في الجزيرة استخدم هذه الكلمات (إننا نقبل تغيير الحكومة طالما أننا نثق أن بريطانيا العظمى سوف تساعد قبرص كما فعلت في جزر الأيونيان للتوحيد مع اليونان الأم التي ترتبط معها قومياً) وفي مناسبة زيارة السيد ونستون تشرشل واستقباله هناك أعلن أعضاء المجلس التشريعي أملهم الوطني في العبارات التالية (إن الشعب القبرصي أعلن بكل احترام أمنه الوطني للأمة الإنجليزية الشريفة منذ اليوم الأول للاحتلال البريطاني من خلال كلمات رئيس أعلى منبر كهنوتي، وبعدئذ لم يبخل بالإعلان في كل مناسبة إلى الحكومة البريطانية ومن خلال ممثليه في المجلس التشريعي عن ذلك وفي الإعراب عن هذه الرغبة اليوم بسعادة كبيرة وحماس شديد، ولآخر مرة فإننا وفوق كل شيء لابد أن نعلن أن الشعب القبرصي وبلا تردد يعتقد أن أهم ما يحقق سعادته واستقراره هو تحقيق هدفه النهائي الذي لا يمكن أن تحول دونه قوة مادية أو معنوية، وإننا نأمل ونثق في الاعتراف بأسرع وقت ممكن من طرف الأمة الإنجليزية العظيمة التي تلتزم بتقاليدها الليبرالية وكما فعلت في الجزر الإيونيانية بحيث تضيف صفحة أخرى رائعة إلى أمجادها التاريخية في تحقيق الوحدة وتحظى ليس فقط بتقدير الشعب القبرصي وإنما الهيلينيين في جميع أنحاء العالم حيث تمهد هذه الضرورة إلى المكان الذي تنتمي إليه، إلى الأم المحبوبة اليونان. إلى الصدر الحنون حيث تتمتع بالليبرالية التي يتمناها كل شعب، وخصوصاً الشعب الذي يربطه

الانتماء واللغة والدين والحضارة والذي يكون جزءاً من الشعب اليوناني الخالد الذي خلق وطور الحضارة والإنسانية... إلخ) ويتساءل المؤلف هنا قائلاً :

على أي أساس أقيم هذا الربط في المجتمع؟ لا على التاريخ ولا الجغرافيا سيظهر أن هناك ارتباطاً بين قبرص والبلد الأم، اليونان، وتعبير عودة قبرص إلى اليونان الذي استعملته ذات مرة صحفية إنجليزية تعاطفت مع أحداث قبرص سنة ١٩١٢م إنما هو تعبير غير صحيح كلياً، وما يؤكد ذلك جيداً في أحداث التاريخ التي ذكرناها في الفصل الثاني من الكتاب[1] ولقد كانت قبرص في الماضي لمصر وفارس والأشوريين والروم والبنادقة والجنويين والإمبراطورية العثمانية، لكنها لم تكن للإغريق ولا يمكن أن تكون بأوسع معنى للتصور ناهيك عن القول إنها واحدة من الجزر اليونانية[2] وعلى المستوى الوطني فإن القضية قوية ذلك أن الناس الذين يسكنون الجزيرة عندما غزاها واحتلها المصريون وعندما استعمرها الفينيقيون بكل الاحتمالات كانوا من أصل أيونياني أو جنسي والهجرة المتكررة من اليونان حدثت قبل العصر المسيحي، ولذلك فإن الذين يتحدثون بالنسبة اليونانية لأن هم من دماء مختلطة وفي عروقهم دماء من كل الأمم التي استعمرت أو احتلت بلادهم بين وقت وآخر، ولكن العنصر الإغريقي بلا شك أثبت أنه الأقوى والأبقى ذلك أن اللسان اليوناني هو الذي عاش وحده وبسببه بقيت التقاليد الإغريقية وقد انتهى كل ما عداها وتعلم السكان الذين يتكلمون اللسان اليوناني من خلال لغتهم توقير ذكريات اليونان القديم وأمجاد عصر الإغريق، واعتبروا أنفسهم منحدرين من عرق الأبطال والملاحم والمعاني التي تعرف الحضارة الحديثة في العالم كله بوفرة إسهاماتهم

ويستمر المؤلف في سرد الأسباب التي جعلت المعارضة اليونانيين يصرون على كونهم جزءاً من اليونان دون أن يكون هنالك سند تاريخي أو جغرافي كما يقول غير اللغة والتقاليد اليونانية التي بقيت على غيرها من سمات وتقاليد الأمم التي

(١) كتاب (قبرص تحت الحكم البريطاني) ، تأليف السير تشارلز أور، صادر في بريطانيا باللغة الإنجليزية

(٢) نص برقية أرسلت من طرف القبرصة الأثراك إلى المندوب السامي البريطاني سنة ١٨٨٢ م

سيقعمها وتلك ربما هي الحقيقة، إلا أننا نرى أنه من حق اليوناني القبرصي أو بالأحرى (القبرصي اليوناني) أن يفخر بالانتماء إلى أمة عظيمة قدمت الكثير للعالم في مجالات التاريخ والأدب والفلسفة والعلوم والحضارة بكل مقوماتها. ذلك صحيح وسيبقى كذلك إلا أن الواقع السياسي والجغرافي والتاريخي والأمني يفرض شيئاً يختلف عن المطامع والرغبات أو الآمال والميول العصبية التي تتجاهل حقوق ومصالح الآخرين في عالم اليوم. ونعتقد أن ذلك التجاهل غير ممكن خصوصاً إذا كان هؤلاء الآخرون يشاركون في نفس البلد ويشكلون جزءاً منه، وقد يحدث أن تتغير الظروف السياسية وتبعاً لذلك تظهر دوافع جديدة تحقق مصالح دولة أو دول ما وعلى هذا الأساس يتغير الموقف أو المواقف كما حدث في حالة قبرص أثناء الحرب العالمية الأولى مباشرة والتي يذكرها المؤلف على النحو التالي:

(ضم الجزيرة من طرف بريطانيا العظمى عند اندلاع الحرب مع تركيا سنة ١٩١٤م، حدث تغيير هاما في الوضع مما جعل بريطانيا حرة في أن تتصرف في قبرص كيفما أرادت. وخلال السنة التالية عرضت بريطانيا قبرص على اليونان ضمن شروط لكن اليونان رفض وسقط، ولكن هذا التطور أظهر أن بريطانيا كانت مستعدة للتصرف بالأساس القومي الذي طالب بموجبه القبارصة المتكلمون باللغة اليونانية بالوحدة مع اليونان على أنه لم يكن غير عادل (كما كانت تتمثل) ومع ذلك فإنه ما زال هناك واقع وحقيقة أن ربع سكان الجزيرة هم من الأتراك الذين استقروا هناك منذ قرون والذين امتلكوا واستغلوا جزءاً كبيراً من الأرض والذين كانوا دائماً من بين الحكام البريطانيين. ومنذ الاحتلال سنة ١٨٧٨م وهم معادون بشدة لفكرة الوحدة مع اليونان أو أن تكون قبرص تحت سيطرة اليونان. ولقد احتج الأتراك مراراً ضد فكرة تسليم الجزيرة لليونان وأعلنوا أن تحقيق تلك الفكرة يعني القضاء عليهم ولقد قاوموا من خلال المجلس التشريعي ومواقع أخرى أية إجراءات قد تؤدي بطريق مباشر أو غير مباشر إلى تسليم الجزيرة أو تبديلها لليونان ولم تنكر الطائفة القبرصية اليونانية وجود طائفة قبرصية تركية لكنهم ينكرون أنه طالما

أن الطائفة القبرصية التركية المسلمة تمثل أقلية نسبية من عدد السكان فإنه لا يحق لها أن تتدخل في الطموحات السياسية للأغلبية. انتهى)

هذا ما ذكره المؤلف الشهير تشارلز فوس، وهو وإن كان حقيقة إلا أنه يتضمن تناقضاً غريباً. فإذا كان القبارصة الأتراك وهم الشركاء في البلاد يرون أن استلام الجزيرة بواسطة اليونان يعني نهايتهم فكيف ينكر عليهم حقهم في الاعتراض حتى وهم أقلية؟ كذلك فإن بريطانيا في تناقض مواقفها فهي لا تلتزم بمسئولية الدولة الحاكمة ذلك أنها أحياناً ترفض الطلب القبرصي اليوناني على اعتبار أنه غير منطقي في تجاهله لوجود الطائفة القبرصية التركية وفي أحيان أخرى هي نفسها تتجاهل وجود تلك الطائفة وتعرض تسليم قبرص لليونان مقابل مكاسب خاصة، كذلك فإن اليونان البلد (الأم) ترفض قبول ذلك الطلب وهي التي يفهم من غالب مواقفها وفي مختلف مراحل حكامها أنها تعمل على توحيد تلك الجزيرة معها. ألم يكن ضباطها هم الذين انقلبوا على الحكم الشرعي الدستوري في عهد الرئيس مكاريوس؟! وإذا كانت بريطانيا بعملها ذلك إنما هي تقصد استشعار في أحيان وتهدئة في أحيان أخرى خوفاً أو رغبة أو طمأنينة فيما هي تؤجج الخلاف والعداء بين الطائفتين وكذلك بين الدولتين المرتبطتين (تركيا واليونان) ولكن على الساسة وقادة الفكر في قبرص أتراكاً ويونانيين أن يدركوا تلك الحقيقة مبكراً ومنذ بداية الفرض البريطاني وأن يعملوا على إصلاح بلادهم وأن يعرفوا من خلال التاريخ والواقع والحاضر فيها أن خدمة بلادهم لا تتم عبر بريطانيا وخزعبلاتها ولا من خلال اليونان أو تركيا، ذلك أن الواقع يقول إنه لا يمكن تجزئة الجزيرة والتاريخ يؤكد أن الطائفتين قبرصيتان، كلتاهما تعيش في نفس البلاد والجغرافيا توضح أن قبرص جزيرة واحدة ليست جزءاً من اليونان ولا من تركيا، هذه هي الحقيقة التي لا يجب أن يتجاهلها القبارصة اليونانيون وقد تجاهلوها مع الأسف خلال فترة الاستقلال وما قبله وإلى أن حدث الانقلاب العسكري اليوناني على الرئيس الشرعي وهي الحقيقة التي استحقها الآن القبارصة الأتراك مع الأسف بعد الانقلاب والتدخل العسكري التركي الذي جعل موقفهم قوياً. ولكن السؤال إنه بعد تكون

لظروف مستحدثة وبطور لأحدث وسائل المؤامرة العسكرية المتمثلة في الانقلاب العسكري القبرصي اليوناني والغزو العسكري التركي ستجعلهم يدركون ويلمسون بالواقع والحقيقة. إنني أقول هذا إدراكاً مني لما يعتلج في صدر الرئيس الحالي (قلافكوس كليريدس) وهو السياسي الشهير والمحامي البارع والذي عاش وعايش أحداث بلاده في أغلب مراحلها ولقد جاءته الفرصة ليدخل تاريخ قبرص وقد حقق الوئام بين طائفتيها وقضى على كل الدسائس والأحقاد داخلية وخارجية، ربما هي أمنية وهي الأماني بعض الأمل. ولو قرأنا رسائل القنصلية البريطانية آنذاك والتي أوردها السيد (هاري لوك) في كتابه (قبرص تحت الحكم التركي من سنة ١٥٧١ - ١٨٧٨) لأدركنا بما لا يقبل الشك أن الإدارة البريطانية هي التي غرست وعمقت العداء والتناقض بين الطائفتين القبرصيتين (التركية واليونانية) رغم أن القبارصة الأتراك كما يذكر نفس المؤلف كانوا دائماً مخلصين للحكم البريطاني ورغم أن القبارصة اليونانيين قد رحبوا بهذا الحكم عندما استلمت بريطانيا الجزيرة سنة ١٨٧٨م لتديرها نيابة عن السلطان العثماني (هكذا ذكر في الاتفاق بين السلطان العثماني عبد الحميد وجلالة الملكة فيكتوريا في أول يوليو سنة ١٨٧٨م) على أن الحقيقة غير ذلك وإن كانت التفاصيل ليست محل اهتمامنا الآن، تبدأ وثائق الأرشيف من سنة ١٧١٠ إلى ١٨٧٨م أي إلى آخر فترة الحكم العثماني والواقع أن بريطانيا مقابل قبضت ثمن مساعدتها للسلطان في حربه مع روسيا وكان ذلك الثمن هو استلام جزيرة قبرص، ويذكر مؤلف كتاب (تاريخ قبرص) السيد (كوستاس كيريس) مما أحدثته بريطانيا في الجزيرة بين الطائفتين فيقول

(إن النظام الإداري الذي حثير لقبرص في سبتمبر سنة ١٨٧٨ م بواسطة الإنجليز كان من النوع مركزي جداً و لذي كان استبدل بإصلاح سنة ١٨٨٢م بحيث يتكون المجلس التشريعي من ثمانية عشر عضواً يعين منهم ستة بقرار من المندوب السامي، والاثنا عشر الآخرون ينتخبون لمدة خمس سنوات بواسطة المبارزة، تسعة منهم ينتخبهم القبارصة اليونانيون وثلاثة منهم ينتخبهم القبارصة الأتراك (أورد العدد خطأ إذ أن (٩ + ٦ = ١٥) بينما العدد المقرر هو (١٢ عضواً) وتقرر أن

يصوت كل طائفة على انفراد في الانتخابات وكانت هذه أول بذرة في انقسام البناء السياسي في الجزيرة. انتهى).

وتلك كانت بداية السياسة البريطانية في جزيرة قبرص وعلينا على أي حال أن نتذكر أن الإنجليز هم أصحاب مبدأ (فرق تسد) على أنه أيضاً ومن الإنصاف أن نعترف لهؤلاء الإنجليز بديمقراطيتهم الراسخة واشتراكيتهم الأوروبية الرائعة التي طبقتها في بلادهم ضمن فسيادة القانون في بريطانيا تصل إلى مستوى التقديس والاشتراكية الإنجليزية تكاد تكون مثالية ولكنهم مع الأسف لم يعملوا إلا عكس ذلك تماماً في البلاد التي سيطروا عليها وحتى بعد أن خرجوا أو أخرجوا منها تركوا فيها قنابل موقوتة تتفجر الواحدة بعد الأخرى دون أن يكون لها زمن محدود وإذا كنا نبدي إعجابنا بتلك الديمقراطية والنظام الاجتماعي البديع في بريطانيا فإننا نأسف لما غرسوه في بلدان أخرى من مشاكل وعقد وأزمات عانت ولاتزال تعاني منها شعوب تلك البلدان حتى الآن، وربما إلى أمد طويل وبعيد..... !!

الفصل العاشر

الخاتمة : معاوية في الميزان

قال الإمام الشافعي :

أمطري لؤلؤاً جبال سرنديب	وفيضي آبار تكرور تبرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتاً	وإذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة ملوك ونفسي نفس	حر ترى المذلة كفرا

لا شك على الإطلاق أن معاوية بن أبي سفيان كان نوعاً فريداً نادراً عبقرياً بين أعظم قادة الإسلام في ذلك الوقت وربما في كل التاريخ العربي، ولابد أنه يقف في صف مقارب لعمر بن الخطاب من حيث الحكمة ووزن الأمور على حقيقتها ومن حيث الإقدام والشجاعة بعد الدراسة والتفكير في العواقب والنتائج، وما أكثر المناورة والتنويع في تلك المرحلة من تاريخ العرب، ولقد أجمع على مكانة معاوية تلك سابقوه ومعاصروه ولاحقوه من القادة والمفكرين وأهل القلم والسياسة وهو رجل حرب وسياسة ودولة فقد أسس دولة العرب عزيزة الجانب قوية الأركان وقال عن نفسه ذات مرة (إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكثر من حلمي، أو عورة لا أواريها بستري، أو إساءة أكثر من إحساني) ولعمري إنه منتهى البلاغة ودقّة التعبير..

هذا الرجل الذي عدّ من دهاة العرب الخمسة [1] وجميعهم كانوا تحت قيادته وإمرته، ولد معاوية سنة ٦٠٨م وتولى قيادة جيش الشام سنة ٦٣٣م وفتح قبرص في المرة الأولى والتي كانت أول مرة يركب فيها جنود العرب والمسلمين البحر سنة ٦٤٠م ومن حكمته أنه صالح أهلها على الجزية وحياد جزيرتهم، ثم عاد فغزاها مرة ثانية ليبقي فيها حامية عربية استقرت في مدينة (بافوس) سنة ٦٥٣م وتلك كانت بداية وجود العرب في هذه البلاد (ولقد ذكرنا السبب في الغزوة الثانية فيما سبق) ووافاه الأجل المحتوم بعد أن طعن في سنه وهو في الحكم (عشرون سنة في إمارة الشام وعشرون سنة في إمارة المسلمين) وكانت وفاته سنة ٦٧٩م في حين كانت سنوات

(١) دهاة العرب كانوا خمسة حسب الروايات التاريخية وهم: (عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل الخزاعي ومعاوية بن أبي سفيان)

حكمة مليئة بالأحداث والحروب والغزوات، ولا يذكر التاريخ أنه فشل في عمل أقدم عليه. أسلم سنة ٦٢٩ ميلادية أي عندما بلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة وكان بعد إسلامه واحداً من كتّاب الوحي(١) وقد كتب مائة وثلاثة وستين حديثاً وكان قريباً من النبي محمد ﷺ وقال عنه النبي (اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب). والد معاوية هو أبو سفيان صخر بن حرب ووالدته هند بنت عتبة، ويذكر أن والده خلال لحظة تفكير وتأمل قال (إن هذا الغلام الكبير الرأس حقيق به أن يسود قومه) وكانت والدته تستمع فقالت (ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة) وكانا كأنهما يتنبآن بمستقبل طفلهما. ومن المعروف عن والدة معاوية أنها كانت ذات شخصية قوية ورأي ثاقب وبديهة سريعة وقد تحدث عنها المؤرخون بكثير من صفاتها ومواقفها. وكان والده كبير قومه ومن أشد أعداء النبي والدعوة المحمدية وهو من كبار تجار قريش وقد حرّض القرشيين على الرسول ﷺ إلا أنه فشل في محاولاته الكثيرة مع أنصاره من قريش لقتل النبي محمد أو الإضرار به وكسر شوكة المسلمين في مواقع مثل (بدر وأحد والخندق وغيرها) ثم أسلم واعتذر للرسول وشارك في غزوة حنين وغيرها تحت راية الإسلام. وعندما توفي كان عمره ثمانية وثمانين عاماً. تولى ابنه معاوية إمرة الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب واستمر في ولايته تلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان. اشترك في معركة اليرموك وفي معركة فتح دمشق التي كان يقودها أخوه (يزيد) وفي أول أمر تسلمه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بشأن توليته (قيسارية) وكان نص الأمر كما يلي:

(أما بعد، فإني قد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر بالله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير) ويذكر (الطبري) أن بلاد الشام كلها قد توحدت تحت قيادة معاوية (فلسطين وسوريا والأردن) أوردها الطبري هكذا (فلسطين ودمشق والأردن) وأصبح على معاوية مجابهة التحديات المستمرة على حدوده الشمالية فقد بقيت

(١) كتاب الوحي كانوا (علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وخالد بن سعيد والعلاء الحضرمي ومعاوية ابن أبي سفيان).

الامبراطورية البيزنطية (الروم) مصدر تهديد لدولة المسلمين فقام معاوية بقيادة (الصائفة)(١) ودخل بلاد الروم بعشرة آلاف من جند المسلمين الذين كان قد جهزهم لتلك الحملة على الدولة القوية التي كان يخشى تهديدها أي (بيزنطة) التي تجاور إمارته من جانب حدودها الشمالية والتي يتوقع منها مناوشة أو الهجوم وكان معاوية أول من أدرك أهمية الأساطيل البحرية في حروب بيزنطة التي تهدد شواطئ الشام، ويذكر (البلاذري) أن معاوية قد أسرع لاستنفار العمال ممن لهم خبرات في صناعة السفن وحشدهم في (عكا) ورمم الحصون والمرفأ وجعله داراً لصناعة السفن وتجهيز الأسطول العربي الإسلامي وعتاده كما رمم مدينة صور وشحنها بالمقاتلة، وقد كانت الصناعة بساحل الأردن على عهد معاوية في مدينة عكا كما كانت السفن تبنى في أيام معاوية في سواحل الشام (صور وعكا وطرابلس)(٢).

ولقد كان معاوية دقيقاً في اختيار الناس الذين يصحبهم أو يكلفهم بأعمال ما وفي ذلك يقول (عبد الرحمن بن خلدون) لما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم تقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمماً، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته واستحدثوا بصراء بها فتاقت نفوسهم إلى الجهاد فيه وأنشأوا السفن والشواني(٣) وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطروها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر. انتهى(٤)

وعندما قرر معاوية غزو قبرص (بموافقة الخليفة عثمان كما ذكرنا سابقاً) صحب معه أبا ذر الغفاري والمقداد وشداد بن أوس وأبا الدرداء وعبادة بن الصامت، وهؤلاء من كبار الصحابة وأهل الرأي، وكان ذلك في سنة ٢٨ هجرية. ويعرف معاوية إضافة إلى كل صفاته الأخرى (بأبي البحرية العربية) وكان قائد تلك الحملة البحرية هو (عبد الله بن قيس الجاسي) وهو من أبرز الرجال الذين خبروا البحر جيداً وقد اشتهر في هذا الميدان وقاد العشرات من الحملات البحرية بعد تلك الغزوة

(١) الصائفة تعبير يقصد به العمليات العسكرية التي كان يقوم بها العرب المسلمون
(٢) فتوح البلدان للبلاذري
(٣) الشواني هي حاملات الجند إلى البر.
(٤) المقدمة في تاريخ عبد الرحمن بن خلدون.

ومعاوية له مقولة تؤكد فهمه لاستراتيجية دولته في ذلك الوقت وعدوها الأساسي (بيزنطة) فقد قال (شدوا خناق الروم فيها تضبطوا بقية الأمم) وكان الصراع المرير بين العرب المسلمين من جانب والروم والفرس من جانب آخر سنة ٦٣٨م قد انتهى بانتصارات عربية كبيرة وقد سيطر العرب على الشام والعراق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ولكن مع ذلك فإن هجمات الروم على تلك الأراضي التي سيطر عليها العرب لم تتوقف، وهو الشيء الذي جعل معاوية يفكر في الإعداد للغزو عبر البحر بحيث يهدد قواعد وتجهيزات وتجمعات العدو، وكانت الغزوات البحرية في عهده عديدة وأهمها الغزوات التالية :

- غزوة قبرص سنة ٦٤٨م وتمت بنجاح وعلى إثرها وقعت معاهدة حياد قبرص

٢ - غزوة صقلية سنة ٦٥٢م ولم يتم احتلال الجزيرة وقد اعتبرت العملية استطلاعية أو تجريبية.

٣ - حملة ذات الصواري سنة ٦٥٤م وحدثت فيها الهزيمة الكاملة للروم وجرح فيها امبراطورهم (قسطنطين) وقد هرب في قارب صغير من ميدان المعركة، وتحول بحر الروم من بحر للروم إلى بحر للعرب وكانت قيادة معركة بحرية العرب تحت إمرة (بسر بن أبي أرطاة) ولقد أمر هذا القائد بربط السفن إلى بعضها والالتحام في القتال المباشر يدا بيد وكتفا بكتف وبذلك أبيدت قوات الروم

٤ - غزوة رودس سنة ٦٥٤م وهي عملية شبه استطلاعية

٥ - حملة صقلية مرة ثانية سنة ٦٧٣م وبسبب الدروس المستفادة من الغزوة الأولى لهذه الجزيرة تم هذه المرة احتلالها

٦ - غزوة كريت سنة ٦٧٤م وتمت بنجاح واحتلت الجزيرة

٧ - حملة جزر بحر (إيجه) وهي الموقعة عند الدردنيل والتحكم في مدخل القسطنطينية سنة ٦٧٦م وقد تم احتلال الجزر الحصينة في تلك المنطقة وبذلك حدث حصار القسطنطينية

ولئن سمي معاوية بملك العرب أو كسرى العرب فإنه كان بالإضافة إلى حنكته ومرونته ديمقراطيا يعمل بمبدأ الشورى، وكان كثير الصبر والتأني شديد الحذر في اتخاذ القرار أو الإجراء مهما كان صغيرا أو كبيرا صعبا أو سهلا وتدليلا على ذلك نورد أحداث (فتنة الكوفة) وكيف استطاع معاوية أن يعالجها كما ذكرها (الطبري) في كتاب (تاريخ الأمم والملوك الجزء الخامس..) قال

(كتب الخليفة عثمان بن عفان بعد أن ضج أهل الكوفة من الذين يطعنون بأمير المؤمنين، كتب إلى معاوية يقول إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة فراعهم وقم عليهم، فإن آنست منهم رشدا فاقبل منهم وإن أعيوك فارددهم عليهم)

وتقدم هؤلاء إلى معاوية فرحب بهم وأنزلهم كنيسة تسمى (كنيسة مريم) وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق وجعل لا يزال يتغدى ويتعشى معهم فقال لهم يوما إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة وقد أدركتم بالإسلام شرفا وغلبتم الأمم وحويتم مراتبهم ومواريثهم وقد بلغني أنكم نقمتم قريشا وإن قريشا لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم. إن أئمتكم لكم إلى اليوم جنة فلا تشذوا عن جنتكم، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المئونة، والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاء لهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم.

فقال رجل من القوم أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجنة فإن الجنة إذا اخترقت خلصت إلينا

فقال معاوية عرفتكم الآن، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلا أعظم عليك الإسلام وأذكرك به وتذكرني بالجاهلية، وقد وعظتك وتزعم لما يجنك أنه يخترق ولا ينسب ما يخترق إلى الجنة، أخزى الله أقواما أعظموا أمركم ورفعوا أمركم إلى خليفتكم. افقهوا ولا أظنكم تفقهون أن قريشا لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز وجل لم تكن بأكثر

العرب ولا أشدهم ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا، وأمحضهم أنسابا، وأعظمهم أخطارا، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا إلا بالله الذي لا يستذلّ من أعزّ ولا يوضع من رفع، فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم. هل تعرفون عربا أو عجما أو سودا أو حمرا، إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة إلا ما كان من قريش فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل حتى أراد الله أن يتنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة. فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا، ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم ولا يصلح ذلك إلا عليهم فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم بالله، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه ؟ وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم. أفٍّ لك ولأصحابك ولو أن متكلما غيرك تكلم ولكنك ابتدأت فأما أنت يا صعصعة فإن قريتك شرّ قرى عربية، أنتنها نبتا وأعمقها واديا وأعرفها بالشر وألأمها جيرانا، لم يسكنها شريف قط ولا وضيع إلا سب بها وكانت عليه هجنة. ثم كانوا أقبح العرب ألقابا وألأمه أصهارا، نزاع الأمم، وأنتم جيران الخط وفعلة فارس، حتى أصابتكم دعوة النبي ﷺ ونكبتك دعوته وأنت نزيع غريب في عمان، لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي ﷺ فأنت شرّ قومك حتى إذا أبرزك الإسلام وخلطك بالناس وحملك على الأمم التي كانت عليك أقبلت تبغي دين الله عوجا، وتنزع إلى اللآمة والذلّة ولا يضيع ذلك قريشا ولن يضرهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم. إن الشيطان عنكم غير غافل قد عرفكم بالشر من بين أمتكم فأغرى بكم الناس وهو صارعكم، لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاه الله، ولا أمرا أراده الله، ولا تدركون بالشر أمرا أبدا إلا فتح الله عليكم شرا منه وأخزى. ثم عاد معاوية لمناظرة هؤلاء وقال لهم: إني معيد عليكم، أن رسول الله ﷺ كان معصوما فولاني وأدخلني في أمره. ثم استخلف أبو بكر رضي الله عنه فولاني ثم استخلف عمر فولاني ثم استخلف عثمان فولاني فلم أل لأحد منهم ولم يولني إلا وهو راض عني. وإنما طلب رسول الله ﷺ للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغناء ولم يطلب أهل الاجتهاد

والجهل بها والضعف عنها، وإن الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فإن الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدي للناس سرائركم وقد قال عزّ وجل: ﴿ الم * أحسب النَّاس أن يُتركوا أن يَقُولوا آمَنَّا وهُم لا يُفتَنُون ﴾ (العنكبوت ١-٢).

ورجع معاوية في ليلة ثالثة ليحاورهم ويقول لهم: أيها القوم ردوا عليّ خيرا أو اسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم وينفع عشائركم وينفع جماعة المسلمين، فاطلبوه وتعيشوا ونعيش بكم.

فقال صعصعة: لست بأهل ذلك، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله.

فقال معاوية: أو ليس ما ابتدأتكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة نبيه ﷺ وأن تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا ؟

قالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي

قال: فإني آمركم الآن إن كنت فعلت فأتوب إلى الله وآمركم بتقواه وطاعة نبيه ﷺ ولزوم الجماعة وكراهة الفرقة وأن توقّروا أئمتكم وتدلوهم على حسن ما قدرتم، وتعظوهم في لين ولطف في أي شيء إن كان منهم.

فقال صعصعة: فإنا نأمرك أن تعتزل عملك فإن في المسلمين من هو أحق به منك

قال معاوية: من هو ؟ قال: من كان أبوه أحسن قدما من أبيك وهو بنفسه أحسن قدما منك في الإسلام

فقال معاوية: والله إن لي في الإسلام قدما ولغيري كان أحسن قدما مني ولكنه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه مني ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هوادة ولا لغيري، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب إليّ بخط يده فاعتزلت عمله ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت ألا يعزم له على ذلك إلا وهو خير فمهلا فإن في ذلك وأشباهه ما يتمنى الشيطان ويأمر، ولعمري لو كانت الأمور تقضى على رأيكم

وأمثالكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوما ولا ليلة، ولكن الله يقضيها ويديرها وهو بالغ أمره فعاودوا الخير وقولوه

فقالوا: لست لذلك أهلا

فقال: أما والله إن لله سطوات ونقمات وإني لخائف عليكم أن تتابعوا في مطاوعة الشيطان حتى تحكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن دار الهوان من نقم الله في عاجل الأمور والخزي الدائم في الآجل. فوثبوا عليه وأخذوا برأسه ولحيته. فقال: مه إن هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمري إن صنيعكم ليشبه بعضه بعضا ثم قام من عندهم وقال: والله لا أدخل عليكم مدخلا ما بقيت. ثم كتب إلى عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان. أما بعد،

يا أمير المؤمنين فإنك بعثت إليّ أقواما يتكلمون بألسنة الشياطين وما يملون عليهم، ويأتون الناس زعموا من قبل القرآن فيشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقة ويقربون فتنة قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم فقد أفسدوا كثيرا من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم والسلام.. انتهى.

هكذا كان معاويه في حوار له ولعمري إنها ديمقراطية الإسلام الحقة، أناس يمسكون بخناق الأمير وهو يرجوهم ألا يفعلوا لأنه يخاف عليهم من القتل. وكان يحاورهم لعدة أيام وفي حوارات طويلة ولما لم يقتنعوا لم يفعل شيئا غير أن طلب بإعادتهم إلى أرضهم !

وكان أمير المؤمنين عثمان قد فعل ذلك إذ رد على معاوية بأمره بردهم إلى والي الكوفة (سعيد بن العاص) وتنفيذا لأمر أمير المؤمنين قال لهم معاوية -

(إني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم، لا والله لا ينفع الله بكم أحدا ولا يضره، ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة ولكنكم رجال نكير، ثم يصحبهم فيقول: فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم وليسعكم ما وسع الدهماء، ولا يبطرنكم الإنعام، فإن البطر لا يعتري الخيار.. انتهى).

ولقد حدثت الكثير من الخلافات والثورات التي عالجها معاوية بحكمة ودراية، وكانت جميعها قد جاءت بعد الحملات البحرية والفتوح التي قام بها معاوية بمعنى أنه كان قويا وقادرا ويمكنه أن يبطش لو لم يكن عادلا وحكيما، ولقد كان معاوية بن أبي سفيان حريصا ودقيقا في اختيار رجاله الذين يعاونونه في إدارة الحكم كالولاة وقادة الجيوش والشرطة ولذلك فقد كان قادرا على إحكام سيطرة الدولة وفرض النظام والقانون حتى أنه يذكر أن الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها) ومن خصص وصاياه إلى من يكل إليهم أمور الحكم أنه في وصيته لعمرو بن العاص عندما سير جيشه لفتح مصر بقيادته قال له (أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق فإنه يمن والمهل والتؤدة فإن العجلة من الشيطان وبأن تقبل ممن أقبل وأن تعفو عمن أدبر، فإن قبل فبها ونعمت وإن أبى فإن السطوة بعد المعذرة أبلغ في الحجة، وأحسن في العاقبة، وادع الناس إلى الصلح فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك).

ولقد كان معاوية (رض) أول من عرف وأدرك طباع أهل الشام فساسهم بحكمة وقادهم في كل حروبه ومعاركه كما شاء ولذلك فإنه في توصية ابنه زياد أوصاه قائلا (انظر أهل الشام فليكونوا بطانتك فإن نابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم)

ذلك هو معاوية بن أبي سفيان أمير الشام وأمير المؤمنين مثير الجدل وشاغل الناس وباني الدولة، ولقد كان بارعا وحنونا وذكيا وعادلا وصبورا متأنيا وعظيما، رحمه الله رحمة واسعة

الملاحــق

معاهدة إقامة الجمهورية القبرصية :

نظرا الى أن الفرقاء (المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى ومملكة اليونان والجمهورية التركية كفريق أول و الجمهورية القبرصية كفريق ثان) يعربان في وضع نصوص لتنفيذ الإعلان الذي أصدرته حكومة المملكة المتحدة في ١٧ فبراير ١٩٥٩م في مؤتمر لندن وحسب الإعلانات المتعاقبة التي صدرت خلال المؤتمر من قبل وزراء خارجية اليونان وتركيا وممثلين عن الجاليتين القبرصية اليونانية و القبرصية التركية وبعد الاطلاع على شروط معاهدة الضمان الموقعة اليوم من قبل الفرقاء المعنيين قد تم الاتفاق على الآتي :

١ - أن أراضي الجمهورية القبرصية تشمل جزيرة قبرص و الجزر التي تقع على جوانب شاطئها ما عدا المناطق المنصوص عليها في الملحق ( ) في هذه المعاهدة و التي تبقى تحت سيادة المملكة المتحدة أن هذه المناطق يشار إليها في هذه المعاهدة وملحقاتها بقاعدة (أكروتيري) ذات السيادة وقاعدة (ديخيليا) ذات السيادة

٢ (أ) ستمنح الجمهورية القبرصية للمملكة المتحدة الحقوق المنصوص عليها في الملحق بهذه المعاهدة (ب) ستتعاون الجمهورية القبرصية بالكامل مع المملكة المتحدة لتأمين سلامة وعمل القواعد العسكرية في أكروتيري ذات السيادة وديخيليا ذات السيادة وممارسة المملكة المتحدة لحقوقها الممنوحة لها حسب هذه المعاهدة

٣ - تتعهد جمهورية قبرص واليونان وتركيا والمملكة المتحدة بالتشاور والتعاون في الدفاع المشترك عن قبرص.

٤ - أن الترتيبات الخاصة بوضع القواعد فى جزيرة قبرص ستكون حسب ما هو منصوص عليه فى ملحق (ب) لهذه المعاهدة.

٥ - على جمهورية قبرص أن تؤمن لكل فرد وضمن نطاق صلاحياتها أسوة بما جاء فى فرع (١) من الإعلان الأوروبى لحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية الموقع عليها فى روما يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٠م والبروتوكول التابع لذلك الإعلان الموقع فى باريس فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢م..

٦ - أن الترتيبات الخاصة بجنسية الأفراد التى تأثرت بعد تأسيس الجمهورية القبرصية ستكون بحسب ما جاء فى الملحق (د) لهذه المعاهدة..

٧ - أن جمهورية قبرص والمملكة المتحدة تقبلان وتتعهدان بعمل الترتيبات المالية والإدارية الضرورية لحل المشاكل الناجمة عن انتهاء الإدارة البريطانية على أرض جمهورية قبرص وهذه الترتيبات منصوص عليها فى الملحق (ج) لهذه المعاهدة

٨ - (أ) جميع التزامات ومسئوليات المملكة المتحدة الممكن تطبيقها على الجمهورية القبرصية ستتسلمها من الآن فصاعدا جمهورية قبرص.

(ب) جميع الحقوق والمنافع التى تتمتع بها المملكة المتحدة والتى يمكن تطبيقها على الجمهورية القبرصية ستتمتع بها من الآن فصاعدا الجمهورية القبرصية

٩ - تقبل الأطراف المعنية فى هذه المعاهدة أن تتعهد بالمهام والترتيبات الخاصة بالتجارة والأمور الأخرى الواردة فى الملحق (ف) لهذه المعاهدة..

١٠ - سيكون الجواب على أى سؤال حول هذه المعاهدة أو أية صعوبة فى تفسير نصوصها كما يلى :

(أ) أى سؤال أو صعوبة يمكن أن تنجم عن العمليات العسكرية اللازمة للمملكة المتحدة أو بشأن نصوص هذه المعاهدة المتعلقة بحقوق والتزامات

قوات المملكة المتحدة أو أى قوات أخرى ملحقة بها بحسب نصوص هذه المعاهدة أو بشأن القوات اليونانية والتركية والقبرصية ستسوى عن طريق المفاوضات بين أعضاء القيادة الثلاثية لجمهورية قبرص وتركيا واليونان وسلطات القوات المسلحة للمملكة المتحدة

(ب) أى سؤال أو صعوبة فى تفسير هذه المعاهدة لا يمكن الاتفاق عليها عن طريق المفاوضات مع السلطات العسكرية كما هو مبين أعلاه أو فى حالات أخرى عن طريق المفاوضات بين الأطراف المعنية بالطرق الدبلوماسية ستحال من أجل أخذ القرار النهائى عليها إلى محكمة تشكل لهذه الغاية وتتكون من أربعة ممثلين عن حكومات المملكة المتحدة واليونان وتركيا وقبرص ورئيس محكمة مستقل يعينه رئيس محكمة العدل الدولية فإذا كان رئيس المحكمة المعين هو من مواطنى المملكة المتحدة أو المستعمرات أو جمهورية قبرص أو تركيا أو اليونان فسيطلب من نائب الرئيس أن يحكم وإذا كان نائب الرئيس هو أيضا مثل الرئيس فسيطلب من القاضى الذى يليه درجة فى المحكمة أن يحكم

١١ - أن ملحقات هذه المعاهدة ستكون لها نفس القوة والتأثير وجزء لا يتجزأ من هذه المعاهدة

١٢ - ستكون هذه المعاهدة نافذة المفعول بعد توقيعها

ملاحق المعاهدة :

ملحق أ)

ملاحظة:

الخرائط الكبيرة والصور التى التقطت من الجو والوصف المذكور فى هذا الملحق لم تطبق بعد وستوضع نسخ منها فى مكاتب مجلسى البرلمان وستوضع أيضا مجموعة نسخ فى مكتب علاقات الكومنولث بعد موافقة البرلمان عليها ومع ذلك

فتوجد نسخ إيضاحية مصغرة لخارطة (ب) وخريطة (هـ) المشار إليهما في الفرع واحد من هذا الملحق وفي الملحق خمسة من هذه الورقة لخارطة رقم واحد وخارطة رقم اثنين

فرع واحد

١ - إن منطقتي قاعدة أكروتيري وقاعدة ديكيليا ستكونان كما هو مبين بالخرائط والصور الجوية والإيضاح المذكور في الفصل (هـ) من هذا الملحق.

٢ - (أ) حدود منطقة أكروتيري ذات السيادة ستكون كما هو مبين بالخرائط والصور الجوية والإيضاح المذكور في الفصل (هـ) من هذا الملحق

(ب) حدود منطقة ديكيليا ذات السيادة ستكون كما هو مبين بالخرائط والصور الجوية والإيضاح المذكور في الفصل (ب) من هذا الملحق

٣ - إيضاح الخرائط والصور الجوية والأوصاف المذكورة في الفصل (هـ) والفصل (ب) من هذا الملحق سيكون بحسب مقدمات أولئك الفصلين

فرع اثنين

١ - حدود منطقة أكروتيري ذات السيادة ومنطقة ديكيليا ذات السيادة المذكورتين في فرع (واحد) من هذا الملحق ستخطط بوضوح وبشكل فعال على الأرض من قبل لجنة حدود تتألف من ممثلين من المملكة المتحدة وجمهورية قبرص

٢ - ستعين اللجنة وستبدأ عملها في حال دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ وسينتهي عملها بأسرع ما يمكن وفي أي حال سيكون ذلك خلال تسعة أشهر

٣ - وبحسب الفقرة خمسة من هذا الفرع ستتقيد اللجنة تقيدا تاما بالحدود المنصوص عليها في فرع (واحد) من هذا الملحق

٤ - أي سؤال حول التفسير التكنيكي للخرائط والصور الجوية أو الشرح الذي لا توافق عليه اللجنة يمكن إحالته إما من قبل المملكة المتحدة أو جمهورية قبرص إلى اختصاصي محايد ينتخب بالموافقة من المملكة المتحدة وجمهورية قبرص لاتخاذ القرار بشأنه وسيكون قراره نهائيا وملزما

٥ - يمكن للجنة بعد موافقة أعضاء المملكة المتحدة والجمهورية القبرصية أن تجري بعض التغيير في الحدود المشار إليها في فرع واحد من هذا الملحق وذلك من أجل معالجة بعض الأوضاع المحلية ويمكنها تخطيط الحدود بحسب تلك الأوضاع وإذا لم يتمكن الأعضاء من الاتفاق فإن الحدود المنصوص عليها في فرع (واحد) من هذا الملحق ستخطط كحدود ثابتة وتستمر ملاحق المعاهدة وهي طويلة لتبين الحدود الجوية والأرضية وغير ذلك ونرى أن ذكرها قد لا يهم القارئ وليس لنا من تعليق غير أن نقول إنها كانت مجحفة جدا في حق قبرص لكن ذلك هو الواقع الدور الذي يقوم به المستعمر دائما بحيث يفرض شروطه ويحقق رغباته ومصالحه

ملحق رقم (٢)

مسودة معاهدة التحالف :

حيث إن جمهورية قبرص واليونان وتركيا يرغبون في السلام والأمن لكل منهم ويعتبرون جهودهم في حفظ السلام والأمن هي متفقة مع مبادئ وأغراض الأمم المتحدة، فقد اتفقوا على ما يلي

مادة (١) إن الأطراف المتعاقدة الكبار تتعهد بأن تتعاون من أجل دفاعهم المشترك وأن تتشاور في المشاكل التي تنشأ بخصوص هذا الدفاع

مادة (٢) إن الأطراف المتعاقدة الكبار تتعهد بمقاومة أي هجوم أو اعتداء مباشر أو غير مباشر على استقلال ووحدة أراضي الجمهورية القبرصية

مادة (٣) ومن أجل هذا التحالف والوصول إلى الأغراض المذكورة أعلاه ستتألف قيادة ثلاثية مشتركة على أراضي قبرص.

مادة (٤) أن اليونان وتركيا ستشتركان في القيادة الثلاثية التي تتألف من الفرقة العسكرية المنصوص عليها في البروتوكول الإضافي رقم ( ) الملحق لهذه المعاهدة وأن هذه الفرقة العسكرية ستتولى تدريب الجيش القبرصي

مادة (٥) مدة رئاسة القيادة الثلاثية المشتركة ستكون سنة بالتناوب من قبل

ضابط قبرصي يوناني وتركي يعينون من قبل حكومات اليونان وتركيا ورئيس ونائب رئيس الجمهورية القبرصية

مادة (٦) ستكون هذه المعاهدة نافذة المفعول من وقت توقيعها، وإن الأطراف المتعاقدة الكبار سيعقدون اتفاقيات إضافية إذا كان ذلك ضروريا لتطبيق هذه المعاهدة وإن الأطراف المتعاقدة الكبار سيسجلون هذه المعاهدة في الأمم المتحدة بأسرع ما يمكن بحسب نص المادة (١٠٢) من ميثاق الأمم المتحدة . انتهى.

ملحق رقم (٣)

قرار مجلس الأمن الدولي بشأن قوات حفظ السلام في قبرص :

كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة كما هي العادة ومنذ تأسيس هذه المنظمة الدولية ملجأ المظلومين والمعتدى عليهم والضعفاء وهي كذلك ميدان صراع السياسات والأفكار والقرارات، ويأتي بعدها وأحيانا قبلها مجلس الأمن الدولي الذي يتخذ القرارات فيما يعرض على الجمعية العامة، ونظريا فإن قرارات هذا المجلس (طبقا لميثاق الأمم المتحدة) ملزمة للدول الأعضاء في المنظمة الدولية. أما عمليا فإن الوضع مختلف تماما إذ أن الكثير من القرارات لا تعدو كونها حبرا على ورق لأن جميع الدول تفكر في مصالحها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية وهكذا الحال بالنسبة لقبرص، فقد اتخذ مجلس الأمن الكثير من القرارات في فترات مختلفة من تاريخ الصراع في هذه الجزيرة قبل الاستقلال وبعده ولم ينفذ منها إلا القليل، وربما يكون مفيدا، ونحن بصدد الحديث عن أوضاع قبرص أن نوضح فحوى بعض القرارات ومواقف بعض الدول

ويمكن القول إن أهم قرار من قرارات مجلس الأمن ذلك القرار الذي صدر بتاريخ (٤مارس ١٩٦٤م) وكانت بريطانيا بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية قد اقترحت إرسال قوة تابعة لحلف شمال الأطلسي ووسيط دولي يكون من دول شمال الأطلسي من غير الأعضاء في الحلف، ولكن الأسقف مكاريوس الذي كان يرغب في إقحام الأمم المتحدة تمشيا مع سياسة اليونان رفض ذلك الاقتراح وبعد أن تزايد

القتال في منطقة ليماسول وهددت تركيا مرة أخرى بالتدخل العسكري عادت بريطانيا فقدمت اقتراحا يقضي بإرسال قوة سلام دولي، وبناء على مشروع عدته الدول الأعضاء غير الدائمين في مجلس الأمن وافق المجلس بالإجماع على إرسال قوة دولية تسمى قوة حفظ السلام في قبرص، وقرر كذلك تعيين وسيط دولي يمثل الأمين العام في قبرص، وكان ذلك في ٤ مارس ١٩٦٤م وتقرر أن تكون قوة السلام لمدة ثلاثة أشهر لكن المجلس اضطر فيما بعد لأن يمدد لهذه القوة كلما انتهت المدة الأولى والوسيط الدولي كان من فنلندا وهو السيد (ساكاري توموينا) وكان القرار كما يلي

(مجلس الأمن، يرى أن الحالة الراهنة بالنسبة لقبرص تهدد السلام العالمي والأمن ويمكن أن تمتد وتزداد سوءا ما لم تتخذ إجراءات سريعة للحفاظ على السلام والبحث عن حل، ويأخذ في الاعتبار موقف الأطراف فيما يتعلق بالاتفاقية الموقعة في نيقوسيا بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٦٠م مع عهد الفقرات المتعلقة بذلك في الميثاق ومادتها الثانية في الفقرة الرابعة التي تقول (إن جميع الأعضاء سوف يمتنعون في علاقاتهم الدولية عن التهديد أو استعمال القوة ضد أراضي الدول واستقلالها السياسي أو الإتيان بأي تصرف لا يتفق مع أغراض الأمم المتحدة) فإنه يطلب

١ - من كل الدول الأعضاء التزاما بمسئولياتهم طبقا لميثاق الأمم المتحدة الامتناع عن أي عمل أو التهديد بعمل يسيء للوضع في الجمهورية القبرصية المستقلة أو يهدد السلام العالمي.

٢ - يطلب من الحكومة القبرصية التي تتحمل مسئولية الحفاظ على النظام والقانون أن تتخذ كل الإجراءات اللازمة لإيقاف الشغب وسفك الدماء في قبرص.

٣ - يطلب من الطوائف وزعمائها أن تتصرف بالانضباط اللازم

٤ - يأمر بتكوين قوة سلام للأمم المتحدة بموافقة الحكومة القبرصية يتم تحديد مسئولياتها وعددها من طرف الأمين العام للأمم المتحدة وسوف يقوم الأمين العام بإعلام الحكومات المشاركة في هذه القوة بكل المعلومات وأن يقدم إلى مجلس الأمن تقريرا دوريا عن عملياته

٥- يأمر بأن يكون عمل القوة من أجل المحافظة على السلام الدولي والأمن وعليها أن تقوم بكل ما يمكن أن يمنع تكرار القتال وأن تساهم حسب الإمكان في المحافظة على القانون لإعادة الوضع إلى حالته الطبيعية

٦- يأمر بأن تكون إقامة تلك القوة لمدة ثلاثة أشهر على أن كل التكاليف في الخصوص سوف يتفق عليها من طرف الدول المشاركة في القوة والحكومة القبرصية ويمكن للأمين العام أن يقبل المساهمات التطوعية لهذا الغرض

٧- يأمر بالإضافة إلى ذلك أن يعين الأمين العام للأمم المتحدة وسيطا دوليا يقوم بالتنسيق مع زعماء الطوائف و الحكومات الأربع المذكورة بالبحث عن حل مناسب للمشكلة التي تواجه الحكومة القبرصية طبقا لميثاق الأمم المتحدة آخذا في الاعتبار ما يخدم الشعب القبرصي ككل والمحافظة على السلام والأمن الدوليين ويقوم هذا الوسيط بتقديم تقرير دوري عن جهوده إلى الأمين العام للأمم المتحدة.

٨- يطلب من الأمين العام للأمم المتحدة أن يقدم من رصيد الأمم المتحدة ما يغطي مصروفات الوسيط وموظفيه.

انتهى القرار :

كان هذا القرار الأهم الذي صدر من مجلس الأمن وبعده ومازالت قوة حفظ السلام حتى الآن تقوم بمهمتها في قبرص بينما تبدل الوسطاء الدوليون عدة مرات دون أن يتمكن أي منهم من الوصول إلى أي حل لمشكلة قبرص أو حتى الأمل في حل قريب لهذه المشكلة رغم الجهود الكبيرة التي بذلت، وقبل هذا القرار الذي كان رقمه (٥٥٧١) كانت هناك قرارات وبعده أيضا جاءت قرارات أخرى عديدة.

كانت هناك قرارات قبل الاستقلال وأخرى بعده، وقرارات قبل المناوشات وأخريات بعد الحرب في سنة ١٩٦٢م ثم قرارات بعد الانقلاب العسكري اليوناني والتدخل العسكري التركي ولكن جميع القرارات كانت تصطدم بتدخلات ومصالح

الدول الكبيرة والصغيرة على حد سواء وربما كان التقرير الوحيد لأحد الوسطاء الدوليين الذي أشار إلى ذلك الوضع بشدة هو تقرير الوسيط الدولي الإكوادوري السيد (ساكاري توبيجا) الذي قال فيه إنه يرى أن الحل الوحيد لمشكلة قبرص يتمثل في إقناع كل الدول بعدم التدخل في شئون قبرص الداخلية وأن يبحث القبارصة أنفسهم عن حل لتلك المشكلة التي تخصهم (ولابد أنه يعني بكل الدول تلك التي لها مصالح في قبرص والتي دأبت على ممارسة الضغوط والقيام بالتدخل دون أن يمنعها) ولكن أحدا لم يأخذ بما جاء في ذلك التقرير المهم ولا امتنع عن التدخل سواء كان من الغرب أو من الشرق وهكذا مع الزمن زادت القضية تعقيدا خصوصا أن القبارصة الأتراك كانوا قد أقدموا على تأسيس جمهورية في شمال الجزيرة وأقاموا المؤسسات والصحف والأحزاب. وعلى الرغم من أن العالم لم يعترف بتلك الدولة إلا أنها قائمة ويفصل بينها وبين جمهورية القبارصة اليونانيين خط عرف باسم الخط الأخضر ونقاط حراسة وتفتيش ترعاها قوات الأمم المتحدة أو كما سميت قوات حفظ السلام الدولي.

وكانت هنالك معاهدة تأسيس دولة قبرص وكذا معاهدة أو اتفاق ضمان والذي بموجبه تدخلت تركيا عسكريا في قبرص مباشرة بعد حدوث الانقلاب العسكري اليوناني في سنة ١٩٧٤م والحال أن لا الأمم المتحدة أوجدت حلا ولا القبارصة اتفقوا على أي شيء وكان الخاسر الوحيد هو الشعب القبرصي بطائفتيه (القبرصية اليونانية والقبرصية التركية)

ملحق رقم (٤)

قرار مجلس الأمن رقم (٣٥٩) ١٩٧٤م :

اعتمد القرار بواسطة مجلس الأمن الدولي في ٥ أغسطس ١٩٧٤م ونصه كما يلي :

مجلس الأمن الدولي علم باهتمام من تقرير الأمين العام حول التطورات القبرصية وخصوصا الوثيقة س / ١١٣٥٢ يذكر أن الإصابات في تزايد بين أفراد قوات حفظ السلام الدولي في قبرص كنتيجة مباشرة للعمليات العسكرية التي

لا تزال مستمرة في قبرص ويذكر أن قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام قد استقرت في قبرص طبقاً للموافقة الكاملة من حكومات قبرص وتركيا واليونان.

أخذاً في الاعتبار أن الأمين العام قد كلف من قبل مجلس الأمن الدولي بموجب القرار ١٩٧٤/٣٥٥م في ١١ أغسطس ١٩٧٤م بتحديد الإجراء المناسب على ضوء بيانه في جلسة مجلس الأمن رقم ١٧٨٨ بشأن قوة حفظ السلام والتعامل مع التطورات السياسية في قبرص.

١ - بأسف عميق يبدي حزنه البالغ عن حقيقة أن أعضاء قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام في قبرص كانوا قد قتلوا وجرحوا.

٢ - ويطلب من جميع الأطراف المعنية أن تحترم بالكامل وضع قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام وأن تمتنع عن أي عمل قد يعرض حياة وسلامة أعضائها للخطر.

٣ - يحث الأطراف المعنية أن تظهر بثبات ووضوح وإخلاص رغبتها في إنجاز التزاماتها في هذا الخصوص.

٤ - ويطلب بشكل أكثر من كل الأطراف أن تتعاون مع قوات الأمم المتحدة لأداء واجباتها بما في ذلك الجوانب الإنسانية في كل المناطق القبرصية ولكل فئات الشعب القبرصي.

٥ - يؤكد على المبادئ الأساسية المتعلقة بوضع وسلامة أعضاء قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام ويجب أن تحترم بواسطة كل الأطراف في جميع الحالات.

اعتمد القرار في اجتماع ١٧٩٣ من طرف ١٤ مقابل لا شيء في حين لم تشارك الصين في التصويت.

ملحق رقم (٥) :

قرار مجلس الأمن رقم ١٩٧٤/٣٦٠ اعتمد مجلس الأمن القرار في ١٦ أغسطس ١٩٧٤

مجلس الأمن، يشير إلى قراره رقم ١٩٧٤/٣٥٣ في ٢٠ يوليو ١٩٧٤ ورقم

١٩٧٤/٣٥٤ و ١٩٧٤/٣٥٥ في ١ أغسطس وقراره ١٩٧٤/٣٥٦ و ١٩٧٤/٣٥٧ في ١٥ أغسطس ١٩٧٤، يلاحظ أن جميع الدول أعلنت احترامها لسيادة واستقلال ووحدة أراضي الجمهورية القبرصية ويهتم بشدة بشأن التدهور في وضع قبرص الناتج عن العمليات العسكرية والتي كونت تهديداً للسلام والأمن في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط.

١ - يسجل عدم موافقته على العمليات العسكرية من جانب واحد التي تحدث ضد جمهورية قبرص.

٢ - يدعو الأطراف إلى التجاوب مع نصوص القرارات الماضية الصادرة عن مجلس الأمن الدولي والتي تتعلق بالانسحاب دون تأخير من جمهورية قبرص لكل القوات العسكرية الأجنبية.

٣ - يدعو الأطراف أن تباشر دون تأخير في جو من التعاون لبناء المباحثات التي دعا إليها قرار مجلس الأمن ١٩٧٤/٣٥٣ والتي لا يجب أن تعرقل بنتائج بأي مزايا تحققت من خلال العمل العسكري.

٤ - يطلب من الأمين العام أن يتقدم إليه بالتقرير اللازم الذي يبين وجهة نظره لإصدار قرارات أخرى من أجل تحقيق استعادة الوضع إلى ما كان عليه، الوضع السلمي.

٥ - يقرر أن يبقى الطلب الدائم للاجتماع في أي وقت لدراسة الإجراءات التي يتطلبها الحال في ضوء تطور الوضع.

اعتمد في جلسة ١٧٩٤ من طرف ١١ صوتاً مقابل لا شيء وامتناع ٣ أصوات.

ملحق رقم (٦) :

قبل الانقلاب العسكري اليوناني في قبرص مباشرة وعندما توفرت المعلومات المخابراتية لدى الرئيس مكاريوس وجه رسالة مهمة جداً إلى رئيس الحكم العسكري في اليونان الجنرال (جيزيكس) نصها كما يلي

نيقوسيا في ٢ يوليو ١٩٧٤م.

سيد الرئيس، إنه من عميق الأسف أن أضطر لإبلاغكم عن أسباب وحقائق غير مقبولة و بتي أرى أن الحكومة اليونانية مسئولة عنها ذلك أنه منذ وصول الجنرال (قريفاس) سرًا إلى قبرص خلال شهر سبتمبر ١٩٧١م بواسطة شائعات وهناك عدة مؤشرات تؤكد أن مجيئه إلى قبرص بتشجيع من بعض الدوائر في أثينا ومع ذلك فإن قريفاس منذ الأيام الأولى لمجيئه إلى قبرص كان على اتصال مع ضباط يونانيين يعملون في الحرس الوطني القبرصي وهم الذين يقدمون له المساعدة والمساندة في محاولاته من أجل تكوين منظمة غير شرعية وليناضل (بالدعم) من أجل الوحدة. ولقد خلق مؤسسة إجرامية (أيوكا ب) وهي التي كانت سببا ومصدرا في العديد من الأمراض لقبرص وإن نشاطات هذه المنظمة التي جاءت تحت ادعاءات الوطنية وشعارات الوحدة قد ارتكبت اغتيالات سياسية والكثير من الجرائم الأخرى المعروفة جيدا. ولقد كان الحرس الوطني الذي يقوده ويشرف عليه ضباط يونانيون منذ البداية المورد الأساسي بالرجال والعتاد لمنظمة (أيوكا - ب) هذه المنظمة التي يستخدم أعضاؤها تعبيرًا سهلا هو شيء يعيبون ويسمون أنفسهم وحدويين وجنود للوحدة. وفي كثير من المناسبات كنت أفكر في سؤال يقول ما فائدة منظمة وطنية غير شرعية مجرية تحدث الانقسام والتوتر الداخلي وتجعل العيبة ... تختلف وتدفع بممارسة اليونانيين إلى الحروب الأهلية في قبرص وهذا مؤيد من طرف الضباط اليونانيين وتتدخل في كثير من الحالات كما فكرت فيما إذا كان هذا العمل موافقًا عليه من جانب الحكومة اليونانية ويجول في ذهني أفكار ووقائع ومؤشرات تدفعني إلى الاقتناع بوجود جواب منطقي لشكوكي وتساؤلاتي، ومن الطبيعي أنه لا يمكن أن يقوم أي جواب على أسس منطقية ولكن تأييد ومساندة الضباط اليونانيين منظمة أيوكا يكوّن في الواقع حقيقة لا يمكن إنكارها كذلك فإن معسكرات الحرس الوطني القبرصي والمناطق القريبة منها تزينها شعارات مؤيدة لغريفاس ومنظمة أيوكا وهي ضد الحكومة القبرصية وبشكل خاص ضد شخصي في حين أن الضباط اليونانيين يقومون بالدعاية داخل معسكرات الحرس الوطني وبشكل علني كذلك فإنه من المعروف والمعلن والذي لا

يمكن إنكاره أن الصحافة المعارضة التي تؤيد أيوكا ونشاطاتها تمول من طرف الثب وهي توجه وتحصل على معلوماتها من أشخاص مسئولين في مكتب هيئة الأركان ومكتب المعلومات اليوناني الرئيسي في قبرص.

ولقد كان خطاب الرئيس مكاريوس إلى الجنرال اليوناني طويلا ومدعوما بالوثائق وفي آخره طلب سحب الضباط اليونانيين العاملين في الحرس الوطني القبرصي لأنه كما قال يريد أن يجعل هذا الحرس في خدمة الدولة القبرصية لا أن يتآمر عليها. وكان ينتظر الرد (ربما) بالموافقة على سحب الضباط إلا أن الرد جاءه بعد عدة أيام وكان في شكل انقلاب عسكري مدمر أعطى الفرصة لتركيا كي تتدخل في قبرص عسكريا مدعومة باتفاقية ضمان استقلال قبرص باعتبارها أحد الثلاثة الذين ضمنوا استقلال قبرص، فقد حدث الانقلاب وخرج الرئيس مكاريوس منه بمعجزة (ربما) ثم خرج من القاعدة البريطانية في أكروتيري عبر لندن إلى نيويورك حيث تحدث إلى أعضاء مجلس الأمن حديثا يعبر عن الألم مما حدث والأمل في المنظمة الدولية أن تحقق العدل.

ملحق رقم (٧) :

عندما خرج الرئيس مكاريوس من قصر الرئاسة في نيقوسيا بعد نجاته المعجزة وصل مدينة بافوس موقع رأسه ومقر أنصاره إلا أن ضباط الانقلاب وجهوا إلى هناك بعض الجنود والعربات العسكرية لقتله أو القبض عليه وذلك عندما عرفوا بوجوده وقد أذاع بيانا إلى شعبه عبر محطة إذاعة محلية وأذكر أن أحد كبار أعوانه قد اتصل به من نيقوسيا من خلال جهاز السفارة الليبية في نيقوسيا والتي كانت ملاذًا لحماية العديد من رجالات مكاريوس الذين لجأوا إليها عند حدوث الانقلاب، وذلك المسئول مازال على قيد الحياة حتى الآن. ولما عرف مكاريوس أن الانقلابيين وجهوا قوات إلى بافوس للقبض عليه طلب من السلطات البريطانية اللجوء إليها فاستجابت السلطات البريطانية في قاعدة أكروتيري العسكرية وبعثت طائرة مروحية لنقله إلى القاعدة ومنها إلى لندن ثم إلى نيويورك من أجل أن

يخاطب العالم موضحا مأساة شعبه في ظل انقلاب عسكري قاده ضباط كان يعتقد أنهم يمثلون بلدا صديقا وتوقع منهم العون لكنهم انقلبوا عليه وأرادوا قتله بإيعاز من نظام بلادهم العسكري الدكتاتوري.

وتحدث الرئيس مكاريوس أمام أعضاء مجلس الأمن وروى قصة خروجه المثيرة و ظني لا أذيع سرا إذا ما قلت إنه كان لبلادي شرف إنجاح تلك المهمة من بافوس وبتقويمها إلى لندن ونيويورك وحتى العودة إلى الحكم وعودة الشرعية لقبرص متمثلة في حكم الرئيس مكاريوس، ولقد كنت شاهد عيان على تلك الأحداث وتطوراتها قبل الانقلاب وأثناءه وبعده حيث كنت سفيرا لبلادي آنذاك واحتراما لذكرى هذا الرجل العظيم الذي تشرفت بأن أكون قريبا منه لعدة سنوات أريد أن أسجل في كتاب قبرص هذا ترجمة لجزء من خطابه أمام مجلس الأمن الدولي لأنني أعتبره (ربما) أهم وثيقة في تاريخ قبرص الحديث.

خطاب الرئيس مكاريوس :

أود في البداية أن أعرب عن عميق وأحر شكري لأعضاء مجلس الأمن الدولي لما أبدوه من اهتمام بالغ وأظهروه حول الحالة المزعجة التي حدثت في قبرص نتيجة للانقلاب الذي كان قد خطط له النظام العسكري الحاكم في أثينا ونفذ بواسطة ضباطه اليونانيين الذين يعملون ويقودون الحرس الوطني القبرصي. وأنا ممنون بشكل خاص حيث إن مجلس الأمن وافق على تأجيل اجتماعه ريثما أصل إلى هنا وذلك من أجل أن يتيح لي فرصة التحدث إليه حول الأحداث المأساوية في قبرص.

إن ما يحدث في قبرص منذ صبيحة يوم الإثنين الماضي يمثل تراجيديا حقيقية فقد انتهك النظام العسكري اليوناني بشكل فاضح استقلال قبرص دون أثر من الاحترام للحقوق الشعب القبرصي الديمقراطية ودون أقل أثر من الاحترام لاستقلال وسيادة جمهورية قبرص، دون احترام لكل ذلك سعى الحكم العسكري اليوناني إلى مد دكتاتوريته إلى قبرص، وفي الواقع أن نواياهم قد ظهرت بوضوح وكان الشعب القبرصي منذ زمن طويل يحس بأن انقلابا بواسطة عصابة أثينا كان

يختمر وصار ذلك الشعور يزداد خلال الأسابيع القليلة عندما جددت منظمة الإرهاب (يوكا) المسيّرة من جانب أثينا موجات شغبها، وعلمت أن هذه المنظمة غير الشرعية لها جذورها ومصادرها في أثينا وكنت قلقا بسبب أن الضباط اليونانيين الذين كانوا يدربون ويقودون أفراد الحرس الوطني القبرصي كانوا يجندون أعضاء جدد لهذه المنظمة وكانوا يساعدونها بمختلف الطرق بما في ذلك إتاحة الفرص لها في الحصول على الذخائر من مخازن الحرس الوطني الخاصة وفي معسكرات الحرس الوطني كان هؤلاء الضباط يقومون بالدعاية العميقة لهذه المنظمة غير الشرعية وقد حولوا الحرس الوطني من أداة للدولة إلى عنصر للتمرد وكنت بين وقت وآخر كلما اشتكيت لأثينا حول أعمال وتصرفات الضباط اليونانيين في الحرس الوطني يكون الرد أنه إذا كان لديّ قرائن مؤكدة وبراهين فإن أولئك الذين يثبت عليهم الذنب سوف يستدعون ومن خلال الفترة تلك أدركت بما لا يقبل الشك أن ردهم الدائم هو ادعاء البراءة وخلال الأيام القلائل الماضية وقعت وثائق في أيدي رجال البوليس القبرصي تؤكد بجلاء أن ايوكا هي ذيل لنظام أثينا وهكذا فإن أموالا كانت تحول لأعمال هذه المنظمة من أثينا مع تعليمات تتعلق بأنشطتها، ومن هنا وجدت أنه من الضروري لي أن أوجه رسالة إلى رئيس النظام اليوناني الجنرال (جيزيكس) طالبا منه أن يعطي تعليماته لإيقاف نشاط وعنف الإرهاب الذي تقوم به منظمة أيوك وضرورة تفكيكها، كذلك طلبت منه أن يستدعي الضباط اليونانيين العاملين مع الحرس الوطني القبرصي مضيفا أني أنوي تخفيض عدد وتجهيزات هذه القوة لأجعلها إحدى أدوات دولة قبرص

وكنت أنتظر منه الرد، وكان تصوري أن نظام أثينا لا يمانع للتخفيض في هذه القوة وكذا سحب الضباط اليونانيين، ولقد طلب السفير اليوناني في قبرص مقابلتي بناء على توجيهات من حكومته ومن أجل أن يشرح لي أن تخفيض عدد أفراد الحرس الوطني وسحب الضباط اليونانيين يضعف دفاعات قبرص في حالة حدوث عدوان تركي وهذا الجدل على الرغم من أنه يظهر كما لو أنه منطقي لم يكن مقنعا لأنني كنت أعرف أن وراء هذا الجدل مصالح خفية ورددت عليه قائلا إنه

من خلال التطورات التجارية فإننا نرى أن الخطر من تركيا أقل درجة من الخطر الآتي منهم، وقد ثبت أن مخاوفي كانت حقيقية. وفي يوم ٢ يوليو عقد اجتماع برئاسة الجنرال جيزيكس في أثينا استمر لمدة ساعات وقد حضره رئيس هيئة الأركان اليونانية وسفير اليونان في قبرص وقائد الحرس الوطني القبرصي ومسئولون آخرون وهذا الاجتماع كان الغرض منه مناقشة فحوى رسالتي وأعلن أن هناك اجتماعًا آخر يوم ١٥ يوليو للرد على رسالتي ولقد جاء الرد لكنه كان انقلابًا !

هذا جزء من حديث مكاريوس أمام أعضاء مجلس الأمن، وكان حديثًا مؤثرًا في ظروف غاية في الصعوبة، ونكتفي بهذا الجزء منه

الفهرس

المراجـع

المراجع العربية :

١ - تاريخ العرب تأليف ، فيليب حتى.

٢ - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد .

٣ - تاريخ الحروب الصليبية، أربعة أجزاء ، تأليف ستيفن رنسيمان .

٤ - الفتوحات العربية الكبرى، تأليف جون باقوت جلوب.

٥ - تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط، تأليف محمد رفعت .

٦ - تاريخ الشعوب الإسلامية، تأليف كارل بروكلمان .

المراجع الإنجليزية :

١ - قبرص تحت حكم الأتراك، تأليف السير هارى لوك .

٢ - قبرص تحت الحكم البريطاني، تأليف الكابتن س. و. ج. أور .

٣ - تاريخ قبرص ، تأليف السير جورج هيل الأجزاء الأول والثاني والثالث .

٤ - المختصر في تاريخ قبرص، تأليف فيليب نيومان .

٥ - الصراعات الدولية، قضايا تاريخية . (١٩٤٥ - ١٩٧٠ م) م.د هوميابن.

٦ - ثورة قبرص ، تأليف نانسي كراوشر .

٧ - ركوب العاصفة ، تأليف هارولد ماكميلان.

٨ - وجهة نظر تركية عن قبرص، مكتب المعلومات القبرصي .

كتب صدرت للمؤلف

١- المسطرة الحاسبة سنة ١٩٦٦ م

٢- هندسة الراديو والتليفزيون سنة ١٩٦٧ م

٣- مستقبل التليفزيون الملون سنة ١٩٦٨ م

٤- مذكرات جندي في سيناء، ترجمة ، سنة ١٩٦٨ م

٥- ثورة الأدغال في أفريقيا، ترجمة، سنة ١٩٧٨ م

٦- نفط الشرق الأوسط وأزمة الطاقة في العالم، ترجمة، سنة ١٩٨١م

٧- تاريخ المخابرات الإسرائيلية ، ترجمة ، سنة ١٩٩٠ م

٨- مولد دولة أفريقية في الكونغو، ترجمة ، سنة ١٩٨١ م

٩- عدوي نفسي، ترجمة ، سنة ١٩٩٠ م

١٠- مذكرات ذو الفقار علي بوتو، ترجمة ، سنة ١٩٩٣ م

١١- تدمير العراق بعد ١٣٩ يوما من المبادرات الدولية، ترجمة ، ١٩٩٢ م

١٢- الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، ترجمة ، سنة ١٩٩٩ م

١٣- حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي ، تأليف ، سنة ١٩٩٣ م

١٤- قائد معركة القاهرة ومعارك القبلة، سالم بن عبد النبي، تأليف ١٩٩٣ م

١٥- تاريخ المسلمين في البوسنة والهرسك، ترجمة سنة ٢٠٠٠م

١٦- الجهاد الوطني أدب وتاريخ، تأليف سنة ١٩٩٩ م

١٧- فبرص من معاوية إلى أجاويد ، تأليف سنة ٢٠٠٠ م

١٨- السودان بين ديمقراطية الشعب ودكتاتورية العسكر، تأليف، ٢٠٠٠ م

١٩- الفقي مصباح مؤذن الفجر، رواية تأليف سنة ٢٠٠٠ م

٢٠- مسافر يبحث عن الموت، رواية الجزء الأول تأليف سنة ٢٠٠٠ م

٢١- حرب الشرق الأوسط بين الحقيقة والخيال، تأليف ١٩٦٧ م

٢٢- وثائق الوحدة لا وثائق أكتوبر ، تأليف سنة ١٩٧٩ م

٢٣- خرافة الستار الحديدي حول بلاد السوفييت ، تأليف، ١٩٨٠ م

٢٤- الاتحاد السوفيتي نظرة من الداخل، تأليف ١٩٨٥ م

٢٥- ليلة الحلم الطويل، رواية تحت الطبع ، تأليف سنة ٢٠٠١ م

٢٦- شهداء الكردون العشرة وروايات عن الجهاد، تأليف ٢٠٠١ م

٢٧- مسافر يبحث عن الموت، الجزء الثاني، رواية تأليف ٢٠٠٢ م

٢٨- الليبيون والثورة الجزائرية ، مخطوط ٢٠٠٢ م

٢٩- حجارة من سجيل ، الانتفاضتان دروس ونتائج، تحت الإعداد ٢٠٠٢ م

٣٠- رحلة في الصحافة خلال ثلاثة عقود، (١٩٦٠ - ١٩٩٠ م) مخطوط

ليبيا : منطقة الجبل الغربي

بلدة الزنتان (ص.ب/ ٦٦٤٢٠)

(هاتف وفاكس - ٠٤٥١ - ٦٢٨٨٤)

المؤلف في سطور

كاتب وصحفي ليبي

ولد في بلدته (الزنتان) سنة ١٩٣٦ م

درس في ليبيا ثم بريطانيا فالولايات المتحدة الأمريكية فالاتحاد السوفيتي - ألّف وترجم العديد من الكتب في العلوم والسياسة والأدب والتاريخ، عمل بالإدارة الليبية ودرس علوم اللاسلكي والكهرباء ثم شغل مناصب اتفيتية وسياسية ودبلوماسية، وعمل سفيرا لبلاده في عدد من دول أوروبا وآسيا وافريقيا .

شغل منصب نائب رئيس منظمة الأحزاب الاشتراكية في البحر الأبيض ومنصب نائب رئيس التضامن الأفروآسيوي .

مارس ويمارس العمل الصحفي من سنة ١٩٦٠م حتى الآن

حاصل على جائزة ابن سينا في الأدب من أجل السلام وجائزة الكلية الملكية في التأليف العلمي وشهادة كمبردج في البحث والتطوير

متفرغ الآن للترجمة والتأليف ويقيم في بلدته التي ولد بها (الزنتان).

